

المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية

ⵜⴰⵙⵏⵓⵔⴰ ⵜⴰⴳⵍⴷⴰⵏⵜ ⵏ ⵜⵓⵙⵙⵏⴰ ⵜⴰⵎⴰⵣⵉⵖⵜ

INSTITUT ROYAL DE LA CULTURE AMAZIGHE

آيت عطا الصحراء وتهدئة آفلاّ-نْ-درا

القبطان جورج سبيلمان

ترجمة وتعليق محمد بوكبوط

صورة الغلاف : جبل بوكافر

آيت عطـا الصحراء
وتهدئـة آفلا ن درا

المملكة المغربية
المعهد الملكي
للثقافة الأمازيغية
مركز الدراسات التاريخية والبيئية



ⵜⴰⴳⵍⴷⵉⵜ ⵏ ⵍⵎⵖⵔⵉⴱ
ⴰⵙⵉⵏⴰⴳ ⴰⴳⵍⴷⴰⵏ
ⵏ ⵜⵓⵙⵙⵏⴰ ⵜⴰⵎⴰⵣⵉⵖⵜ
ⴰⵎⵎⴰⵙ ⵏ ⵜⵣⵔⴰⵡⵉⵏ ⵏ ⵓⵎⵣⵔⵓⵢ ⴷ ⵜⵡⵏⴰⴹⵉⵏ

القبطان جورج سبيلمان

آيت عطا الصحراء وتهدئة آفلاّ ن درا

ترجمة وتعليق محمد بوكبوط

منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية

مركز الدراسات التاريخية والبيئية

سلسلة الترجمة رقم : 10

العنوان	: آيت عطا الصحراء وتهدئة أفلاَ - ن - دْرا
المؤلف	: جورج سبيلمان
ترجمة وتعليق	: محمد بوكبوط
الناشر	: المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية
الإخراج والمتابعة	: مركز الترجمة والتوثيق والنشر والتواصل
تصميم الغلاف	: وحدة النشر
المطبعة	: مطبعة المعارف الجديدة - الرباط
رقم الإيداع القانوني	: 2007/2931
ردمك	: 9954-439-85-4

مقدمة التعريب

يجمع كل الدارسين في حقل التاريخ المغربي المعاصر على أهمية الإرث المكتوب الذي خلفته الفترة الإستعمارية، إذ لامناص من الإقرار بأن كمًا هائلا من المؤلفات والدارسات والتقارير التي لا حصر لها قد وضعت من طرف جيش من الباحثين والعسكريين تهم مختلف جوانب الوضع في مغرب أواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من العشرين. وإذا كان مفهوما أن تتصدى المدرسة التاريخية الوطنية في العقود الأولى من الإستقلال لإخضاع هذا الإرث للنقد والغربلة، في إطار تصفية الإستعمار على صعيد المعرفة التاريخية وتصحيح كثير من المقولات والنظريات التي رامت خدمة السياسة الإستعمارية، فإنه لا يملك المرء مع ذلك إلا الإعتراف بقصور البحث العلمي المغربي مقارنة مع ما تم خلال المرحلة الإستعمارية، خصوصا في حقول تاريخ واجتماع كثير من المناطق القبلية التي باتت تعرف- للمفارقة- بالمغرب غير النافع منذ فترة الحماية، إذ أهمل الباحثون المغاربة هذه المناطق بالذات وتنظيماتها الإقتصادية والإجتماعية والسياسية، وركنوا إلى التعويل على ما كتبه زملاؤهم الإستعماريون، بحيث يصطدم الباحث بغياب" دراسات ومونوغرافيات حول المرحلة الإستعمارية أو قبلها بقليل عن البوادي ما عدا ما كتبه ضباط الشؤون الأهلية."[1]

وإذا التمسنا العذر مع باحث مهتم بتاريخ منطقة منتمية للمجال القبلي إياه في أن ذلك يعزى إلى افتقار باحثينا إلى مادة تاريخية وطنية يعول عليها، بسبب "**انصباب اهتمام كتاب الحوليات والتراجم على المدن والحواضر لكونها القواعد الرئيسية للمخزن**"[2]، وعزوف فقهاء البادية عن تدوين وقائع التاريخ المحلي واستغلالهم امتياز الكتابة في التزلف لذوي النفوذ لقضاء مآربهم ونيل الحظوة[3]، فإننا نعتقد مع ذلك بأن هناك عوامل أخرى تفسر هذا الواقع آن أوان إماطة اللثام عنها، وترتبط بتوجه معين لدى رواد المدرسة التاريخية في المغرب المستقل، إذ نكاد نجزم بأنهم - باعتبارهم أبناء حواضر في أغلبهم -ساروا على هدي "أسلافهم" في الإهتمام بتاريخ المغرب النافع، وبالخصوص تاريخ الحواضر ونخبها.

---

(1) عبد القادر بوراس، "آفاق وحدود استثمار تقارير ضباط الشؤون الأهلية في كتابة التاريخ"، ضمن، وثائق عهد الحماية، رصد أولي، تنسيق إبراهيم بوطالب، منشورات كلية آداب الرباط، 1996، ص. 106.

(2) نفسه.

(3) نفسه.

ورفعا لأي لبس قد يثير الجدال إياه حول الموقف من الإرث الإستعماري المكتوب، نبادر بالإقرار بحقيقة أساسية وهي أن خلفيات هذه الكتابات ومرامي خطاباتها الضمنية والسافرة لا تنفي عنها أهميتها من حيث إيراد معطيات تاريخية ثمينة، لا غنى للباحث المغربي عن التعويل عليها في عمله.

ونود التأكيد في هذا الصدد أن حافزنا على تقديم هذا الكتاب لجمهور القراء هو بالذات ما يتضمنه من معطيات هامة عن منطقة تكاد تكون غير معروفة لأغلب المغاربة إلى اليوم، وعن إحدى الإتحاديات القبلية الأمازيغية التي كان لها شأن في التاريخ الحديث والمعاصر للجنوب الشرقي للبلاد، وسطر أبناء مختلف قبائلها صفحات مجيدة من الملاحم والبطولات دفاعا عن الوطن وذودا عن الحرية والكرامة منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى غاية منتصف ثلاثينات القرن العشرين.

يتعلق الأمر بإتحادية **آيت عطا** التي أفرد لها **القبطان جورج سبيلمان Georges Spillmann** مؤلفه الموسوم "**آيت عطا الصحراء وتهدئة آفلاَ نْ دْرَا**" .

Les Aït Atta du Sahara et la pacification du Haut Dra. ومما يضفي أهمية وقيمة على هذا الكتاب كون واضعه شاهد عيان على مجريات أحداث ووقائع وتحولات أثرت بعمق في واقع ومستقبل آيت عطا، علاوة على أن المعطيات الإجتماعية والإقتصادية والسياسية التي دونها كانت بمثابة الأساس لمجمل السياسة التي كان قادة الإستعمار ينفذونها في المنطقة، وبالتالي لم تكن مجرد خواطر أو تأملات تستجيب لرغبة ذاتية بقدر ما كان مصير السيطرة الإستعمارية مرهونا بمدى دقتها.

كما أن شهادات سبيلمان تتميز بكونها غير متقوقعة في ذلك القالب الإيديولوجي الإستعماري السافر الذي نجده عند غيره[(4)]، بل نستشف منها مواقف تنم عن نزاهة فكرية لدى الرجل، إذ لم ينزلق مع مشاعر الحقد وأخذ الثأر وتشويه الحقائق، بل لم يتردد في الإعتراف بكثير من خصال وفضائل أعدائه، مبديا احترامه للآخر بتقاليده وأعرافه وثقافته إلى حد يُقْدِم فيه على توجيه نقد ذاتي، من ذلك ما خلص إليه في معرض حديثه عن شخصية آيت عطا حيث يقول: "**إنهم باختصار أناس بسطاء ولكن غير منقادين بسهولة، ويقظون ومنتقدون وذوو مزاج متقلب، وكلها أشياء يقدرها الفرنسيون في العمق ويبتغونها لأنفسهم ولكنهم لايعجبون بها كثيرا عند الآخرين.**"

---

(4) نختلف هنا مع عبد القادر بوراس في حكمه التعميمي على استنتاجات سبيلمان بكونها "مبنية على المغالطات والتمويه"، ولعل ذلك يصح على جانب من تلك الإستنتاجات التي أوردها بوراس نفسه، وهي المتصلة بـ"إزالة الطابع الوطني عن كل عمل معاد للإستعمار والكلاوي يقوم به آيت عطا وغيرهم"، مقال سابق، ص 104 . أما كثير من المعطيات الخاصة بأحوال تلك القبائل فلا نملك إلا الإقرار بفضل سبيلمان في تدوينها وإلا كان مآلها الضياع للأبد.

إن هذا الضابط الذي جاب بلاد آيت عطا درعة في مراحل احتلالها وخاض مختلف المعارك ضد أهلها المقاومين، وباشر عمليات التجسس وجمع المعلومات الكفيلة بتيسير مهمة دولته، قد قدم خدمة لا تعوض للباحثين في تاريخ آيت عطا المعاصر، بتسجيل روايته أولا عن الأحداث التي عاصرها على طول وادي درعة ثم في صاغرو وهوامشه، وكذلك تدوين المعلومات المختلفة عن ماضي آيت عطا القريب، مبديا إعجابه بإرث هذه الإتحادية التي أدرك مدى شموخ مجدها، مما جعله يسهم في رسم السياسة الواجب اتباعها معها حين كتب يقول: "**غير أننا شعرنا بأنه لا يجب فعل أي شيء يمكن أن يوقظ الحساسية القلقة والمتعجرفة لآيت عطا. لقد طمأناهم على نوايانا بوعدهم باحترام تقاليدهم وأعرافهم وضمان فتوحهم وغزواتهم الحديثة، وكذلك ارتياد أسواق الحوز ومراكش وحرية التنقل في طريق الإنتجاع التقليدية المؤدية إلى المراعي الكبرى في الأطلس الكبير**".

إلى جانب الشهادات التي أوردها سبيلمان عن أحوال آيت عطا وتحالفاتهم وعداواتهم، يفيد مؤلفه في الإطلاع كذلك على جانب من تقاليدهم ومؤسساتهم السياسية والقضائية كما وجدها الفرنسيون، ولا تخفى أهمية هذه المعطيات إذا علمنا مدى التحول الذي شهدته هذه الجوانب من جراء التدخل الإستعماري كمالم يفت سبيلمان التنبؤ بذلك.

كما لا يفوتنا التنويه في هذا المقام ببراعة ضباط الشؤون الأهلية في دراسة تاريخ وثقافة القبائل[5]، فسبيلمان يبرهن على دهائه أولا في جمع وتدوين كل المعلومات مهما تواضعت قيمتها، ثم استغلالها بذكاء في تنفيذ سياسته سواء الإدارية أو العسكرية، مثال ذلك ما أورده عن الخصال الحربية لمختلف قبائل آيت عطا : "**خلال عمليات صاغرو (فبراير - مارس 1933)، نصحنا أعيان آيت عطا باستعمال محاربي آيت إيسفول بدعم من آيت أونير، لأن آيت أونير كما يقولون شجعان ومقدامون، بارعون في عمليات السطو لكنهم لا يحتفظون بالأرض المسيطر عليها. أما آيت إيسفول الأثقل والبطيئون في الإنخراط في المعركة، فيحاربون بحذر وفطنة، وبقدر ما يتفادون الخسائر ما أمكن لا يتملكهم الذعر عندما تحدث**".

موجز القول إن مؤلف سبيلمان الذي بين أيدينا ذو قيمة تاريخية لا مناص من الإعتراف بها، باعتباره مرجعا ضروريا يحيل عليه كل باحث في تاريخ الهوامش الصحراوية المعاصر. وأملنا أن يسهم تعريبه - بعد نفاذ نسخته الفرنسية التي نشرت سنة 1936 - في إعادة تعميم فائدته، بالتعريف بآيت عطا وتضحياتهم ومكانتهم المستحقة بالتالي في سجل التاريخ الوطني.

محمد بوكبوط

فاس

(5) صحيح أن ذلك الجهد موجه لخدمة أغراض السيطرة الإستعمارية، لكن يبقى أنهم بذلوا جهدا كان يستحيل أن يقوم به المغاربة آنذاك.

مقدمة المؤلف

بنشر كتاب "آيت عطا الصحراء وتهدئة درعة الأعلى" حاولنا تحديد السمات العامة لهذه الإتحادية الأمازيغية الهامة من جهة، واقتفاء أثر المراحل الرئيسية لعملنا العسكري في وادي درعة قبل الصحراوي من جهة أخرى.

فقد بدا لنا أنه حان الوقت لترتيب مذكرات دُوِّنت يوميا طوال ما يقرب من عشر سنوات من الإحتكاك المتواصل مع آيت عطا، بدءا بمنطقة أزيلال أولا ثم في منطقة ورزازات. ولعله من الملائم تسجيل هذه الشهادة المباشرة التي سمح الوقت بتعديلها أحيانا، إذ لا شك بالفعل أن الخضوع للمخزن سيغير بعمق المؤسسات السياسية والإجتماعية لآيت عطا، مما يبرر الإنشغال المشروع بالإحتفاظ بذكراها.

من جهة أخرى، بدا لنا طيبا أن نعرض كيف استُعملت المعارف المكتسبة لحل مشكل تهدئة جزء مهم من الجنوب الشرقي المغربي، وفي مقدمته مشكل آيت عطا، مما يسمح لنا بتكريمٍ مستحقٍ للوسائل المستخدمة وللمنفذين الطيبين لهذه المهمة الحضارية، فرنسيين ومغاربة.

ونعتقد كذلك أننا نسهل مهمة المؤرخين وعلماء الإجتماع بوضعنا رهن إشارتهم مادة صعبة الجمع وذكريات شخصية لم يمحها الزمن بعد.

إن انتشار استخدام الآلة الكاتبة وما ترتب عليه من تضخم الورق سيعقدان مهمة هؤلاء الباحثين النزهاء إذا لم يُحتَط لذلك، بحيث يصعب أكثر فأكثر اكتشاف التقارير الأساسية ضمن كميات هائلة من الورق عديم القيمة والتي يكاد يستحيل تصنيفها بشكل منطقي، علاوة على أنه ثبت منذ الآن أن الأوراق المكتوبة بالآلة تصبح غالبا غير مقروءة بعد عشرين سنة.

كما أن جهدنا سيكون قد نال ثوابه إذا أثار هذا الكتاب لدى شهود ملحمة فرنسا العاملين بالمغرب الشهية والرغبة بدورهم في رسم مختلف مظاهر تهدئة البلاد.

الرباط في فاتح يونيو 1936.

القسم الأول

لمحة جغرافية

1 - السمات العامة للبلاد الواقعة بين درعة وتافيلالت.

2 - تضاريس بلاد آيت عطا :كتلة صاغرو - أوكنات، سلسلة باني، سلسلة توغيبت، كتلة مادغيول، الحمادات.

3 - الهيدروغرافيا :درعة، غريس، زيز، حوض معيدر آيت خباش.

4 - المناخ.

5 - الموارد الإقتصادية.

6 - السكان : سيادة أمازيغ صنهاجة.

7 - مستقبل البلاد.

- 1 -

/10/

بينما تحاذي الصحراء السفوح الجنوبية للهضاب العليا في الجزائر، توجد بالمغرب منطقة شاسعة من السهوب والجبال تؤدي تدريجيا من الخاصرة الأخيرة للأطلس الكبير إلى الصحراء، إنها منطقة شبه صحراوية حقيقة تمتد بين المقاطعات الشمالية لدرعة وتافيلالت على طول يتراوح بين 80 و 160 كلم، ويشكل تجعد باني الطويل والضيق حدها الجنوبي، وفيما وراء هذه السلسلة تبدأ الصحراء .

تفرض هذه الملاحظة نفسها على كل مسافر في البلاد، بحيث لم يفت دو فوكو -بفطنته ونفاذه المعهودين -تسجيل أنه بعد اجتياز باني "دخل إلى عالم جديد". ما هي أسباب هذه الخاصية؟ إنها نتيجة الشبكة الهيدروغرافية الضيقة نسبيا والمكونة من ثلاثة أنهار مهمة هي درعة وغريس وزيز من جهة، وانتظام التضاريس من جهة أخرى. فسلسلة الأطلس الصغير- الممتدة بشكل موازٍ للأطلس الكبير من المحيط إلى الهوامش الغربية لواحة نخيل تافيلالت - تشكل حاجزا متماسكا يلغي التأثيرات الصحراوية، إذ توقف قممها المكسوة غالبا بالثلوج خلال الشتاء الرياح الصحراوية الجافة، كما تسيل وديانها بمياه جارية توزعها حوالي الكتلة.

أما أنهار درعة وغريس وزيز النابعة من الأطلس الكبير والمتغذية من ثلوجه فتحيي واحات نخيل مهمة، وتغوص عميقا في اتجاه الجنوب حيث تضعف بقدر ما تبتعد عن الجبال المرتفعة، لتنتهي عندما يقل صبيب المياه التي منحتها الحياة نتيجة الرشح والتبخر واعتراض أعمال ري الزراعات؛ هكذا كلما ابتعدنا عن الأطلس الصغير كلما ازدادت السمة الصحراوية للبلاد حدة.

/11/ هناك مسألة أخرى تثير الإنتباه، وهي أن باني - بعد ثغرة فم تاقّاتْ نْ إيلْكْتَاوْنْ- يتخلى تدريجيا عن اتجاه غرب - شرق الذي اتبعه ابتداء من فم زْكِيدْ، لينتصب متجها نحو الشمال، راسما منعرجا واسعا مشهورا الآن باسم عكاز Crosse باني، ليصطدم بالخاصرة الجنوبية لصاغرو، ثم يبسط عُرفه الطويل الذي تخترقه بعض الإفجيجات بموازاة مع هـذه السلسلـة (صاغرو) إلى مشارف أَلْنِيفْ الرَّكْ حيث يبدو منتهيا.

ومن جراء هذا التغيير المفاجيء في الإتجاه العام لمُحَدَّب باني، تصعد الصحراء عميقا نحو الشمال بين درعة وتافيلالت، مما يسمح بوضع خط- كحد شمالي للصحراء -يصل العْبادْلَة والطرف الشمالي لحمادة كِيرْ والطّاوْزْ وفَزُو وأعْشيش وباني الشرقي وفم تاقات ن إيلكتاون وباني الغربي؛ وإذا قبلنا بهذا التحديد فإن الجزء الجنوبي لوادي حْصيّا وتاغْبالْتْ وتازارين ولَكْتاوَة ولمحاميد تنتمي كلها إلى الصحراء.

إن الأمر يبدو صحيحا إلى حد أن آيت عطا، سادة المنطقة الفاصلة بين درعة وتافيلالت والتي تشكل كتلة صاغرو - أوكنات مركز ثقلها بواحاتها المكملة في تازارين وتاغبالت وواد حصيا، يُطلق عليهم بالإجماع" آيت عطا ن الصحرا"[1]، ويحق الإعتقاد بأن هذه التسمية لا تعزى فقط إلى أصول عدد كبير منهم، بل كذلك بسبب رغبة الأهالي - كملاحظين جيدين - في إبراز الطابع الصحراوي لبلادهم.

يعتقد كثير من الفرنسيين أن الصحراء عبارة عن امتداد جاف ومنبسط رملي دائما، ولا حاجة إلى إثبات خطأ هذه البداهة، إذ تمتد في بلاد آيت عطا سلاسل من التضاريس المتعرجة ذات ارتفاع متراوح بين 800 و 1000 متر جنوب باني، كما نجد نفس التضاريس حتى كرب حمادة درعة[2]. وتبرز كتل منعزلة - متماسكة أحيانا وممزقة في الغالب - في السهوب بجوار كثبان رملية، وهي قليلة الإرتفاع لكنها لا تقل أصالة . كما نجد كذلك خطوطا من تلال متراكزة ذات مظهر منضّد /12/ تشكل أنصاف دوائر واسعة تنتظم فيما بينها منخفضات ذات أصل بحيري، تحتل أجزاءَها الأكثر انخفاضا مَعِيدْرات وشطوط وسبخات، بحيث تمنح هذه التعرجات طابعا معقدا وجبليا للمناطق قبل الصحراوية، ومن ثم يصعب في الغالب تحديد الخطوط الكبرى لتضاريس غامضة بدأنا بالكاد في معرفة بنيتها المفصلة.

- 2 -

يميز إجمالا بين أربعة تعرجات رئيسية:

كتلة صاغرو - أوكنات

،سلسلة باني،

سلسلة توغيبت التي تمتد من "تيزي نْ تْفيلالْت"[3] إلى واد بوخْشْبة وإلى كَمْكَمْ.

كتلة مْدْغْيولْ جنوب تافيلالت.

إلى الشرق والجنوب تبدأ منطقة الحمادات.

كتلة صاغرو - أوكنات:

يشكل صاغرو وأوكنات الممتدين على طول 200 كلم وعرض 40 كلم الإمتداد الشرقي للأطلس الصغير، إذ يفصلهما عنه وادي درعة بإفجيج عميق، وينتميان إلى" نفس المحدب شرق -غرب

(1) الأصح آن التسمية الأمازيغية هي "آيت عطا نُ اوسَامْرْ" تمييزا عن آيت عطا نْ أومالوا". (المترجم).

(2) الكرب : هو الحافة الشمالية لحمادة (أو الهضبة العليا) درعة، يتكون من جرف حاد في الغالب يطل على المنخفض التي يوجد بواسطه المجرى الجاف لدرعة (المؤلف). وينطق آيت عطا الكرب بكاف مشوبة بشين. (المترجم).

(3) تعمدنا رسم الأسماء بشكل يقترب من كيفية نطقها من طرف آيت عطا، وهنا نشير إلى ان النون المستقلة كما في المثال تعني النسبة الى الإسم الذي يليها في الأمازيغية. وبالتالي يستحسن عدم دمجها ليسهل تمييز هذا الإسم. (المترجم).

يشمل كل الزمن الأول من الكمبري الأسفل إلى الفيزي Viséen . قد اقتطعت منه التعرية كتلتين ما قبل كمبريتين ظلت بينهما بقايا من الحث الجيورجي الذي يبين المظهر الهادئ جدا للطية : فعلا لا تتجاوز الإنحدارات شمال وجنوب الكلتة العشرين درجة، وفي الجزء المحوري تبدو الطيات الأولية أفقية على ما يقرب 10 كلم. "[(4)]

/13/يبدو صاغرو للراجل الذي يجوبه كتلة شديدة التقطع ذات تضاريس فوضوية في الغالب، ويشكل أمالو نْ مَنْصورْ هيكلها حيث يبلغ ارتفاع هذا العرف الرئيسي 2712 مترا، وتتجاوزه من الشمال والجنوب سلسلتان صغيرتان متوازيتان تتخللهما إفجيجات ضيقة وعميقة. وتتميز بعض أشكال الأرض، وبالخصوص الهضاب العليا، ببنية مَنَضَّدة تتجاور مع مِسَلاَّتٍ صخرية جرداء وصقيلة. وإلى الجنوب من أعلى قمة بأمالو ن منصور وفي الجزء الشمالي من العرف الرئيسي داخل منخفض إيمْسَاعْدَنْ يبدو المنظر قَمَرِيًا .

وبصفة عامة فتضاريس صاغرو شرسة ومتوحشة لا يمكن أن ينساها كل من زاره، إنها منطقة مرعبة .فقد كتب فوكو الذي اجتاز قسمها الغربي من آيت سَدْراتْ درعة إلى رافد دَادْسْ وآسيفْ مْكُّونْ أن هذه السلسة " تتكون من هضبة عليا بمعدل ارتفاع يبلغ 2000 متر، يتم الوصول إليها عبر تعاقب طويل لنتوءات حجرية أحيانا وأخرى صخرية، ترتبط فيما بينها بواسطة بلاطات Dalles وعرة، وتشكل الهضبة العليا مساحة شاسعة موحدة وخضراء، والتربة حجرية وخالية من أي تموج مكسوة بعشب رقيق. وتشكل المنحدرات المؤدية إليها منطقة شديدة التضرس تقطعها شعاب عميقة ذات جوانب صخرية وعرة، كما تتخللها أودية وتنتصب فيها أعراف ونتوءات بكتلها السوداء، وهذه المنطقة الوعرة خالية عادة." ويصف السيد كلاريون Clariond، الذي جاب الأجزاء الوسطى والشرقية لصاغرو بعد التهدئة سنة 1933، المنطقة قائلا ": يوجد مركز إيكْنيوَنْ وقصوره على ارتفاع 2000 متر ولكنه يبدو وإياها مسحوقا في وادي الرك من طرف أجراف أمالو ن منصور العالية، التي ترتفع عموديا فوق المركز إلى غاية أعلى قمة في صاغرو على علو 2712 متر، مشكلة على مدى عدة كيلومترات سورا هائلا تتخلله بعض الممرات الضيقة المتباعدة، تمثل المجازات الوحيدة الممكنة لبلوغ القمة، التي تشكل بدورها حافة هضبة مخددة تغوص جنوبا تحت أجراف أخرى .وستختفي هضاب أخرى وأسنان المنشار المتتالية تلك /14/ تحت إرسابات السهل بناحية تازارين. أما أراضي وادي الرك فأصلها بركاني، إذ سالت في الزمن الكمبري تدفقات سميكة من الحمم على كتلة من الغرانيت تعرضت لنحت التعرية المائية، ثم جاء زحف البحار وتَوَضُّعُ آلاف الترسبات ليحدث بعد ذلك انتصاب وارتفاع السلسلة. لقد عملت مياه الأنهار ببطء على تعديل أشكالها وخلقت عوامل التعرية المتقلبة مناظر غريبة من إيكنيون إلى

(4) انظر مداخلة السيدين ل. كلاريون وهـ. تيرميي في التقارير الأسبوعية لأشغال اكاديمية العلوم، مجلد 196، رقم 25 (19 يونيو 1933)، صفحات 1911 إلى 1913. (المؤلف).

بوكافر. لنترك إيكنيون وراءنا متبوعين بخفر من الكوم[5] ولنتوغل شرقا، حيث تتكاثر التلال ويتموج الرك وسط ركام من القباب الكرانيتية المتزاحمة بين خوانق ضيقة تارة، والمتناثرة في سهول صغيرة تارة أخرى؛ نغادر واديه حيث يقودنا فج إلى قمة حزة عمودية محفورة في حمم تميل إلى الحمرة.

وفي العمق يلتوي خيط ماء يختفي ليظهر ثانية، ينتشر وسط شجيرات ويلتف متفاديا كتلا ضخمة ومتقدما بصعوبة نحو الشرق، ثم يطرده منعطف فجأة باتجاه الشمال. إننا تحت قدم بوكافر، القلعة الأمازيغية المنحوتة في الصخر من طرف الطبيعة، حيث تهوي أسوار الحجر السماقي عموديا في الشعبة متحدية كل تسلق.

ومن مقر القيادة" كاترو "القديم[6] يبدو منظر كتلة الإبر بأسرها: فإلى الشرق والشمال والغرب وفي أي اتجاه تتشابك القمم والأعراف الصخرية والهضاب الوعرة وأشكال زيتية قضمتها المياه وصقلتها الرياح وأحرقتها الشمس، تتشابك في فوضى عجيبة كأنها" بحرٌ هائج تجمَّدَ فجأة "على حد تعبير الضابط الذي يرافقني، إنها أحسن صورة، ولكي تكتمل الصورة الخيالية يوجد جرف علوه ثلاثمائة إلى أربعمائة متر يحد كل هذا الغليان من الجنوب. وعن قرب يمدُّ بوكـافر " -أب الكفار [7] - "بين واديَّين عميقين أشكالَه المعقدة وشرفاتهِ وانحداراته التي تلتصق بها "إبَرُ صخرية"[8].

لا يفصل أوكنات عن صاغرو الذي يشكل امتدادا له /15/ إلا منخفض" تيزي نْ بُوجُو "وواد الرّكّ، وله نفس البنية ونفس الطابع المضطرب، ولكن أعلى قممه لا تبلغ إلا 1400 متر.

وتنحدر من صاغرو عدة مسيلات تنتهي في واد دادس على السفح الشمالي، بينما تشكل أخرى واد تازارين وواد حصيا على السفح الجنوبي. أما واد إيشم وواد الرك فيصرفان الجزء الأعظم من مياه صاغرو الأوسط والشرقي، حيث ينبع واد إيشم من السفح الشمالي ويلتقي مع واد تودغا في أعالي فركلة. وأما واد الرك فينبع بدوره من السفح الشمالي في قدم تيزي نْ تازازّرتْ، ويبدو لبرهة أنه سيصب في واد إيشم لكنه يميل شرقا ليصطدم بخاصرة أوكنات، متبعا المنخفض الخفيف الفاصل بين صاغرو وأوكنات لينساب جنوبا حيث يصب في مْعِيدّرْ آيت خباش .وإذا كانت تنعدم أودية دائمة في صاغرو فإن كل المسيلات تجري بالمياه في فصل

(5) الكوم بكاف معجمة goum، وهي الفرق العسكرية المشهورة. (المترجم).

(6) إشارة إلى نقطة استراتيجية اتخذها الجنرال كاترو مقرا لقيادة عملياته خلال حصار المقاومين في بوكافر في شهري فبراير ومارس 1933. (المترجم).

(7) لا علاقة للكفار بالإسم، ثم إن كاف بوكافر ينطقها آيت عطا كما ينطق الحرف اللاتيني G، والحقيقة أننا لا ندري معنى الإسم الذي نجد له نظيرا في الريف (بويافر). والأكيد ان سبيلمان اعتمد على تاويلات بعض أعوانه المحيلة على العربية في تفسير بعض الأسماء الأمازيغية، مما جعله يسقط في كثير من الأخطاء، ونشير إلى أنه ليس الوحيد في هذا الباب. (المترجم).

(8) ل. كلاريون، "عبر المغرب الخاضع حديثا، ما رآه الجيولوجي"، مجلة العالم الكولونيالي المصور، عدد 125، يناير 1934، ص. 8. (المؤلف).

الأمطار وذوبان الثلوج، وتتوفر لأهمها مثل أقّا نْ سيتّ وواد إيشم وواد الرك بفضل ظاهرة انبعاث النبع مياهُ في كل الفصول وفي بعض نقاط مجراها.

من وجهة النظر الجيولوجية البحتة، حددت ملاحظات ل. كلاريون وهـ. تيرميي الزمن الهرسيني لمرتفعات صاغرو وأوكنات، بحيث يُبرز تَطَبُّق هاتين السلسلتين بعضَ الأنساق: ما قبل كمبري ذي نضيد أسود وغرانيت أزرق وكوارتزيت، وكمبري أسفل متميز ببعض الرصيصات conglomérats ، والريوليت والحث الأبيض والوردي والنضيد الأخضر، ونسق كمبري - سيلوري ذي حث أزرق أو أخضر وحث منضدد، وديفوني بكلس متماسك مائل للزرقة[9]. وعلى السفح الشمالي للسلسلة تعرَّف الجيولوجيون على صخور حاوية للفحم وعلى السينومانيcénomanien.

ويتشكل عرف أمالو ن منصور من /16 / ريوليت[10] مترسب مباشرة على الغرانيت، أما كتلتا بوكافر وأُولُوسِيرْ اللتان تنتصبان وسط منخفض إمساعدن المضطرب، فتتكونان من صخور بركانية كمبرية ومجزأتين إلى عدة أعراف مسننة أو مسلات ذات جوانب صقيلة وشديدة الإنحدار.

جبل باني

ينقسم باني غرب درعة إلى فرعين : فالفرع الرئيسي يواصل أولا سيره شرقا، ثم يتجه شمالا عندما يخترقه واد درعة عند المضيق الصخري لفم تاقات ن إيلكتاون، راسما ما يشبه عكازا واسعا ليصطدم بالخاصرة الجنوبية لصاغرو. ويشكل هذا العكاز نصف دائرة عجيب الإنتظام يطل خط قمته الواضح على منخفضات فزواطة وترناتة وتينزولين من معدل علو يبلغ 300 متر، ولا تبتر القمة الأفقية تماما إلا عند ثغرات فم تاقات ن إيلكتاون وتيزي ن تفيلالت وفم أورْتي؛ ويحمل الجزء الشمالي للعكاز أسماء جبل بوزروال وجبل تُودْمًا بالتتابع، حيث يشكل للحظة خط تقسيم المياه بين درعة وتازارين. وعند جبل تودما ينحرف باني من جديد في اتجاه الشرق ويمتد بموازاة صاغرو إلى مشارف ألنيف، حيث تخترقه في هذه المنطقة ثغرات واد تازارين وواد واوغلود وواد أعشيش، وإلى الجنوب يجاوزه تفرع ثانوي يسمى جبل تابوعالت وجبل زاو.

أما الفرع الصغير لباني والمنفصل عن السلسلة الرئيسية عند زاوية سيدي عبد النبي في منتصف الطريق بين زاكورة وفم زكيد فيتقوس في اتجاه الجنوب الشرقي، ويخترقه درعة عند جبل بني سلمان وجبل مكاك، وتقع مقاطعة لكتاوة وسط "رِجْلِ سرطان البحر" التي يشكلها الفرعان الإثنان لباني.

(9) ينهي كلاريون وتيرميي دراستهما القيمية بالإستنتاجات التالية : "الحاصل أن ملاحظاتنا تبين : 1 - سلسلة رتيبة تنطلق من الجيورجي المحتمل إلى الغوتلاندي؛ 2 - طبقة مفقودة في قاعدة الديفوني؛ 3 - اختراق للفيزي في الكتلة القديمة؛ 4 - الزمن الهرسيني للحركات. نظرا لطي الفحمي وبقاء سينوماني الحواف افقيا. بهذا يتحدد عمر السلسلة الكبيرة للجنوب المغربي صاغرو - الأطلس الصغير". (المؤلف).

(10) صخر بركاني يشبه الغرانيت. (المترجم).

يتميز السفح الشمالي لباني بشدة انحداره ووعورته، بينما ينخفض السفح الجنوبي بمنحدرات خفيفة حتى السهل، ومن وجهة النظر الجيولوجية تبدو السلسلة مكونة في أغلبها من الكوارتزيت والحث السميك المتعاقب مع /17/ مصطبات من النضيد، وتصل المنحدرات غالبا 50 درجة في السفح الشمالي.

سلسلة توغيبت:

يبدو أنها تنتمي لتضاريس باني وتسير بموازاة الفرع الرئيسي لهذا الأخير من تيزي ن تفيلالت إلى رافد واد بوحيّارا وواد بوخشبة.

وخارج هذه السُّلَيْسِلة توجد عدة كتل وهضاب مثل جبل مراح وكَمْكَمْ وجبل سدرار وجبل مغورفي. وغالبا ما تكون الهضاب مجزأة بعمق ومحفورة من طرف عدد كبير من المسيلات والشعاب نشيطة التعرية تشكل شبكة معقدة، ومن هنا إسم "الشّبْكَة" الذي يطلقه عليها الأهالي، وينطبق ذلك على كَمْكَمْ آيت خباش الذي يعتبر امتدادا لسلسلة توغيبت شرقا.

الحمـادات:

"تنتمي الحمادة إلى الهضبة الصحراوية الشاسعة، وهي منطقة مسطحة لم تتأثر بالطي منذ نهاية الأزمنة الأولى.

وتذكّر بنيتُها ببنية الميسيطا المغربية meseta : إنها أيضا شبه سهل أو سهب أولي primaire مغطى برواسب أفقية، ولكن الأشكال الطبوغرافية مختلفة لأن ظروف التعرية ليست متشابهة: فضعف التساقطات وجفاف الهواء وغياب غطاء نباتي تساهم في سيادة عمل الرياح...فالحمادات تمثل إذن هضابا حجرية ورتيبة وموحشة وجافة بقدر كونها مكسوة بدرع كلسي مسامي"[11].

أهم هذه الحمادات هي كير (بين كير وزيز جنوب /18/ بودنيب) والداورة ودرعة، وتعتبر الأولى أكثرها انبساطا وأسهلها ارتيادا بالنسبة للآليات المتحركة، بينما تعتبر حمادة درعة أكثرها وعورة، وتميل من الشمال نحو الجنوب ابتداء من حافتها الشمالية (الكرب) التي تطل على وادي درعة بجرف حاد إلى غاية كثبان إيغيدي في قلب الصحراء، كما تتخللها أحيانا العديد من المسيلات العميقة التي تنبع من الكرب وتختفي في الصحراء.

(11) (المؤلف) G. Hardy et J. Celerier, les grandes lignes et la géographie du Maroc, p. 156.

- 3 -

تحد الأنهار بلاد آيت عطا من ثلاث جهات: درعة غربا ودادس وتودغا وغريس شمالا وزيز شرقا، ولهذه المجاري المائية كلها طابع صحراوي واضح.

تجمع أنهار درعة وغريس وزيز مياهها في الأطلس الكبير الشرقي بواسطة روافدها واد إيغيغي وواد دادس وواد تودغا، ورغم كونها طويلة جدا فلا يبلغ أي واحد منها البحر، وحده مجرى درعة الجاف يمتد حتى الأطلنتيكي ولكن غالبا ما لا تتعدى المياه الآتية من الأطلس الكبير منخفض إيريقي . أما غريس وزيز فيلتقيان جنوب تافيلالت ليختفيا في منطقة نشر الداورة، ولا تصل فيضاناتهما الكبيرة إلى إيغيدي الصحراوي إلا نادرا . إن أودية درعة وغريس وزيز معروفة حاليا بما فيه الكفاية بشكل لا يستدعي وصفها بتفصيل.

وعلى العكس من ذلك يوجد داخل بلاد آيت عطا حوض لم نكن نعرف عنه إلى غاية التهدئة إلا قليلا من المعلومات، ويمكن تسميته حوض معيدر آيت خباش، لأن واد الرك وواد تازارين، أهم نهرين من بين تلك النابعة من كتلة صاغرو -أُوكَنَاتْ، يصبان في هذا المنخفض، ويتدفق فائض مياه المعيدر أحيانا نحو غريس عندما تكون الأمطار وفيرة استثناء.

/19/ويحمل واد تازارين الذي يوجد منبعه في السفح الجنوبي لصاغرو، بالتالي أسماء واد النّقُب وواد تازارين وواد تاغبالت وواد بوخشبة، وتتمثل أهم روافده في أقّا نْ وُسّدِيدْنْ وأقّا نْ سِيتْ وأقّا نْ تـادّارْت، وتـالاتْ نْ تامّلالْتْ وتالات نْ تيسـرْتْ وتالات نْ أُورْزِي وواد بو إيمـزورْن (واد واوكلوت)، وواد حْصِيّا المكون بدوره من واد أعشيش وأسيف نْ فيشْتْ، وواد بوحَيّارا .

أما واد الرك فينبع من السفح الشمالي لصاغرو ويجري أولا في اتجاه الشمال الشرقي، وبعد اجتياز الجزء الشمالي لمنخفض إيمساعدن يصطدم بكتلة أوكنات فينحرف فجأة نحو الجنوب، متخذا منخفض تيزي ن بوجو ليصب في المعيدر بعد تصريف قسم مهم من مياه السفح الجنوبي لأوكنات.

خلال فصل الشتاء غالبا ما توجد المياه بواد النقب حتى تازارين، ومن هذه النقطة إلى المعيدر يكاد يكون جافا بصفة دائمة، إذ يصل فيضانه مرتين أو ثلاثة في السنة فقط إلى المعيدر، ولاتوجد فيه مياه دائمة إلا في النقب وتاغيا (تسمح هذه العين برَيّ جزء من تازارين) وعين خليفة في تاغبالت، بحيث لا تمثل هذه العيون إلا نبعا للنهر.

يشبه نظام واد الرك بشكل واضح نظام واد تازارين، فبعد خروجه من صاغرو لا يظهر إلا في شكل نبوع تنشأ عنها واحات نخيل هزيلة تغزوها الرمال.

ويجدر أخيرا ذكر واد مصيصي الذي يوجد منبعه في الجزء الشرقي لأوكنات ويلتقي مع واد غريس عند فم المعيدر.

وإذا كانت مياه السطح غير وفيرة إجمالا، فإنه توجد بالمقابل في مجاري الأنهار

والمنخفضات فرشات باطنية قريبة من السطح أحيانا، ويسمي الأمازيغ كل المنخفضات حيث يمكن العثور على الماء تحت أعماق ضعيفة (بين 2 و 6 أمتار) "أجمو"، ولكن هذا الماء غالبا ما يكون مغنيزيا أو أجّاجا[12].

/20/ - 4 -

يعتبر المناخ الجاف والقاري غير المضر بالصحة قاسيا مع ذلك بسبب فوارق الحرارة المفاجئة، فخلال الشتاء تبلغ الحرارة درجة التجمد ليلا، في حين قد يصل المحرار وسط النهار إلى 35 درجة. أما صيفا فيرتفع إلى 62 درجة وتبقى الليالي حارة. وفي كل الفصول تهب رياح رملية عنيفة آتية من الجنوب والجنوب الغربي خلال عدة أيام متتالية، مكتسحة كل البلاد وملحقة خسائر فادحة بالمزروعات ومعرقلة للسير. إن الأعصاب الأوربية تتحمل بصعوبة هذه الزوابع المتواصلة بحيث تتخشن العلاقات وتتفاقم النزاعات.

كما تندر الأمطار وإذا سقطت فهي طوفانية مسببة أضرارا بالمساكن والمزارع، وتملأ لبعض الساعات مجاري الأنهار شبه الجافة دائما جارفة الطرق وحاملة المجازات ومدمرة السدود وسواقي الري. وتبلغ التساقطات 300 ملم سنويا.

- 5 -

لا تتأتى الموارد الإقتصادية من الوديان وحدها حيث يضمن الري ازدهارا نسبيا للواحات، بل كذلك من الكتل الجبلية والسهوب شبه الصحراوية الشاسعة، فهذه المناطق التي تبدو فقيرة توفر بالفعل لقطعان الماعز والغنم والإبل مراعي تعوض شساعتها جزئيا قلة الوفرة والكفاف، فكل قبيلة أو عشيرة لديها آلاف الهكتارات من المراعي، وعندما تقل الأعشاب في السهوب تتوجه القطعان إلى صاغرو، لتنزل منه خلال المدة القصيرة التي يسود فيها البرد القارس والزوابع الثلجية، هكذا تتكامل الجبال والسهوب بشكل تصبح معه تربية الماشية ليست ممكنة فحسب، بل تمثل عمليا الثروة الرئيسية لآيت عطا.

/21/و في نهاية فصل الشتاء تغادر معظم القطعان الجنوب حيث لا تعود المراعي الجافة تقدم موارد كافية صوب الأطلس الكبير الأوسط حيث تقضي الصيف.

من وجهة نظر علم النبات يمكن التمييز بين منطقتين جد مختلفتين، واحدة تضم كتلة صاغرو - أوكنات وأخرى تقع جنوب جبل باني.

وقد أبرزت أعمال لويس أومبرجي Louis Emberger أن صاغرو ليس صحراويا رغم موقعه

(12) شديد الملوحة.

الجغرافي، وأن غطاءه النباتي يخلو تقريبا من عناصر صحراوية، بحيث يرتبط هذا الغطاء بالأطلسين الكبير والصغير في آن واحد، وهو إجمالا متوسطي.

يميز إجمالا بين مستويين من النباتات :الأسفل ذو طابع جاف ويشمل الحلفاء والشيح، ونجد هذا المستوى بين 1400 و 2000 متر، والآخر ابتداء من 1800 متر ويميل إلى الغابوي ويتكون من أشجار العرعار والمران أو الضرضار مصانة بشكل لا بأس به على مساحات كبيرة.

وتتطور بصفة خاصة غطاءات الحلفاء (stipa tenacissima) موفرة مراعي ممتازة للقطعان، ونجد كذلك في هذا المستوى عدة باقات من الدوم (chamerops humilis) .

أما الشجيرات المتفرقة فتتمثل "في الأسفل في العرعار الأحمر (jupinus phaenicca) ، وفي الأعلى في العرعار الفواح الذي يبلغ – نظريا لأنه اختفى –قمة أمالو ن منصور (2712م). وتختلط هذه الشجرة الأخيرة مع المران أو الضرضار (fraxinus xanthoxyloides). ولا يوجد البلوط الأخضر إطلاقا، إذ قضي تماما على هذه الشجرة – التي تقع بين العرعار الأحمر والفواح – من الغطاء النباتي بفعل الجفاف الذي يضرب بقوة تكاد، كما هو الحال هنا، تزيل مستويات متوسطة من الغطاء النباتي توافق منطقة الرطوبة القصوى، وهكذا يتحقق الإتصال النادر بين العرعار الأحمر والعرعار الفواح. وفي الوديان والمسيلات حيث يبقى الماء مدة تطول أو تقصر، تكثر أشجار الدفلى التي تختلط بها هنا وهناك أشجار الدبق ذات الثمار الحمراء (viscum cruciatum) والأرند le gatilier (vitex agnus castus)، ونادرا ما نرى الصفصاف الأرجواني /22/ (selix purpurea)، والصفصاف الأبيض والأسود (populus alba & p. nigra) والشمشاد أو بقس الباليار (buxus balcarica) الذي يبدو أنه لا يوجد إلا في مكان واحد.

ومن بين النباتات غير الشجرية نسجل عددا كبيرا من أنواع الأطلس الكبير والصغير، حيث ينطبق طابع النبات مع استنتاجات الجيولوجيين كلاريون وتيرميي، اللذين بينا أن صاغرو ينتمي إلى الأطلس الصغير، أما الأنواع المستوطنة فقليلة. ويبرهن وجود أفق غابوي والكثرة النسبية للدوم النادر جدا في الأطلس الصغير والغائب في السفح الجنوبي للأطلس الكبير على ظروف مناخية أقل قساوة مما يمكن افتراضه "[13].

وفي السهول الطويلة المجاورة لباني والتي يسميها الأهالي الفايجة[14] وإلى الجنوب منها تصبح النباتات صحراوية، حيث نجد عادة شجر الطلح من النوع الشوكي (acacia tortillis)، والطرفاء (إيتل أو تاكاوت و أفرسيك) وأغلبية نباتات الإبل الصحراوية : الضنون وزازا والدبال وأومزين وألندا ومركبا والضمران والسفار[15]، كما أن النبتة شبه المدارية calotropis prolifera موجودة.

(13) L. Emberger, "A travers le Maroc nouvellement pacifié. Ce qu'a vu le botaniste", dans Le Monde Colonial Illustré, n° de janvier 1934, p. 9

(14) يطلق هذا الإسم على المنخفض الكبير جنوب باني، مشكلا ممرا كبيرا يمتد غرب وادي درعة إلى سوس.

(15) Rapport du lieutenant Dugrais sur la reconnaissance automobile Zagora - Bou Rebiaa, mars 1932.

ويبدو أن ذبابة "الذباب"الخطيرة بالنسبة لقطيع الإبل غير معروفة في الفايّجة ، إذ لا تذكر إلا في وادي درعة أسفل لمحاميد.

تشكل الواحات مراكز فلاحية مزدهرة أحيانا، حيث يمارس الأهالي في الغالب الزراعة على ثلاث مستويات، فنشاهد تحت النخيل بساتين غنية وحقولا جميلة من الشعير أو القمح، وتضم البساتين أشجارا مثمرة من كل الأنواع: كاللوز والخوخ والمشمش والبرقوق والتفاح والتين والسفرجل والرمان وبعض أشجار البرتقال والليمون.

ويزرع الشعير والقمح والذرة البيضاء والصفراء والفول والعدس والجلبانة مع الحناء والنيلة والعديد من الخضراوات كالجزر واللفت والبصل والثوم /23/ والكرنب والشمندر والباذنجان والفلفل والقرع والبطيخ والدلاح والخيار ونادرا البطاطس.

يوفر النخيل تمورا من النوع الجيد أحيانا، وتتمثل الأنواع الأكثر انتشارا في بوفقوس والجيهل وأجليد والجعفري والحموري وإيكلان وبوزكري. ويعتبر بوزكري والجيهل أكثرها استحسانا لتحملها ظروف السفر ومن ثم إمكانية بيعها في حالة جيدة بمراكش، في المقابل يصعب نقل الأنواع الأخرى بسبب تخمرها السريع، ولذلك تعجن في شكل قوالب وتخزن.

ويكتسح البايوض واحات تافيلالت وحوض المعيدر، وهو مرض يجفف أشجار النخيل ويسبب وفاتها، وكانت درعة في الماضي قد عانت من هذا الوباء، غير أن غابات النخيل أعيد غرسها منذئذ وإن كانت بعض الأشجار قد أصيبت من جديد.

وتوجد أشجار تاكُوتْ tamarix articulata في كل الواحات، وهي نوع من الطرفاء تعطي العفصة المعروفة ب"تَكّاوْتْ "المستعملة في دبغ الجلود، وتكثر خاصة في بلاد أهل سكورة (دادس) ومزكيطة (درعة).

ويجدر عدم تكوين وَهْمٍ عن ثروات واحات الجنوب الشرقي المغربي، والحذر من المبالغات التي قد تنتج عن التناقض بين الواحات الخصبة نسبيا والمناطق الصحراوية المحيطة بها، فهناك اختلافات كبيرة بين هذه الواحات حسب قربها أو بعدها عن مجاري الأنهار العليا التي أوجدتها، والأكيد أن أغناها هي واحات تودغا الواقعة في قدم الأطلس الكبير، ودادس الخالية من أشجار النخيل باستثناء منطقة سكورة، ودرعة إلى مشارف رباط تينزولين.

بالمقابل تعتبر تافيلالت القليلة المياه بئيسة إلى حد ما، أما واحات حوض المعيدر وغابة نخيل لمحاميد فأكثر جفافا، بينما تشكل لكتاوة غابة نخيل ضخمة تنتج ثمارا ممتازة رغم كونها أقل سقيا. وبصفة عامة فإن الأشجار المثمرة الكثيرة في الواحات حيث وفرة المياه تقل في المقاطعات الجنوبية لدرعة وتازارين وتاغبالت وفي وادي حصيا.

/24/ إن العلاقات التجارية مع المغرب الشمالي متطورة نسبيا، إذ تعتبر درعة ودادس وتودغا وتازارين زبناء لمراكش، أما فركلة وغريس وزيز وتاغبالت فتتجه إلى فاس أو الجزائر. وتأتي قوافل

الجنوب إلى أسواق مراكش وفاس بالتمور والورود المجففة والتين والحناء والنيلة وتاكاوت والجلود، ثم تتزود منها بالمواد المستوردة (السكر والشاي والبن)، والسلع المصنعة (الشموع والأواني النحاسية والمنسوجات القطنية) والحبوب التي يعاد بيعها بفوائد في أسواق بلدانها الأصلية.

أما العلاقات التجارية بين الأطلس الصغير الغربي ودرعة وتافيلالت فهي محدودة، لأن هذه المناطق تنتج فعلا نفس المحاصيل المصدرة ولها نفس الحاجيات، وفي هذه الحالة تسعى كل منطقة لتصريف منتوجاتها أقرب ما يمكن والتزود بأكبر قدر من السهولة وأقل كلفة. وهكذا تتبادل السهول الشمالية للمغرب والواحات الصحراوية منتوجاتها وتتكامل مع بعضها بتنظيم علاقاتها التجارية عبر محاور شمالية جنوبية.

ومنذ استقرارنا في إفريقيا الغربية توقفت التجارة مع السنغال والسودان التي ظلت مهمة إلى غاية نهاية القرن التاسع عشر، إذ ساهم إلغاء نخاسة الزنوج والعبودية بقوة في اختفاء هذا النشاط[16].

أما الصناعة فلم تتطور كثيرا، إذ لا تنسج الزرابي ووحدها التجمعات الكبرى تتوفر على بعض الحدادين والنجارين. ومع ذلك تشغل دباغة الجلود يدا عاملة كثيرة في تافيلالت ولكتاوة، بحيث تحظى جلود هاتين المقاطعتين بسمعة جيدة لجودتها وتباع بسهولة في أسواق فاس ومراكش. وفي تامكروت، المشهورة بزاويتها، يصنع خزف مطلي أخضر، وأخيرا لازال بعض اليهود يشتغلون على المعادن ويصنعون منها حليا وأسورة وخناجر، حيث يشتهر ملاح أمزرو بالقرب من زاكورة بهذا الصدد.

وعلى العموم تعتبر موارد تربية الماشية والزراعة ضعيفة بحيث لا تكفي لسد حاجيات السكان، مما يضطر معه العديد من قَبَالَة [17] (أهل الجنوب) إلى /25/ الهجرة موسميا كل سنة لكسب القوت بالعمل في أوراش وضيعات المغرب الشمالي، بينما لا يغادر أمازيغ آيت عطا بلادهم بصفة عامة.

- 6 -

يقدم الجوار بين السهوب والواحات تناقضات صارخة من الناحية البشرية، ففي الواحات تتكدس ساكنة كثيرة مستقرة[18] وكثيرة التوالد، متكونة من ثلاثة عناصر إثنية :العربي والأمازيغي والزنجي .أما السهوب فتجوبها مخيمات الرحل الأمازيغ أو العرب. ويُعتبر المستقِر المرتبط

(16) نلاحظ هنا نموذجا من التفسيرات التي ظل الكتاب الإستعماريون يعتمدونها لتبرير الأضرار الإقتصادية التي ألحقها الإستعمار بمختلف الشعوب، بحيث توحي وكأن الركيزة الوحيدة للمبادلات عبر الصحراء تمثلت في النخاسة (المترجم).

(17) قبالة أو إيقبليين بالأمازيغية، نسبة إلى القبلة وتعني الجنوب في المغرب، وتطلق اللفظة على الملونين والخلاسيين عموما في واحات الجنوب الشرقي، وهي مرادفة للحرطاني. (المترجم).

(18) نشير هنا إلى أننا على طول الكتاب ترجمنا كلمات sédentaires و sédentarisation بالمستقرين والإستقرار بدل الحضريين والتحضير، على اعتبار استقرار الرحل في قرى وليس في حواضر. (المترجم).

بالأرض والمسترخي بفعل حياة الواحات السهلة[19]، كائنا ضعيفا تعوزه الشجاعة والحزم وثرثارا وقحا ومتملقا في آن واحد، ولكنه ماهر وحذق. أما البدوي الذي عركته حياة الصحراء فهو شجاع وبسيط وصبور ولكنه كسول بمجرد ما يلبي حاجاته المتواضعة، إنه سيد يتلقى الغرامات من المستقر الخاضع.

ومن الغريب أن العرب في أغلبيتهم مستقرون باستثناء اعريب وبعض أولاد يحيى الذين ظلوا رعاة وقوافليين. وتتمثل القبائل العربية الرئيسية في أولاد يحيى والروحا واعريب القاطنين بوادي درعة، وبني امحمد المنقسمين على درعة وتافيلالت، وعرب الصباح المستقرين بغريس في أعالي تافيلالت، ويمثل العنصر العربي كذلك الشرفاء المنتمون لفرعي العلويين والأدارسة، حيث يوجد الأوائل بكثرة في تافيلالت خاصة بينما ينتشر الآخرون في بلاد آيت عطا.

ويعتبر آيت عطا الصحراء وآيت سدرات النموذج الأمثل للعنصر الأمازيغي، فاتحادية آيت عطا تضم 38 ألف نسمة يعيش عشرة آلاف منهم تقريبا في قلب بلاد آيت عطا، بينما يقطن الآخرون في أراضي غزو بتافيلالت ودرعة (آيت زري وتينزولين وترناتة وفزواطة ولكتاوة ولمحاميد)، و /26/تودغا وزيز وغريس وفركلة ودادس والأطلس الكبير. وتمثل كتلة صاغرو - أوكنات وغابة نخيل تازارين، الواقعتين في الوسط الجغرافي لمنطقة سكناهم، معقلهم الأساسي حيث يوجد" قلب "الإتحادية.

لازال معظم آيت عطا رحلا، فآيت سدرات يقطنون أعالي درعة ودادس ويملكون قطعانا كثيرة، ولكن استقرارهم متقدم جدا.

كما تجدر الإشارة كذلك، رغم كونها لا تدخل في إطار هذه الدراسة، إلى اتحادية آيت يافلمان[20] غريمة آيت عطا، التي تمتد أراضيها من مجاري أنهار تودغا - فركلة - غريس إلى السلسلة الرئيسية في الأطلس الكبير، بل تتجاوزها إلى وادي العبيد، إضافة إلى وجود مصالح لها في تافيلالت.

وأخيرا يمثل العنصر الثالث للساكنة، ذي الدور التاريخي والسياسي الخافت، فئة دنيا رغم كونه ليس أقل أهمية، لأنه يساهم بقسط وافر في الحياة الإقتصادية للبلاد، ويتكون من سكان مستقرين يطلق عليهم حسب المناطق دراوة وركاكة وفيلالة وأيضا قبالة، وهذه التسمية الأخيرة أكثر شمولية[21]. وينقسمون حسب أصولهم إلى طبقتين مختلفتين : الأحرار والحراطين، فالأحرار هم عرب أو أمازيغ مستقرون غير منضوين في قبائل ويعيشون في قصور، أما

---

(19) لا يستقيم في تقديرنا وصف حياة أهل الواحات بالسهلة، خصوصا بالنسبة للفلاحين منهم الذين يتطلب منهم العمل في الفدادين والسواقي بمجهودات جبارة قلما يستطيع غيرهم بذلها. (المترجم).

(20) ثاني أكبر الإتحاديات الأمازيغية في الجنوب الشرقي للمغرب، تتكون أساسا من آيت مرغاد وآيت إزدك، لعبت أدوارا حاسمة في سيرورة تاريخ المنطقة خلال التاريخ الحديث، الذي اقترن بصراعاتها مع غريمتها اتحادية آيت عطا. (المترجم).

(21) دراوة : أهل درعة؛ ركاكة : أهل الرك؛ فيلالة : أهل تافيلالت؛ قبالة : أهل الجنوب أو الجنوبيون (المؤلف). والحقيقة أن قبالة نسبة إلى القبلة وإن تطابقت مع الجنوب بالنسبة للمغرب، وفي الغالب يطلق آيت عطا على هؤلاء إيقبليين وإيملوان حسب المناطق (المترجم).

الحراطين فهم زنوج أو مولدون مستقرون بدورهم يختلطون بالأحرار، ينحدرون في أغلبهم من العبيد المستوردين قديما من السودان أو السنغال، ولكنه ليس مستبعدا أن يكون عدد منهم آخر ممثلي العنصر الأثيوبي القديم الزنجي الشكل، الذي يبدو أنه أول من سكن البلاد[22].

يمكن تقدير ساكنة درعة – تافيلالت بحوالي 157 ألف نسمة، وتتوزع إجمالا على الشكل التالي:

/27/ – وادي درعة 107.000 نسمة

– تافيلالت 40.000 نسمة

– بلاد آيت عطا بين درعة وتافيلالت 10.000 نسمة

ومن الصعب تحديد الحصة الخاصة بكل من العنصر العربي والأمازيغي بسبب كثرة تمازج الدم الذي حدث منذ القدم، فهذه عشيرة أمازيغية ولكنها في الحقيقة عربية الأصل بينما عشيرة مجاورة عربت في فترة معينة، ومع ذلك يمكن القول إن البلاد في معظمها أمازيغية أو تمزغت. يسكن المستقرون في القصور، وهي قرى كبيرة محصنة مبنية بالطّابية أو اللُّوح[23] و ذات سطوح محاطة بجدران، بعضها واسعة وجيدة البناء وذات معمار أنيق، بينما تبدو الأغلبية مهدمة. وداخل هذه القرى عجيب، حيث تتلوى أزقة ضيقة مغطاة في الغالب بين المنازل أو تحتها مقسِّمة القرية إلى أحياء، ويتوفر كل قصر على مسجده وساحة داخلية وباب أو عدة أبواب تتحكم في جوانبها أبراج تحصينية وشرفات ومراصد، وقد أجاد رولفس وفوكو وسيغونزاك في وصف هذه التجمعات السكنية الخاصة بالجنوب[24].

أما البدوي العربي أو الأمازيغي فيخيم إما تحت خيمة سوداء صغيرة في الغالب ومريحة أقل ما يمكن، وإما تحت أكواخ من الأغصان والجريد، فأعيان آيت عطا الأغنياء لا يحبون قط سكنى القصور، وعندما يفكرون في الإستقرار يفضلون بناء" تيغرمت "لأسرهم، وهي منزل منعزل ومحصن حيث لا ينزعجون من طرف جوار جد مباشر[25].

---

(22) انظر : Districts et tribus de la haute vallée du Dra, p.p. 95-96

(23) قصور المنطقة مبنية في الحقيقة إما بـ"الطوبية" حسب التعبير المحلي، أو باللوح أو "التابوت"، وهي تقنية خاصة بالجنوب تتمثل في دك التراب المبلل بين ألواح. (المترجم).

(24) انظر : Rohlfs Mein erster Aufenthalt in morokki, p.p. 441-442
Segonzac, Au cœur de l'Atlas, p. 1 (المؤلف) Foucauld, p. 210

(25) عندما يسكن آيت عطا قصرا انتزعوه من أعدائهم، يقبل الأعيان طبعا المنازل التي تعود لهم من نصيب الغزو. (المؤلف).

- 7 -

إن الجنوب الشرقي المغربي عموما بلاد فقيرة لا تستطيع إطعام كل سكانها، إلا أنه /28/ يمكن الإفتراض بإن التهدئة ستحسن بالملموس ظروف عيش سكان هذه الأراضي الشاسعة، كما لا ينبغي إغفال معاناة تافيلالت ومقاطعات درعة من انعدام الأمن، إذ كانت الحروب مستمرة والغارات والنهب متواترين بشكل استحال معه أي نشاط تجاري، كما كان الرحل يخسرون كل سنة قطعانا كثيرة بسبب النزاعات الداخلية بينهم، والمزارعون المستقرون يقلصون مساحة حقول القمح، وغالبا ما كانوا يعجزون عن جني محاصيلهم، كما كانت أشجار النخيل تتعرض للتلف والذبول لقلة العناية، وتخرب سواقي الري في الواحات مما يجعل مياه فيضان الأنهار تنحدر مع المجاري دون تخصيب أراضي البلاد، ولم يعد يعتنى بآبار الفايْجة.

أما الآن فإن تربية الماشية والزراعة يمكنها أن تتطور في كل أمان، كما أن تنظيم نقل المركبات الميسر بفضل الشبكة الطرقية الممتازة التي أقيمت في بضعة أشهر حسّن الصلات التجارية[26]. علاوة على أن مباشرة عدة أوراش لبناء وصيانة الطرق والأعمال الفنية والبناء وفرت موارد إضافية لقْبَالَة، وفي ذات الوقت بوشرت أبحاث لتحديد طبيعة البيوض لمكافحة هذا المرض الذي يصيب النخيل، وتتواصل عملية جرد منهجي للموارد المائية.

في هذه الظروف نأمل إعادة نهوض البلاد من خرابها، وتحقيق حالة توازن تدريجي تضع حدا للمجاعات الكبرى التي عانى منها الجنوب المغربي كثيرا خلال العشرين سنة الماضية. أكيد أن المناطق قبل الصحراوية لن تكون أبدا /29/ غنية، وستواصل توفير جيوش من العمال لحركات الهجرة الموسمية، ولكنها مع ذلك ليست محرومة بالكامل، فمن المفروض أن استثمارا صبورا وحذرا سيحسن في النهاية ظروف حياة قبالة بتوفير موارد كافية لأكبر عدد ممكن.

أخيرا يجب ألا ننسى أن باطن الأرض لم يكتشف بعد ويستحيل ألا يحتوي طبقات مهمة من المعادن، فكتلة صاغرو أوكنات تتوفر بالفعل على نفس البنية ونفس التركيبة الجيولوجية لمرتفعات خلاء تيفَرْنِينْ حيث اكتشفت عروق مهمة لمعدن الكوبالت[27].

---

(26) المسالك الرئيسية الصالحة للمركبات هي الآتية :

1 - ورزازات - بومالن - تودغا - فركلة - أرفود - الريصاني (تافيلالت)؛ 2 - وارززات - تازناخت - تالوين - تارودانت؛ 3 - تازناخت - اكدز - زاكورة - لكتاوة - لمحاميد (منعرج درعة) - حاسي بيضا (حمادة درعة)؛ 4 - تازناخت - فم زكيد؛ 5 - فم زكيد - تازارين؛ 6 - اكدز - النقب - تازارين - تاغبالت؛ 7 - تازارين - آيت سعدان - النيف - تيزي ن بوجو - فركلة؛ 8 - النيف - الريصاني (تافيلالت). (المؤلف).

(27) اكتشفت أساسا في بوزار على طريق تازناخت - أكدز، وفي الكارة إلى الجنوب من هذه الطريق. (المؤلف).

القسم الثاني

1 - المميزات العامة لآيت عطا ماضيهم؛ العوامل الراهنة للإنحطاط.

2 - التشكيل الإجتماعي : الإتحادية، القبيلة، الفخذ، العشيرة، التغييرات الطارئة على التنظيم القبلي البدائي، اللفوف ومواثيق التحالف.

3 - التنظيم القضائي : الأعراف.

4 - المؤسسات السياسية : التنظيم النظري؛ الصلاحيات المضافة للتنظيم البدائي.

5 - الترحال وطابعه الضيق.

6 - القصر وتيغرمت؛ السلاح؛ اللباس؛ الغذاء.

7 - الديانة.

8 - الصناعة والتجارة.

/31/

- 1 -

ينتمي معظم آيت عطا الصحراء إلى أمازيغ صنهاجة من الطبقتين الثانية والثالثة[1]، ويطلقون على أنفسهم بافتخار"إيمازيغن" : الرجال الأحرار، وضمنهم بعض العناصر العربية من أصول معقلية تمزّغت حاليا، كما ينحدر بعضهم كذلك من الزنوج السودانيين الذين أتوا إلى المغرب مع المرابطين أو من الحراطين المقبولين في صفوف إيمازيغن، وهناك آخرون قد ينحدرون من قبائل يهودية قديمة أسلمت[2].

ويعتبر دادّا عطا جدهم الذي يحملون اسمه، أحد أقارب أو مريدي الشريف الإدريسي مولاي عبد الله بن حساين ، وقد تمكنت هذه الشخصية الصوفية خلال القرن 16 أن تجمع تحت كنفها قبائل رحل أمازيغية تطابقت مصالحها وحاجياتها. وكانت هذه العناصر المختلفة التي شتتها غزو عرب معقل والمنتشرة بين منعرج درعة والأطلس والخاضعة للتبعية تبحث عن كيفية إعادة التشكل، ولا شك أن مقامهم في مناطق شبه صحراوية حيث الحياة قاسية جدا وإدراكهم في ذات الوقت لمهَانَتِهِم وقوتهم، قد أثر في رد فعلهم العنيف ضد السيد العربي.

وتجلى أثر تدخل دادا عطا في بلورة هذه الإتجاهات أولا ثم في توحيد وتنظيم الأمازيغ[3]، وقد كتب أوغست كور A. Cour محقا أنه في أواخر /33/ القرن الخامس عشر استرد ملاك الأرض القدامى في كل البلاد التي طالها الزحف المعقلي زمام المبادرة، وبدأوا في التحالف تحت مسميات جديدة وشرعوا في مواجهة الغزاة.

إن كثيرين من آيت عطا من أصل صحراوي، وقد كتب بوميي Beaumier سنة 1847 أنه إلى عهد قريب كانوا يطلقون شعورهم الطويلة تماما مثل ما هو الحال الآن لدى موريي الصحراء

(1) حسب تصنيف ابن خلدون، ينتمي صنهاجة الصحراء (المرابطون) إلى الطبقة الثانية، وصنهاجة الأطلس (أغلبهم الموحدون المصامدة) إلى الطبقة الثالثة. (المؤلف).

(2) بالخصوص آيت يعقوب من آيت إيعزا . فقد كانت درعة لمدة طويلة مركزا مهما للحضارة الإسرائيلية، وكان قسم كبير من قبائل الأطلس تعتنق اليهودية عند الموجة الأولى من الفتوح العربية. أما إيكناون من آيت واحليم فلعلهم من أصل سوداني، فاسمهم يقترب من كناوة، الزنوج المعروفون في المدن المغربية. (المؤلف).

(3) Cf. Districts et tribus de la haute vallée dc Dra, p.p. 61-62. : يعد مارمول كارباخال اول مؤلف من القدمـــاء يـذكر آيت عطا، فقد جاء في كتابه وصف أفريقيا، المنشور سنة 1571 ما يلي : "إقليم Ytala الفصل 29، إنه إقليم في مثل كبر إقليم دارعا على حدود ليبيا وممتلكات تافيلالت، يطلق عليه السكان إسم غاريب Garib، وهم أناس مختلطون لا يتكلمون جيدا لا العربية ولا الإفريقية، ولكنهم شجعان ولهم جياد قوية يطعمونها الثمور لقلة الشعير، يسكنون بين النخيل التي تمثل موردهم الرئيسي، ويجاورهم بربر آخرون Sicutna (سكتانة) و Etnazguit (آيت واوزكيت) وكلهم اتباع الشريف" (المؤلف).

الغربية[4]، كما سجل هاريس Harris سنة 1895 أن آيت إيعزّا أُولْتُورُوكْ يشبهون القبائل العربية الصحراوية أكثر مما يشبهون الأمازيغ الذين يدعون قرابتهم[5]. ولكن هناك أيضا نقاط مشتركة كثيرة بين آيت عطا وآيت يافلمان وآيت إسري وآيت سخمان وزايان في الأطلسين الكبير والمتوسط، وكلها قبائل صنهاجية يطلق عليها اللفظ العام آيت أومالو[6]. ويعتبر العطاوي لغةً وطبعا وتقاليد قريبا من الزّياني أو المكيلدي أكثر مما هو من شلْح الأطلس الكبير الغربي، إذ سمع عن زايان وآيت إسري وآيت سخمان، كما يعرف زعماءهم وتاريخهم ومعاركهم وقطاع طرقهم، بينما يجهل كل شيء تقريبا عن شلوح مصمودة.

وعلى غرار كل الرحل المختلطين كثيرا بالعناصر الصحراوية يتميز العطاويون بمزاج فوضوي[7]، /34/ ومع ذلك يمتلكون نوعا من الحس التضامني خاصة أمام الخطر، ورغم انقسامهم بسبب نزاعات داخلية فإنهم ليسوا مجزئين إلى عدة لفوف متصارعة واضحة بدقة، مثلما هو الحال عند الجبليين المستقرين الذين جزأهم بكثرة الفصلُ الجغرافي لبلادهم.

والحقيقة أنه يصعب التعريف بآيت عطا وإعطاء لمحة عن الخطوط الرئيسية لطباعهم في بضعة أسطر، بحيث بقدر ما نتعرف عليهم أكثر نكتشف بالفعل أن أي تأكيد بخصوصهم يشتمل على مُلَطِّف، ولكنه من الطريف مع ذلك ولا يخلو من فائدة وضع لوحة صغيرة لحقائق مقبولة على عجل تكشف عند الممارسة أنها غير كاملة أو خاطئة:

"آيت عطا غدارون"، ولكن يحدث في الغالب أن يحترموا تعهداتهم؛

"ليسوا إلا نهابا وقطاع طرق، غير قادرين على مواجهة معركة نظامية وتحمل الخسائر"، ومع ذلك أبدوا في صاغرو أمام قواتنا التي تفوقهم عددا وتسليحا وتنظيما مقاومة يائسة ورائعة أثارت إعجابنا؛

"لا يعرفون إلا مصالحهم"، ولكن في سنة 1933 وفي صاغرو دائما ضحوا بكل قطعانهم دون تردد، وقبل ذلك بسنة آثر آيت خباش المنفى على الخضوع[8]؛

(4) Beaumier, Du pays du Dra, Archives des affaires étrangères, Mémoires et documents, vol. 4, ff. 218-225.

(5) W.B. Harris, Tafilalt (1895), tr. Lt. Col. Redier.

(6) تنتمي حسب تصنيف ابن خلدون للطبقة الثالثة من صنهاجة، ويقسم كتاب الأنساب بدوره صنهاجة إلى صنهاجة الجنوب وصنهاجة الظل، علما بأن آيت أومالو تعني أهل الظل، وأطلق هذا الإسم على آيت عطا القاطنين بالسفح الشمالي للأطلس القليل تعرضا للشمس من السفح الجنوبي. (المؤلف). يجب الإنتباه إلى أن آيت أومالو يطلق على قبائل غير عطاوية تضم إيشقيرن وآيت سخمان وغيرها، في حين أراد سبيلمان الإشارة هنا إلى آيت عطا ن أومالو، تمييزا لهم عن إخوانهم الذين ظلوا جنوب شرق الأطلس آيت عطا ن وسامر، وتعني أهل الهاجرة (المترجم).

(7) تنمي حياة الصحراء، بتقوية الطبائع، الفردانية التي تشارف غالبا الفوضى، ولكنها تفرض أيضا كنتيجة سعيدة التضامن الحقيقي بين الرحل، بحيث يرضى هؤلاء طوعا أو كرها بانضباط صارم. وعندما يتفكك هذا التضامن الناتج عن اختيار حر لسبب أو لآخر، تظهر الميول الفوضوية مدمرة الحياة الجماعية وتؤدي إلى تفكك القبيلة، لتبقى وحدها في النهاية المجموعات التي تمكن أفرادها من تغليب المصلحة العامة على مصالحهم الخاصة. (المؤلف).

(8) يشير سبيلمان إلى إحدى صفحات مقاومة آيت عطا المجهولة، حين نزح آيت خباش من مضارهم جنوبي تافيلالت أمام زحف القوات الإستعمارية، وأبلوا البلاء الحسن في الجهاد في درعة وباني إلى ان استسلموا في لبيار، يرجع إلى مؤلفنا : **مقاومة الهوامش الصحراوية للإستعمار**، دار أبي رقراق، الرباط، 2005. (المترجم).

"يسخرون من الدين ويتصرفون كوثيين ويُزعِجون أو يقتلون النُّسَّاك المرابطين"، بيد أن لهؤلاء تأثير ما عليهم، ولديهم طُلْبَة ومساجد، وفي قتال بغداد يوم 14 فبراير 1933 لم يفتحوا النار إلا بعد أن رددوا شهادة " لا إله إلا الله محمد رسول الله"؛

"إن آيت عطا رحل أساسا" ، ومع ذلك /35/يستقرون عن طيب خاطر ويوفقون جيدا في هذا النمط الجديد للعيش(9)؛

"إن آيت عطا ديمقراطيون مساواتيون ولا يتحملون أية سلطة"، بينما نعرف أعيانا يمارسون عليهم نفوذا أكيدا؛

"إنهم أمازيغ أقحاح خالين من أي اختلاط"، ونعرف الآن أن كثيرين من أصل عربي بل إن بعضهم ينحدرون من زنوج سودانيين أو يهود؛

"لم يعد آيت عطا إلا شتاتا من القبائل المتعددة لا صلات حقيقية بينها"، ولكنهم نجحوا في الحفاظ على تضامن معنوي واضح جدا بين الجبليين أو القصوريين المرتبطين كلية بالأرض وأنصاف الرحل قبل الصحراويين؛

"لم يخضع آيت عطا قط للمخزن، حيث أبدوا تجاهه دائما تمسكا شرسا بالإستقلال"، بينما نعرف أنه عن طريق أعيان مسموعي الكلمة مارس كلاوة نفوذا واضحا جدا على العديد من العشائر.

إنهم في الحقيقة كل هذا في آن واحد، إذ يبدون حسب المناسبة غدارين وأوفياء، ونُهَّابًا بدون مجد وشجعانا، جشعين ولامبالين، غير متدينين وشديدي الإيمان، رحلا ومستقرين، ديمقراطيين وأوليغارشيين، بدون انسجام ومع ذلك متضامنين بينهم، مستقلين وأحيانا في اتصالات مشبوهة مع ممثلي المخزن الذي يحتقرونه ويكرهونه.

إن عقليتنا اللاتينية تميل إلى تصنيف وتدقيق كل شيء، فلكي يتسنى فهم الناس يجب أن يدخلوا ضمن فئات جد محددة، ويجب أن يكون لهم هذا النمط من العيش وتلك العقلية وذلك التنظيم الإجتماعي .غير أنه لا شيء أكثر خطأ من مثل هذه التصورات المبسطة والمريحة عند الإحتكاك بالواقع، ومن ثم يجدر قبل كل شيء التخلي عن مستبقاتنا والبقاء محايدين، فقبل تناول الخطوط الواضحة لطبع آيت عطا، من اللازم تحديد بلادهم وإعطاء لمحة موجزة عنها، لأن دراسة الوسط الجغرافي تسمح فعلا بالتعرف أحسن على حاجياتهم ومن ثم فهمهم أحسن.

(9) يمكن أن نورد كمثال آيت أوسيكيس وآيت مسمرير وآيت أونير برنات وآيت عطا نومالو الأطلس المتوسط وآيت والال بني مطير مكناس، وغيرهم. (المؤلف).

يسيطر آيت عطا منذ قرون على كل /36/ المنطقة الواقعة بين خط دادس -تودغا -فركلة - غريس شمالا، وتافيلالت والداورة شرقا، ودرعة ضمنها غربيا؛ أما جنوبا فلا يحدهم إلا إيغيدي الصحراوي الصعب الإختراق.

خارج هذا المجال الشاسع للإستقرار توجد تجمعات مهمة من آيت عطا في أُوسِيكِيسْ ومْسَمْرِيرْ (أعالي وادي دادس) وفي منطقة أزيلال -أحنصال وفي واويزغت[10].

يسوق آيت عطا قطعانهم لترعى بالأطلس الكبير من جهة، وإلى وادي درعة الأسفل حتى مشارف طاطا[11] من جهة أخرى، وقبل احتلالنا للواحات الجزائرية كانوا يبتزون غرامات دورية من سكان توات وكورارة، وكانت غاراتهم تصل أحيانا إلى تيديكلت، وأخيرا نجد بعض جاليات آيت عطا في الأطلس المتوسط وحتى أبواب مكناس[12].

/37/ تشكل سلسلة صاغرو - أوكنات وغابة نخيل تازارين قلب بلاد آيت عطا، أما واحات درعة ودادس وتودغا وفركلة وتافيلالت فليست إلا أراضي تمت السيطرة عليها حديثا وبالتالي فهي للإستغلال. وتجعل منهم بنية بلادهم في آن واحد أهل سهل وجبل، رحلا وقصوريين، ويعرفون قساوة كل من المناخ الصحراوي ومناخ المرتفعات.

وتتوزع قبائلهم في الغالب من الجنوب إلى الشمال انطلاقا من الحدود الشمالية للصحراء إلى سلسلة الأطلس الكبير، وتضم كل واحدة منها أفخاذا ذات أنماط عيش جد مختلفة بسبب ظروف الحياة الخاصة بمحل سكناها، إذ تختلف حاجاتهم ومصالحهم حسب المناطق الشيء الذي لا يعدم التأثير في مؤسساتهم.

كما يكشف آيت عطا عن عالم صغير كامل من شتى أشكال التنظيم القبلي، بيد أن التعديلات التي أدخلوها على أعرافهم القديمة مستقاة دائما من التقاليد الأمازيغية ومن ثم مطابقة

(10) إنهم آيت واحليم وآيت إيعزا وآيت إسفول وآيت أونبكي أوسيكيس ومسمرير، وآيت أونير برنات المقيمين في بلاد آيت امحمد جنوب أزيلال، وآيت بويكنيفن تالماست غربي زاوية أحنصال وآيت عطا نومالو الذين يقطنون منخفض واويزغت (المؤلف).

(11) في بداية هذا القرن (العشرين) فرض آيت عطا على إيدا وبلال أداء غرامة سنوية (المؤلف).

(12) يمثل زحف أمازيغ الصحراء نحو الشمال بحثا عن السهول الأطلنتيكية الغنية واقعا تاريخيا معروفا، إذ نعلم أن كروان وبني احسن وزمور المستقرين حاليا في ناحية مكناس وفي الغرب كانوا يقطنون قديما صاغرو حيث حل محلهم آيت عطا، الذين لم يشذوا كذلك عن القاعدة المشتركة، إذ تم زحفهم نحو الشمال كما لاحظ ذلك القبطان دو لاشابيل عبر ثلاثة محاور : وادي دادس ووادي أحنصال غربا، وادي غريس في الوسط ووادي زير شرقا. وقد نجحوا جزئيا في القطاع الغربي بحيث تنتشر تجمعاتهم على طريق الإنتجاع الكبرى والطريق التجارية دادس - تادلة، ويمكن أن نعزي نجاحهم إلى علاقات الصداقة التي ربطتهم بمرابطي أحنصال. وفي المقابل فشلوا في الوسط والشرق حيث لم يكن لهم أي دعم ديني، كما اصطدموا بقبائل من نفس الطبقة غالبا ما تنتمي لعشائرهم ذاتها. والتي كانت في نفس مستوى قتاليتهم واستطاعت إيقاف تقدمهم بعد تأسيس اتحادية أخرى هي آيت يافلمان، استعملها السلاطين للحد من تقدم آيت عطا. وتجدر الإشارة إلى أن آيت إزدك وآيت مرغاد من آيت يافلمان يعتبرون انفسهم آيت عطا في الأصل. غير أن عناصر مختلفة من آيت عطا والال عند بني مطير مكناس، وبعض آيت إيسفول في غريس وعند آيت يوسي بكيكو، وبعض آيت علوان عند نتيفة وآيت بوزيد وآيت إسحاق، وبعض آيت خباش، في أعالي زيز وعند آيت يوسي وبني جليداسن الورانيين. وفي السفح الجنوبي للأطلس تعود أصول بعض العائلات من أهل دادس وسكورة بعض إيمغران إلى آيت عطا. (المؤلف).

ل"عبقرية الجنس"، وهذا الخيط الموجه لا يجب أبدا أن يغيب عن النظر، فهناك تطور وتكيف لديهم، وليس تحولا جذريا.

على غرار كل الرحل يفتخر العطاوي بقبيلته وأصوله وماضيه، وقد أصدر ابن خلدون الحكم التالي على الملثمين[13]، وهم شعب من الطبقة الصنهاجية الثانية التي كانت تسكن الصحراء الغربية "وبتفاديهم البلاد المتحضرة ألفوا العزلة، ونظرا لكونهم خطيرين وشرسين لم يخضعوا قط لنير أي هيمنة أجنبية[14]"، كما ذكر أن زناكة الطبقة الثالثة "يتميزون عن غيرهم من /38/شعوب المغرب بكثرة عددهم وشجاعتهم وتشبثهم بالإستقلال، وتسكن قبيلتهم الأقوى الجبل المطل على تادلة وينحدر زعماؤها من أسرة عمران الزناكي، ونظرا لقوتها التي مكنتها من الصمود في وجه نفوذ السلطان فإنها تدافع عن نفسها ضد القهر وتتفادى هوان أداء الضريبة"[15].

في سؤال لسيكونزاك Segonzac سنة 1905 عن تقسيماتهم وأهميتهم العددية، أجيب" بأن الله وحده قادر على إحصاء آيت عطا، أما بلادهم فلا حدود لها[16] من ناحية الجنوب والشرق"، وبعد ذلك ببضع سنوات أوردت شخصية دينية هذا الجواب المفعم بالتهكم الصلف الذي واجه به أحد شيوخهم جابيا للضرائب بعثه المخزن قديما و"حَقّ داداً عَطّا الْمَعْطَى ما يْنَعْطَا[17]"، والذي يعني تقريبا قسما بدادا عطا بعدم دفع ما يجب إعطاؤه (الضرائب) أبدا؛ إنه لا يعدو كونه فورة أو نزوة ولكنه يعبر في كلمات قليلة عن مشاعرهم كلهم تجاه ما يجب دفعه من ضرائب وكُلَف[18].

وأخيرا في سنة 1930 عندما قصفت طائراتنا قصراً لإيلْمْشَانْ الذين كبد محاربوهم قواتنا من بَرْطِيزَا خسائر مهمة، بعثتُ رسالة لهؤلاء العطاويين لنشرح لهم بأننا لا نريد حرب إبادة ومستعدون لإظهار تسامحنا إذا أوقفوا الإعتداءات من جهتهم، فاكتفى عسو وباسلام شيخ إيلمشان ببعث البرقية التالية: "على من كتب هذه الرسالة أن يأتي هنا ليلقى الجواب".

(13) Histoire des Berbères, tome II, éd. P. Casanova, p. 64 ويعني لفظ الملثمين حاملي اللثام أو الحجاب، ويقصد بهم المرابطين المشهورين في تاريخ المغرب؛ وكان إيمسوفة مرابطين ويشكلون الآن عشيرة من آيت والال (آيت عطا). (المؤلف).

(14) الإقتباس ترجمة لما ورد عند سبيلمان، أما ما كتبه ابن خلدون في كتاب العبر عن موضوع الملثمين فهو: "هذه الطبقة من صنهاجة هم الملثمون الموطنون بالقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب، أبعدوا في المجالات هنالك منذ دهور قبل الفتح لا يعرف أولها، فاصحروا عن الأرياف ووجدوا بها المراد وهجروا التلول وجفوها، واعتاضوا منها بألبان الأنعام ولحومها انتباذا للعمران واستئناسا بالإنفراد وتوحشا بالعز عن الغلبة والقهر، فنزلوا من ريف الحبشة جوارا وصاروا بين بلاد البربر وبلاد السودان حجزا، واتخذوا اللثام خطاما تميزوا بشعاره بين الأمم"، مجلد 6، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ص. 214؛ مما يكشف تصرفا فيه نوع من التعسف بإقحام ألفاظ الخطورة وعدم الخضوع قط للهيمنة الأجنبية. (المترجم).

(15) Histoire des Berbères, tome II, p. 122 ، نعرف أن زناكة مرادف لصنهاجة، حيث لا تزال توجد زناكة على السفح الجنوبي الشرقي لسيروا. (المؤلف).

(16) Au cœur de l'Atlas, p. 88.

(17) تروى هذه الكلمة المأثورة بصيغ مختلفة كما هو الشأن لمثيلاتها في الموروث الشعبي، إلا أن أكملها وأكثرها تعبيرا هي: "وَحَقّ دادًا عطا المَعْطا ما يْتَعْطا واخًا يْوَلّي جبل صاغرو وْطا"، علما بأن هذا الكلام العربي المسجوع ليس من لسان القوم باعتبارهم أمازيغ وإنما من نظم غيرهم. (المترجم).

(18) Denoun, Renseignements complémentaires sur les Aït Atta, décembre 1924, p. 13

عندما نعيش قليلا في احتكاك مع آيت عطا نتأثر بنبلهم وكرامة موقفهم، فلا توجد لديهم أية عبودية، إنهم أناس يتكلمون مع الناس الآخرين الند للند، ولا يشذ عن هذه القاعدة إلا بعض آيت حسو وآيت والال أو آيت علوان، المنتمين كلهم لأفخاذ في طريق التدهور.

/39/إن العطاوي لا يشعر بالنقص والصَّغار حتى في حالة انهزامه، ففي صاغرو وخلال مفاوضات الإستسلام كان أعيانهم يمثُلون أمام مراكزنا المتقدمة هادئين ووقورين، ولم يبدوا أبدا محطمين رغم أن أهلهم بلغوا النفس الأخير من قوتهم، مؤمنين بأن القدر لم يسعفهم ومستسلمين لمشيئة الله وواعين بأنهم حافظوا إلى النهاية على تقاليدهم العريقة في الإستقلال والشجاعة. ويتميز آيت عطا بكبرياء جنسهم، فإذا كانوا في البداية قبلوا بعض العناصر المختلفة لإكثار العدد، فيبدو أنهم بمجرد بلوغ هذه النتيجة أدركوا مخاطر الإختلاط المكثف للدم، وللبقاء أنقياء من كل زواج خارجي لم يتزاوجوا إلا فيما بينهم، بحيث لا يحبون الإرتباط بنساء الغرباء لكنهم يقبلون استثناء منح بناتهم للشرفاء، وهو امتياز لايستحقه في نظرهم إلا الأحفاد المباشرون للرسول؛ والغريب أن بعضهم يعتبرون أنفسهم منحدرين من قبيلة عرب قريش الأرستقراطية دون الشك في مدى تناقض هذا التأكيد بالنسبة لأمازيغ غيورين على ماضيهم. جدير بالذكر أيضا أن العطاوي الحقيقي يعتبر العمل في الأرض انحطاطا، فقليلون هم الذين يحرثون بأيديهم لأن هذه المهمة الثانوية موكولة لخماسين أو حراطين، وبالطبع يشترك آيت عطا مع كل الرحل - أمازيغ كانوا أم عربا -في هذا الشعور المحتقر للفلاح، إذ يقول الرسول عن المحاريث: "لا يدخل هذا بيت قوم إلا أدخله الله الذل"[19].

ولا نجد ضمن آيت عطا إلا عددا ضئيلا من الخطباء ذوي الكلام الطنان، فهم على العموم مراقبون متحفظون قليلو الميل لإبداء الأسرار، ولكنهم مرحون ولطيفو المعشر بالمناسبة، وأكثر ما يحبون المناقشة حيث يبدون في المحادثات دقة ومنطقا وقدرة على المقاومة، ومهارة جدلية تجرد مخاطبيهم من أسلحتهم الفكرية وتذهلهم وتتعبهم. إذ يمكنهم الجلوس لأيام كاملة يناقشون نقاطا تافهة، ثم عندما يسوَّى كل شيء /40/ ينهضون مبتسمين نشطين مستعدين للمشي عشرة أو إثنتي عشر أو خمسة عشر ساعة للإلتحاق بمضاربهم، بينما ينسحب النصراني في مثل هذه اللحظة إلى خيمته فارغ الذهن ومنهار الأعصاب تقريبا، مما يفسر ربما كثيرا من سوء الفهم، فهم لا يندهشون بتاتا أمام ممثلي السلطة، منتقدون ومعارضون ويملكون روح دعابة وسخرية.

(19) Cf. Gautier, les siècles obscurs du Maghreb, p. 91. ترجم كوتيي الحديث "لا تدخل هذه الأشياء بيتا إلا ودخل معها الذل": والحديث أورده البخاري مرفوعا إلى محمد بن زياد الألهاني عن أبي أمامة صدي بن عجلان الباهلي قال: ورأى سكة وشيئا من آلة الحرث فقال: سمعت رسول الله يقول وروى الحديث أعلاه. لكن يجدر التنبيه إلى أن سبيلمان أخرجه عن سياقه متعسفا في تعميمه، فما وقفنا عليه هو نهي الرسول (ص) عن الإشتغال بالفلاحة وترك الجهاد في سبيل الله، حيث قال صلى الله عليه وسلم: "إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم"، رواه أبو داود في السنن، كتاب البيوع. (المترجم).

إن كل هذه الطباع تبدو ودية إلى حد ما، ولكن هذا لا يعني أنهم لا يتحلون إلا بالجوانب الطيبة، بل يخيبون الظن لكونهم متقلبين وغير مأموني الجانب، فهم يقتلون وينهبون ويسرقون بدون أدنى تردد؛ أعرافهم قاسية بحيث لا يعرفون بتاتا الرحمة والشفقة، فالحياة الإنسانية تبدو لهم بالأساس زائلة ومرحلية ومن ثم لا تستحق كبير اعتناء ومراعاة. كما لا يكنون أدنى اعتبار للملكية ولأملاك الغير، ولا يشمئزون من سوء النية والكذب، أما أنفتهم فجافلة وسريعة التأثر وانتقامية، إذ لا يغفرون الإهانات أبدا وأحقادهم عنيدة وضغائنهم شديدة.

إنهم باختصار أناس بسطاء ولكن عسيرو الإنقياد، يقظون ومنتقدون وذوو مزاج متقلب، وكلها أشياء يقدرها الفرنسيون في العمق ويبتغونها لأنفسهم ولكنهم لايعجبون بها كثيرا عند الآخرين.

لنفحص الآن كيف يبدو هذا التضامن لدى الإتحادية كما أسلفنا الإشارة، إنه في الحقيقة لا يظهر اليوم إلا سطحيا جدا، ولكن إذا كان ضروريا التذكير بما حدث سنة 1930 حين باشرنا حقا مشكل آيت عطا، فإنه لا يقل أهميةً فهمُ ما كان عليه قديما.

نعلم عن طريق التجربة التاريخية أن الإتحاديات لا تتشكل إلا بعد هزيمة أو أمام خطر محدق، بحيث لا يُضطر لوضع حد للصراعات الداخلية إلا بهدف أخذ الثأر ولا يتم الإتحاد إلا في وجه خطر داهم؛ تنطبق هذه المبادئ على كل المجتمعات البشرية، أليس الأمر كذلك بالنسبة للدول الحديثة التي تتباهى بمستوى عالٍ من الحضارة؟

فقد تكونت اتحادية آيت عطا في القرن السادس عشر لرفع النير العربي، وطالما لم يتحقق ذلك الهدف ظلت موحدة، وطالما بقيت مهددة ظلت صلبة ومقاتلة.

/41/ وخلال القرن الثامن عشر وفي أوج حركة توسع آيت عطا، برز خطر جديد تجلى في تدخل المخزن العلوي في شؤون الجنوب، مما أثار بحق قلقهم. فبين 1678 و 1816 بعث أربعة سلاطين متعاقبين هم مولاي إسماعيل ومولاي عبد الله وسيدي محمد ومولاي سليمان حملات عسكرية إلى تافيلالت ودرعة، وباستثناء مولاي عبد الله الذي كانت سلطته ضعيفة توجه السلاطين شخصيا إلى الجنوب على رأس محلات قوية[20].

(20) نذكر بأهمها: في 1678 قاد مولاي إسماعيل محلته إلى زيز وغريس وفركلة وتودغا ودادس، وفي أواخر عهده ارسلت حملة جديدة إلى درعة هذه المرة (حوالي 1724-1725)؛ وفي 1730 حاول مولاي عبد الله إعادة تثبيت نفوذه في درعة: وفي 1757 تدخلت قوات سيدي محمد بن عبد الله في تافيلالت، وفي سنة 1784 م قاد السلطان حملة إلى نفس المنطقة؛ وفي 1801 و1803 بعث مولاي سليمان قواته نحو درعة وتافيلالت، وقام بجولة تفقدية على راس قواته في السفح الجنوبي للأطلس سنة 1816. (المؤلف).
إضافة إلى ما سبق نضيف حركة 1730 التي قادها موسى الجراري، اما حركة 1757 فنشك أنها تمت لتزامنها مع السنة التي اعتلى فيها سيدي محمد العرش، وبالتالي كان عليه الإنشغال بقلب المملكة وليس باطرافها، بحيث لم يرسل هذا السلطان أول حملة إلا سنة 1769 وقادها الباشا سعيد بن العياشي، كما أتبعها بحركة أخرى إلى تافيلالت قادها الوزير أبو القاسم الزياني وكانت سنة 1783، ثم حركة السلطان نفسه، وحركة اخرى بعثها إلى صاغرو سنة 1777 بقيادة مولاي علي بن الفضيل. وفي عهد مولاي سليمان أرسلت بالفعل حركة إلى درعة بقيادة التينغراسي سنة 1801 وأخرى إلى تافيلالت سنة 1815. احمد البوزيدي ومحمد بوكبوط، تقديم مخطوط معركة بوغافر. هسبريس تمودا، عدد 35، ج. 2، 1997، ص. 76. هامش 12 بتصرف. (المترجم).

والحال أن السلاطين العلويين شأنهم شأن سابقيهم السعديين عرب وفي خدمتهم عرب أو قبائل معربة، وكانت الخصوصية الأمازيغية تصدمهم إلى حد أصبحت ممقوتة لديهم. وبسرعة اتخذت حكوماتهم صورة حكومة عرب ولم يعد الملوك حكاما محايدين لانحيازهم إلى أحد الجنسين الموجودين، ومنذئذ أصبح آيت عطا معادين لهم وانخرطوا في الصراع ضدهم دون اعتبارٍ لكونهم من ذرية الرسول[21]، زيادة على ذلك يمكن الذهاب إلى أن الشرفاء أولاد مولاي عبد الله بن حساين الأدارسة، وبالتالي أعداء أبناء عمومتهم العلويين، لم يكونوا ليجاملوا هؤلاء الأخيرين.

أفضى اهتمام الأسرة الحاكمة بالواحات الصحراوية إلى تمتين وحدة آيت عطا الذين دخلوا أيضا في صراع مع آيت يافلمان، الإتحادية الحديثة التأسيس بمبادرة من المخزن الشريف والمستفيدة من دعمه .في حين توقف الحكم المركزي في أوج تدهوره عند منتصف القرن التاسع عشر عن تتبع أحداث الجنوب عن كثب، فحدث فراغ في السلطة وبالتالي زيادة احتمال خطر وشيك، ورغم كل مؤهلاته وجهوده /42/ لم يستطع السلطان مولاي الحسن إصلاح الوضع ولا إيقاف تفكك الأمبراطورية.

من جهة أخرى أدرك آيت عطا استحالة قهر آيت يافلمان الذين يواجهونهم بقوات مساوية في القيمة والعدد، وهكذا تأسس بالتدريج واحتُرِمَ بصعوبة "وضع راهن "على جبهة الأعلام تودغا - فركلة - غريس، ورغم هشاشته فقد سمح بتفادي الصراعات الخطيرة. وبقيت تافيلالت التي استثنيت من هذا الإتفاق الإفتراضي المتنفس الذي يتبارى فيه سنويا غلاة متحمسي آيت مرغاد (آيت يافلمان) مع آيت خباش وآيت إسفول، القبيلتان العطاويتان المقاتلتان والعنيدتان بوجه خاص.

ترتب على انتفاء أو على الأقل ابتعاد الخطر إيقاظ الخلافات الكامنة دائما، وقد سجل كوتيي Gautier عن حق أن الإنتصار يفكك روح العشيرة الذي يخلق قوة القبيلة البدوية، ويورد نصا لابن خلدون يقول فيه : "بعد الحصول على الأمبراطورية يتخلى المنتصرون عن المتاعب".[22]

---

(21) لسنا بحاجة إلى كبير عناء لإبراز تهافت مثل هذا الطرح الذي تفوح منه رائحة النظرية الإستعمارية التي سترتكز عليها سياسة فرنسا التقسيمية. إذ تثبت وقائع التاريخ والقرائة النزيهة لها أن آيت عطا لم يتخذوا موقفا من المخزن العلوي لاعتبارات إثنية وعنصرية، بل أساسا لاعتبارات سياسية واقتصادية مرتبطة بمصالحهم ومدى توافقها أو تضاربها مع مصالحه، وإلا كيف نفسر تحالف نفس المخزن مع آيت يافلمان الأمازيغ بدورهم كما يورد سبيلمان، ثم فيما بعد إبرام اتفاقيات بين المخزن وآيت عطا بالذات يتعهد بمقتضاها هؤلاء بخدمة مصالح المخزن وتاديب القبائل المشاغبة كما تثبت وثيقة بحوزتنا سيتم نشرها. (المترجم).

(22) Les siècles obscurs du Maghreb, p. 90 ، عولنا من باب الأمانة على الترجمة الحرفية للنصوص. كما جاءت عند سبيلمان رغم ما يمكن أن يشوبها من تحريف، بحيث تبدو كتلخيص لأفكار ابن خلدون، الذي يقول مثلا في المقدمة عن موضوع عواقب "حصول الترف وانغماس القبيل في النعيم" على الملك : "وسبب ذلك أن القبيل إذا غلبت بعض الغلب استولت على النعمة بمقداره وشاركت أهل النعم والخصب في نعمتهم وخصبهم... فتذهب خشونة البداوة وتضعف العصبية... ويستنكفون عن سائر الأمور الضرورية في العصبية حتى يصير ذلك خلقا لهم وسيية فتنقص عصبيتهم وبسالتهم في الأجيال بعدهم يتعاقبها إلى أن تنقرض العصبية...." المقدمة، دار الكتاب العربي، بيروت، دون تاريخ، ص. 140. (المترجم).

فبعد تحقيق أهدافها الحربية، تواجهت قبائل آيت عطا بضراوة الواحدة ضد الأخرى، إذ تخاصم آيت أونير وآيت إيسفول وآيت إيعزا مع آيت واحليم الذين حظوا قديما بمكانة متفوقة وأضعفتهم نزاعات داخلية دموية.

ومنذ نهاية القرن التاسع عشر كانت الوحدة التي تحققت ثلاثمائة سنة قبل ذلك على يد دادا عطا قد تحطمت فرضيا، ولا تتشكل من جديد فرديا وبشكل عابر إلا بدعوة من أحد الأعيان النافذين أو أحيانا لقتال الفرنسيين، الذين أضحى تقدمهم في الجنوب الجزائري ثم في اتجاه بودنيب وتافيلالت مقلقا.

غير أنه بعد المعارك الأولى التي أثبتت تفوقنا وصلابتنا، أسفر احتلال الواحات الجزائرية سنة 1902 وواحة بودنيب سنة 1907 عن نتيجة مذهلة للوهلة الأولى، وهي تأجيج الصراعات بين الإخوة من جديد، ذلك أن آيت عطا المطرودين في اتجاه الغرب ركزوا جهودهم بالفعل على مقاطعات دادس ودرعة حيث كانت سلطتهم ضعيفة، فتنازعوا على امتلاك البلد مع سادة اللحظة .وبالكاد نجحوا في إيجاد /43/ موطيء قدم حتى تنازعوا من جديد، كل فخذ يَكِدُّ في طرد جاره والإحتفاظ لنفسه بمكسب الغزو المشترك.

أضعفت هذه المنافسات آيت عطا كثيرا، إذ مات فيها أفضل المحاربين وأبيدت القطعان، وأخيرا حدث أخطر شيء بتراجع الشعور بالوحدة بشكل ملموس، إذ لم يبق في النهاية إلا شعور بالتضامن المعنوي المرتكز على القرابة، بمثابة تَجَمُّع للعادات أو اتحاد فكري.

ويبقى العطاوي فخورا باسمه وبتاريخه الذي لا زال يحتفظ بذكراه الغامضة، وبهيمنته على السكان المستقرين وخصاله الحربية، غير أن النابض المحرك محطَّم، فلم يعد هناك شيخ عام[23] للإتحادية ولا جمع عام للأعيان ولا حروب مشتركة. لقد انطفأ كما يبدو ذلك الحماس الرائع الذي كان يحرك آيت عطا قديما، ويجمع منهم ثمانية آلاف راجل وستمائة فارس لمحاربة آيت مرغاد[24]، ولم يعد يخرج عَلَمُ الإتحادية الذي كان آيت إيعزا يحملونه في المعارك الكبرى[25].

---

(23) يكتبه سبيلمان شيخ العام، إحالة إلى السنة أي مدة ولايته، والحقيقة أن آيت عطا يطلقون عليه امغار نُ وفْلاَ، أي الشيخ الأعلى، وينتخب سنويا ومنه التسمية السابقة. (المترجم).

(24) في ربيع سنة 1883، خاضت حركة آيت عطا التي كان تعدادها 8000 راجل و600 فارس معركة كبيرة ضد آيت يافلمان الذين جندوا 12000 راجل و700 فارس. وقد انهزم آيت عطا وخسروا 1600 قتيل. وقد جرت المعركة في هوامش غابة نخيل تيلوين بين مقاطعتي غريس والجرف (Foucauld, p. 226) (المؤلف).

(25) حسب القبطان دولا شابيل De La Chapelle كان هذا العلم أحمر، يحتفظ به في إيغرم امازدار بصاغرو، ولا يخرج إلا عندما يكتمل حشد حركة آيت عطا بأسرها. وقد كان لآيت اونبكي بدورهم علم خاص، أخضر حسب البعض وأزرق حسب البعض الآخر، يحمل الأول من طرف آيت اونبكي تاخيامت (الرتب) والآخر من طرف آيت يحيى وموسى من آيت أومناصف. (المؤلف).

هكذا لم يبق الآن كأواصر مشتركة لدى آيت عطا إلا ذكرى ماضيهم واحترام تقاليد أسلافهم المحفوظة بعناية في إيغْرْمْ أمازْدارْ، وتعظيم وتبجيل أولاد مولاي عبد الله بن حساين، وهذا على كل حال غير كافٍ لتفادي التفكك.

لم نبدأ في اكتشاف هذه الحقائق إلا منذ وقت قصير، ففي سنة 1930 كنا في مرحلة التلمس المتردد والتخمين وكانت سياستنا فعلا تجريبية، غير أننا شعرنا بأنه لا يجب فعل أي شيء يمكن أن يوقظ الحساسية القلقة والمتعجرفة لآيت عطا. لقد طمأناهم على نوايانا بوعدهم باحترام تقاليدهم وأعرافهم وضمان فتوحهم وغزواتهم الحديثة، وكذلك ارتياد أسواق الحوز ومراكش وحرية التنقل في طريق الإنتجاع التقليدية المؤدية إلى المراعي الكبرى في الأطلس الكبير. هكذا ظلت معظم القبائل محايدة خلال استقرارنا في دادس سنتي 1929 و1930 ، وفي تودغا سنة 1931 ودرعة وتازارين بين 1931 و1932.

وسنحاول إعادة رسم مسار هذا التغلغل السلمي في الغالب في القسم الرابع من هذا الكتاب، ذلك التغلغل الذي يُشَرِّفُ الوسائل المرنة والإنسانية لعملنا العسكري، بحيث نستطيع أن نفتخر بالعمل المنجَز دون اصطدامات عنيفة رغم بعض الصعوبات الكبيرة التي يسمح تقادم الوقت بقياس قيمتها الحقيقية.

- 2 -

يذكر التنظيم القبلي لآيت عطا بنفس التنظيم لدى كل قبائل الرحل الأخرى أمازيغية أو عربية، فالإتحادية تشمل خمسة أخماس تنقسم بدورها إلى قبائل أو تيقبيلين[26]، وكل قبيلة إلى أفخاذ (أيغس –الجمع :إيغسان) أو عشائر. وتوافق العشيرة كثيرا الفكـرة التي نكونها عن sous - fraction، إنها مجموعة من الأسر ذات أصل واحد تنضم إليها أحيانا عائلات أو أفراد متفرقون منحدرون من قبائل أخرى، ويندمج هؤلاء الأفراد الغرباء في المجموعة الأولية بذبح أضحية على مجموع أفرادها أو على فرد واحد منها[27].

وكما لاحظ كوتيي يرتكز هذا التنظيم البيولوجي على روح العشيرة الذي لا يمكن أن يوجد إلا عند أناس متحدين عبر صلات دم، فالعشيرة "هي جماعة إنسانية من الأجيال تُعتبر بمعزل عن

(26) جمع تاقبيلت، وقد فرض سياق العربية إيراد الجمع وليس المفرد كما في الأصل. (المترجم).

(27) "الذبيحة" هي الفعل الذي يدخل فيه من أقدم عليه تحت الحماية الأبدية لرجل او قبيلة، إنها عناية ممتدة
Cf. également Districts et tribus de la Haute vallée de Dra, p.p. (Foucauld, p. 130)
108 - 102 (المؤلف). يطلق آيت عطا على هذا الطقس "تيغرسي" (المترجم).

جوهرها الإقليمي عرقا أو جنسا بيولوجيا، أما روح العشيرة فهو امتداد لروح العائلة وكبرياء جنس، ويتعلق الأمر بالدم لا بالأرض"[28].

"إن الفردانية التي طورتها الحياة الرعوية القاسية والمؤثرة بقوة في الطباع والأمزجة يمكن أن تتحول بسرعة إلى فوضى، غير أن عوامل أخرى يتحكم فيها الترحال ذاته تتدخل لحسن الحظ لتلطيف هذا التوجه. بالفعل يخلق البحث والدفاع عن المراعي وحاجات الإنتجاع علاقات جماعية توطد الأواصر الإثنية، ومن أجل البقاء وسط أعداء دائمي الترصد والترقب وحسن استعمال الموارد التي توفرها بشح طبيعة قاسية جدا، قَبِل الرحلُ بحريةٍ انضباطاً حقيقياً يجمعهم في إطار العشيرة أو القبيلة، التي هي" بمثابة فيلق بالولادة، سريع ومتعذر إمساكه، يحتمل ظهوره في كل لحظة دون انتظار مثل الكارثة من العُزّلات المستحيلة المراقبة، إنها أداة حربية قوية[29] ".

مع ذلك وعلى غرار معظم الرحل يتخلى آيت عطا عن طيب خاطر عن الحياة الرعوية عندما تتوفر إمكانية الإرتباط بالأرض في بلد ذي ظروف حياة أفضل، ويتم هذا الإستقرار تدريجيا وببطء، إذ تحصل عائلات على أملاك عن طريق الشراء وإلا فعنوة، يقيم فيها بعض أفرادها بينما يبقى الآخرون في رعاية القطعان، هكذا تكبر نواة المستقرين الجدد شيئا فشيئا، بحيث لم يبق في السهوب في النهاية إلا الناس الخشنون والجسورون الذين يشعرون بغموض بأن الإرتباط بالأرض يعني نهاية استقلال غيورين عليه، ولكن عدد هؤلاء العتاة الألداء[30] يتقلص باستمرار، وخلال مدة مائة سنة وأحيانا أقل من ذلك بكثير، ستكون القبيلة كلها مستقرة.

حينئذ سيتطور تنظيمها الإجتماعي نحو أشكال أكثر تعقيدا، فتراخي الأواصر الجماعية التي حافظت عليها حياة /46/ الترحال سليمة حتى ذلك الوقت، والمسافات الفاصلة أحيانا بين مختلف العشائر بل وانقسام عشيرة واحدة إلى عدة أجزاء والبلاد والمناخ، لن يتأخر كل ذلك – بفرض أنماط عيش جديدة – في تعديل المؤسسات الأولية[31] بالملموس. من جهة أخرى ستخفف الإحتكاكات المتواترة مع مجموعات بشرية أخرى من جنس مختلف وذات تقاليد مغايرة، متضافرة مع تأثير البيئة السائدة، ستخفف من التعارضات الإثنية وتصهر تدريجيا الساكنة المستقرة في بوتقة ستخرج منها عناصر جديدة.

(28) Gautier, les siècles obscurs du Maghreb, p. 87.

(29) Gautier, les siècles obscurs du Maghreb, p. 184.

(30) لم نجد لفظا دقيقا يؤدي معنى نعت irréductibles بالعربية، خصوصا أن سبيلمان وعلى طول كتابه عول على هذه الكلمة في وصف أولئك المقاومين الذين تشبثوا بمواقفهم من البداية إلى النهاية كما سيتضح (المترجم).

(31) تجنبنا ترجمة Primitives بالبدائية لشحنتها القدحية. (المترجم).

في المرحلة الأولى من الإستقرار نلاحظ ظهور كيانات سياسية جديدة مطابقة لتجمعات عشائر أو أفخاذ يطلق عليها حسب الظروف الثلث أو الربع أو الخمس. إن هذا يبدو تعريفيا ويحدد في كل الأحوال الطابع المصطنع للتشكيلات المؤسسة حديثا، فقد تعقد التنظيم إلى حد لم يعد معه الأمازيغ يجدون مفاهيم لتعريف وتصنيف هذه المجموعات الإجتماعية المستجدة.

ويقدم آيت أونير وآيت والال وآيت واحليم الذين يعتبرون من أقدم قبائل آيت عطا أمثلة معبرة في هذا الصدد، فهم منتشرون في مجال شاسع يمتد من منعرج درعة إلى السفح الشمالي للأطلس الكبير، وأغلبهم في طريق الإستقرار بجلاء. كما أنه من المهم بشكل خاص أن نقف لديهم على التغيرات التي أدخلها النضج وتأثير الوسط الجغرافي على التنظيم الأولي لقبيلة الرحل.

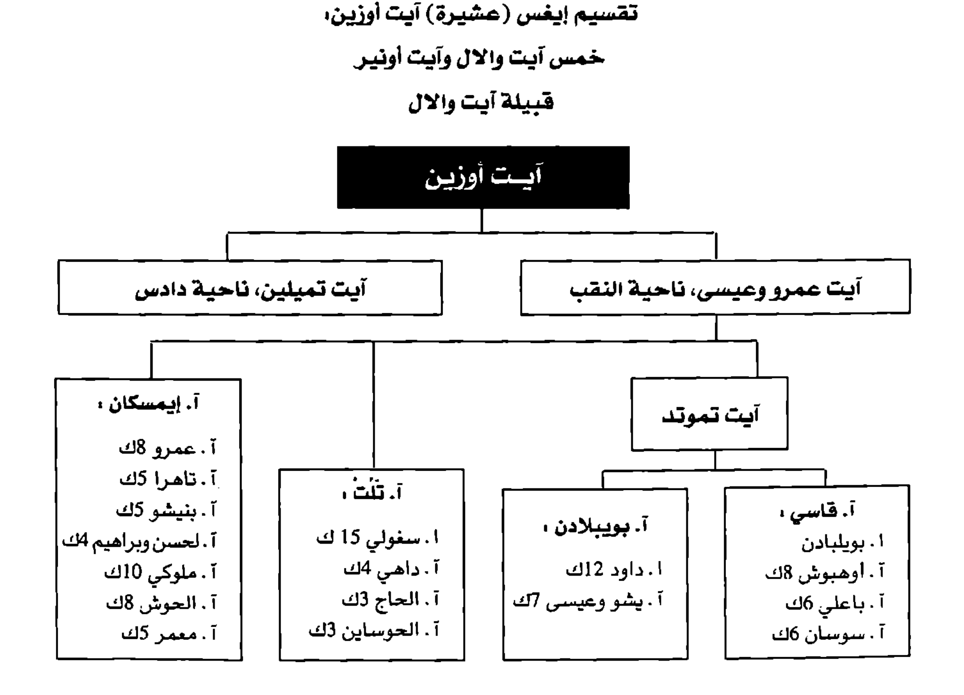
على النقيض من ذلك يتسم التشكيل الإجتماعي لدى آيت إيسفول، الأصغر والحديثي الإرتباط بالأرض، بالبساطة، ويكشف الجدولان الآتيان هذه الإختلافات:

/47/

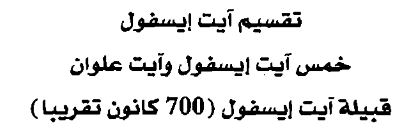
تقسيم إيغس (عشيرة) آيت أوزين،

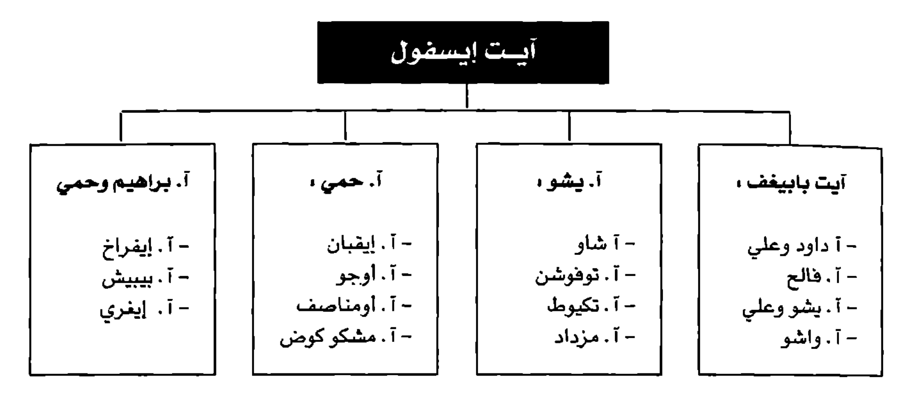
خمس آيت والال وآيت أونير

قبيلة آيت والال



المجموع : 117 كانون.





/48/وبينما يسهل الحصول من مخبرين على جدول قيادة قبيلة آيت إيسفول، فإنه يكاد يكون مستحيلا مطابقة المعلومات المحصلة من مصادر مختلفة عن تقسيم آيت أوزين النقب رغم قلة عددهم، فآيت أوزين أنفسهم يتيهون في تشابك الأفخاذ ومجموعات العشائر، مما يبين جيدا أن هذه التشكيلات كلها تقريبا حديثة ومتغيرة ومؤقتة[32].

وعندما يحتد التوجه نحو الإستقرار تبدو الأفخاذ شيئا فشيئا في مظهر القبيلة، يتضح الأمر خاصة لدى إمسوفة من آيت والال وآيت سليلو من آيت أونير الذين يتميزون ضمن قبائلهم بشخصية واضحة منذ الآن، ويمكن إيراد أمثلة أخرى عديدة ولكن يبدو أنه لافائدة من إثقال نص طويل جدا من حيث جفافه.

تؤدي المرحلة الأخيرة إلى اختفاء مفهوم القبيلة الذي يفسح المجال لمفهوم المقاطعة، يظهر هذا التطور بجلاء في أوسيكيس خاصة، فآيت واحليم وآيت إيسفول وآيت إيعزا وآيت أونبكي القاطنين في هذه المنطقة يطلق عليهم منذ الآن آيت أوسيكيس، ومن ثم تضمحل ذكرى أصولهم بموازاة مع خفوت الأحقاد التي غالبا ما واجهت قبائلهم الأم. هكذا يصهر الوسط الجغرافي عن طريق الإستيعاب مرة أخرى عناصر متنافرة في قالب جديد، ليحل محل مفهوم القبيلة البيولوجي "البدائي" مفهوم حب الوطن المحلي، حب الأرض، أي مشاعر المستقر[33].

---

(32) انظر الملاحق، ملاحظة عن تغيرات التشكل الإجتماعي عند آيت عطا. (المؤلف)

(33) لنذكر بأن آيت بويكنيفن من آيت واحليم من أصل عربي، والعديد من آيت خباش من آيت أونبكي من أصول طوارقية، وغالبية آيت إيسفول وآيت إيعزا من صنهاجة الطبقة الثانية والثالثة؛ أما آيت أونبكي أوسيكيس فلا يحتفظون إلا بمفهوم غامض جدا عن القرابة مع آيت أونبكي الشرق، ولا يحددون إلا بصعوبة إذا كان أصلهم من آيت أومناصف أو من آيت خباش. (المؤلف).

منذئذ يحل القصر والقرية محل العشيرة والفخذ، وتتخذ هذه الكيانات الجديدة بسرعة مظهرا واضحا، إذ لها زعماؤها المستقلون وتنظيمها /49/ البلدي الخاص بها وحياتها المتميزة وحلفاؤها وأعداؤها .وغالبا ما تتحد القصور وتصبح المقاطعة الجغرافية هكذا واقعا سياسيا. غير أنه ليس نادرا أن تظل منقسمة عبر نظام اللف، ليتحول البلد بسرعة إلى رقعة شطرنج سياسية شاسعة يتعارض فيها كل قصر مع جيرانه المباشرين. من هنا يتضح أن البدوي المستقر حديثا والمتحرر من الإنضباط الأصلي، يمكن مع ذلك أن يطلق العنان لغرائزه الفوضوية.

لا يمثل الإستقرار التدريجي العامل الوحيد الذي يسهم في تغيير البنية المورفولوجية لآيت عطا، إذ تعرضت الإتحادية بعمق للإفساد من قبل العمل المتواصل للقياد الكبار أولا ثم المخزن لاحقا ، بذلك نعاين منذ 1920 ، وكما لاحظ ذلك بحق الملازم أول دو سان بون Dc Saint Bon ، تفكك التنظيمات السياسية والإجتماعية، فالإنقسام إلى خاضعين وغير خاضعين، والذي بقي في بعض الحالات خلال أكثر من إثنتي عشر سنة، قد وسع بقوة التصدعات، وبالتالي ليس عبثا أن بعض القبائل بل وبعض الأفخاذ قد انقسمت طوال هذه المدة إلى قسمين متعاديين.

إن الحيوية التي برهن عليها آيت عطا باستمرار طوال تاريخهم تسمح بالإفتراض أنهم سيكيفون تنظيمهم مع الظروف الراهنة دون القطيعة مع تقاليدهم، فوحدة كتلة آيت عطا المصطنعة على كل حال محطمة، وتبدو وحدة العديد من القبائل معرضة بقوة للخطر، بحيث تنفصل فروع عن الجذع الأولي .لكن التجربة علمتنا أن الأجزاء الحية المتبقية كفيلة بالإتحاد من جديد في صورة مناسبة، مستغلة مرحلة اضطرابات أو إذا كانت مصالحها الحيوية مهددة.

لم يوجد قط لَفٌّ واضح جدا عند آيت عطا الصحراء، ويبدو أنه وجدت لديهم فقط صلات قرابة أو مصالح، فالتحالفات غالبا ما تكون مؤقتة تعقد وتفسخ بسرعة حسب الظروف، ويمثل الدفاع عن الأرض والمصالح المشتركة وغزو منطقة غير خاضعة بَعْدُ لنفوذ الإتحادية الحوافز الرئيسية لهذه التحالفات.

في سنة 1930 وخلال دراسة وادي درعة الذي تقطنه ساكنة نصف بدوية أو حديثة الإستقرار، لاحظنا آنذاك أن اللفوف كانت أقل وضوحا /50/ وتجزئة مما هو عليه الحال في الأطلس الكبير أو في سيرْوَا، ومع ذلك يتضح أن قبائل الرحل لم تتأثر بالإنشقاقات الداخلية بنفس مستوى العناصر المستقرة، فقد سبق أن رأينا أن ظروف عيشها الخاصة تكبح طبيعيا الإتجاهات الفوضوية لأفرادها .

يُمَيَّز عند آيت عطا بين صنفين من العهود والمواثيق: "تَاضَا" و "تافْرْكَانْتْ"، ولكنها في الحقيقة مواثيق عدم اعتداء وصداقة أكثر منها معاهدات تحالف. فحسب القبطان دو لاشابيل تعتبر

"تاضا"[34] أقل خطورة من "تافركانت"[35] التي تمثل عهدا ذا طابع مقدس يفرض منع الزواج بين الأفراد المتحدين عبر هذه الصلة، بل ومنع رؤية النساء أيضا[36].

حاليا لم يعد يميز كثير من آيت عطا بين هذين النظامين ذي القيمة الواحدة في نظرهم، غير أن ميثاق" تاضا "يمكن أن يبرم على الشكل التالي: "يجتمع أفراد الطرفين بعدد متساو، تجمع أحذيتهم وتخلط لتستخرج مثنى مثنى، ويوضع كل صاحب /51/ حذاء بإزاء مالك الحذاء الآخر حيث يُقْسِم الإثنان على الإخاء الذي يمتد إلى جماعتيهما . أخيرا يتم تبادل البرانس بين الأعيان الرئيسيين للطرفين، وعندما يخل طرف بتعهداته يطلى ذلك البرنس الذي منحه عربونا على الصداقة بالحناء، ويعرض ويطاف به في كل مكان"[37].

أما ميثاق تافركانت فيتوج غالبا بطقس الحليب: "يحشد الطرفان المتعاقدان في مكان معين تحت أعين جماعتيهما عددا محددا من النساء (عادة 100) تحمل كل واحدة رضيعها، وعندما تلتقي هاتان المجموعتان من النساء تتبادل فيما بينهن الرضع، وبعد أن يرضع صغار كل طرف من أثداء نساء الطرف الصديق تأخذ كل امرأة رضيعها، فيكون التحالف بذلك ممهورا في دم ذريتهم ذاتها"[38].

عندما أبرم آيت خباش ميثاق تافركانت مع بني امحمد اتخذوا إجراء مغايرا، فخلال اجتماع كبير، صب حليب نساء آيت خباش في إناء مع حليب نساء بني امحمد، ثم شرب كل واحد من الأعيان الحاضرين قليلا من ذلك المزيج، وبعد ذلك دفن الإناء في نفس المكان الذي تم فيه التعاقد بهذه الطريقة[39].

يتطابق هذان الطقسان جيدا مع المفهوم البيولوجي الذي يكونه آيت عطا عن القبيلة وخصوصا العشيرة، والمنظمات الإجتماعية على العموم.

---

(34) بريط دولا شابيل بين آيت عطا وتاضا - آيت تاضا - أهل التحالف، مما يتطابق جيدا مع أصول الإتحادية، حيث يقول البعض تاطا بتشديد الطاء عوض تاضا، وآيت عطا تنطق بتشديد الطاء أيضا. (المؤلف).

والحقيقة أن هذه التخريجة مجانية للصواب، لأن كلمة "تاضا" تعني الرضاعة، وتحيل على طقس تبادل الرضع بين نساء الطرفين دليلا على أخوتهم في الرضاعة. (المترجم).

(35) تافركانت تعني المنع والحظر بالأمازيغية. (المؤلف).

(36) عندما أبرمنا لأول مرة اتفاقا مع آيت أونير درعة برباط تينزولين في أبريل 1931، طلبوا منا عدم جعل نسائهم ترقص "أحواش" أمامنا وعدم بروزهن أمامنا في الحفلات والإستقبالات الرسمية وغيرها. وقد أسيء تقييم هذا الطلب من بعض الضباط الذين يجهلون قوانين "تافركانت" والذين لم يدركوا بأننا، في ذهن آيت أونير، أبرمنا معهم ميثاق تحالف حقيقي. (المؤلف). أكيد أن سبيلمان بدوره لم يفهم هذا الشرط، إذ ظل آيت عطا متشبثون بهذا البند في كل مفاوضاتهم مع الإستعمار وليس فقط طبق مقتضيات تافركانت، فالأمر يتعلق بكرامة العطاوي وشرفه المتمثل في حرمة نسائه وعدم استعداده لجعله خاضعا للفرجة كما دأب القواد الكبار وضباط الإستعمار في شتى مناطق المغرب. (المترجم).

(37) Renseignements complémentaires sur les Aït Atta, l'interprète-commandant Denoun, Marrakech, décembre 1924

(38) Ibid.

(39) الحقيقة أن طقسي تاضا وتافركانت يقومان اساسا على فعل الرضاعة، ذلك أن تاضا هي مصدر فعل "تض" الذي يعني رضع، ومن ثم فمفهوم المنع في تافركانت هو منع التزاوج بين إخوة الرضاعة، هذه الأخوة التي يحيل عليها عقد تاضا . اما قيام الأعيان بشرب حليب النساء الممزوج فيصعب تصديقه. (المترجم).

وتسود علاقات طيبة بين آيت أونير وآيت إيسفول المرتبطين بميثاق تافركانت وبين آيت علوان، بينما يعادون آيت والال وآيت واحليم وآيت أونبكي[40]. /52/ كما أن آيت واحليم هم أعداء لآيت إيعزا، بحيث دارت صراعات دامية بين هؤلاء وبين آيت عيسى وبراهيم إحدى أفخاذهم المهمة، وتربط علاقات جد طيبة بين آيت حسو من آيت واحليم وبين آيت خباش من آيت أونبكي، ويؤيد آيت واحليم بأجمعهم كل آيت والال[41]. ولآيت أيعزا صداقة مع آيت إيسفول ومن ثم فتور علاقاتهم مع آيت خباش، ويجهلون حاليا بصفة شبه تامة آيت أونير وآيت والال الذين كانت لهم معهم قديما خلافات دامية.

في سنة 1931 نلاحظ في درعة نظام التحالفات التالي: أيت إيسفول وآيت أونير وآيت سيدي وآيت بومسعود من آيت علوان متحالفون مع مزكيطة والروحا وآيت محلي من آيت سدرات ودراوة الشيخ محمد بلفاطمي[42]، ضد: آيت والال وآيت واحليم وآيت أونزار وآيت غنيمة من آيت علوان، متحالفين مع أولاد يحيى وآيت زولي من آيت سدرات ودراوة سيدي علي وحماد أمزوار.

وقد ارتبط قديما معسكر مزكيطة - الروحا الذي انضم إليه آيت إيسفول حديثا، عبر آيت عمرو وأهل وارززات بلف تاحكوات لآيت واوزكيت والأطلس الصغير الغربي[43]، أما معسكر أولاد يحيى فيرتبط بواسطة زناكة بلف إيكيزولن أو تاكيزولت المقابل[44].

/53/في كتاب" مقاطعات وقبائل أعالي وادي درعة"، أصدرنا سنة 1929 الفرضية المجازفة إلى حد ما بأن معسكر أولاد يحيى كان يتكون في معظمه من قبائل اكتسبت مصالح مهمة في درعة بين القرنين 16 و19، بينما جمع معسكر مزكيطة - الروحا القبائل التي إما جردت من ممتلكاتها قبل القرن 16 أو تدهورت منذ تلك الفترة[45].

---

(40) في حين ارتبط دائما آيت مشكو كوض من آيت إيسفول مع آيت خباش، من جهة أخرى ينقسم آيت علوان منذ 1920 إلى قسمين يساند أحدهما آيت خباش. من جهة أخرى ينقسم آيت علوان منذ 1920 إلى قسمين يساند احدهما آيت خباش. اخيرا تجدر ملاحظة أن آيت أوزين من آيت والال كانوا بصفة شبه دائمة ودبين تجاه آيت أونير. ففي بلاد آيت عطا يبقى كل شيء نسبيا ولا وجود للمطلق. (المؤلف).

(41) وخاصة إمسوفة. (المؤلف).

(42) بلفاطمي قريب وخليفة سي عبد الرحمان أمزوار، C;f. Districts et tribus de la haute vallée de Dra, p. 78

(43) كان حلفاء لف مزكيطة عادة هم آيت بودلال واهل وارززات وأهل أكلموس (سكورة) وجزء من إيمغران (داداس) وآيت سمكان وآيت ساون بتيغرنين وأسيف تامسيفت وآيت عمرو. (المؤلف).

(44) حظي أولاد يحيى بدعم آيت أوحميدي وآيت الوكوم ب بزكيد، وآيت حمو وآيت تاسلا نايت علي وبراهيم بأسيف تامسيفت وزناكة وززء من آيت ريمغان. (المؤلف).

(45) كانت لمؤسسة اللفوف هذه أهمية اجتماعية كبرى، إذ هي بمثابة تامين ضد مخاطر الحرب، فلكي لا يأكل القوي الضعيف كانت المؤسسة تنشر على كل البلاد شباك رابطتين كبيرتين متساويتي القوة تقريبا، معروف وجودها لكنها لا تبرز إلا في أوقات الحرب. ربما كانت الغاية زيادة مخاطر الحرب بإشعال كل البلاد عند كل نزاع خاص، مما يتوافق مع مجتمع مثلت فيه الحرب شيئا عاديا (المؤلف) Lt. Colonel Justinard, Notes sur l'histoire du Sous au XVIème siècle, p. 66.

والحال أن المقدم جوستينار صاغ سنة 1933 في كتابه عن سيدي حماد وموسى الخلاصات التالية:

"اشتهرت كزولة بأنها اللف النبيل الشهم "[46] : "أكيزُولْ إيحُورّانْ أَيَادْ"، " كيزول نبيل"، " أكيزول رجل، أحوكوا امرأة" (؟) فإيحوكوا هم دافعو الجزية" وِينْ تَافَالاَ"، " وِيلِّي سَلْمْنِينْ دُو سِّيفْ، أي الذين أسلموا بحد السيف ."لا يبوح المرء عن طيب خاطر بأنه من لف أحُوكَوَا مما يزيف أحيانا التحريات، يضاف إلى ذلك كون نفس القبيلة لها غالبا أفخاذ تنتمي إلى لفوف متقابلة. هناك ذكريات عن صراعات انتصرت فيها كزولة، ويقال بأن أجود الأراضي والبلدان الغنية تعود دائما تقريبا لأحوكوا، وهذا بالفعل ما نلاحظه في الغالب. والحال أننا رأينا كزولة، بعد أن كانوا رحلا صحراويين، يستقرون في الأطلس الصغير وسوس، ولكي يقيموا هناك كان عليهم طرد أو قهر الأهالي، ومن الطبيعي الإعتقاد بأن هؤلاء كانوا يشغلون بدائيا أجود أراضي الزراعة والرعي، من هنا فرضية كون كزولة أحفاد المنتصرين وأحوكوا سكتانة أحفاد المنهزمين"[47].

ولكن يجدر ملاحظة أن آيت عطا لا يرتبطون إلا جزئيا وبشكل غير مباشر بلفوف الأطلسين الصغير والكبير، وحده استقرارهم في درعة جعل بعض قبائلهم تساند هذا الطرف أو ذاك.

- 3 -

لا يتبع آيت عطا قواعد الشرع، وإن كانت أعرافهم" تِيعْقِّيدِينْ"، التي لم تدرس بعد بتفصيل، تستلهم منها بعض النقاط، فإنها ترتبط إجمالا بالنظام القضائي المشترك لكل القبائل الأمازيغية الصنهاجية[48]. وإذا بدا أن هناك مبادئ عامة فإنه لا يقل صحة كون كل قبيلة من آيت عطا، وفي حالات خاصة بعض الأفخاذ، لها قوانينها الخاصة. فالعقوبات المفروضة على مرتكب جريمة قتل تتباين بشكل واضح جدا تبعا للمناطق، وهذا ما تنص عليه تيعقيدت أحد قصور آيت إيعزا بالصيغة التالية: "عند آيت عطا تختلف القوانين، فعلى كل من أراد أن يربط علاقات مع شخص آخر أن يعلم من يخاطب".

ويحتفظ بالعرف بصفة عامة في القبائل بالرواية الشفوية، ويجتمع الأعيان أحيانا /55/ ويملون نصا على فقيه، وغالبا ما يدققون هذا الشرح القانوني بتعليقات تقترب من حيث شكلها وطبيعتها من حيثيات حكم صادر عن محاكمنا.

---

(46) في الأطلس الصغير الغربي يقال كزولة و احوكوا، وفي الأطلس الصغير الأوسط يقال سكتانة عوض احوكوا. وفي شمال تارودانت تتطابق كزولة مع آيت تزولي، وفي واد نفيس مع آيت إيراتن. ويطلق على احوكوا سكتانة شمال تارودانت إيدا وزداغ وآيت عثمان في نفيس. وعند آيت واويزغت نقول عادة آيت تينتلت وإينمنزل لأحوكوا. هكذا نحصل على جدول التقابل التالي : كزولة - آيت زولي - آيت إيراتن؛ أحوكوا - سكتانة - آيت عثمان - آيت تينتلت - إينمنزل (المؤلف).

(47) Lt. Colonel Justinard, Notes sur l'histoire du Sous au XVIème siècle, p. 65-66

(48) جمع دو لاشابيل ولاكوم عرف أحد قصور آيت إيعزا الرك وآيت عطا الرتب

Voir notes sur les Ait Atta. Les Ait Yazza. Annexes II

وتنظر جماعة القبيلة في النزاعات المهمة التي لم يحسم فيها تدخل طرف ثالث، حيث تجتمع برئاسة الشيخ المكلف بتنفيذ الحكم، وعندما يثير النزاع نقطة قانونية غير موضوعة، تختار الجماعة في تلك الحالة العرف، وإذا ترددت أو شعرت الأطراف بأنها متضررة يستأنف الشيخ لتحكيم شخصية دينية[49].

ويقوم آيت عطا نوسيكيس سنويا بانتخاب " أَنْحْكَامْ"[50] والشيخ في آن واحد، ويعتبر أنحكام دائما رجلا مشهورا باستقامته ومعرفته بتيعقيدين القبيلة، يرأس مداولات الجماعة عندما تنعقد كمحكمة ويكون رأيه هو الغالب عندما يحير أو ينقسم القضاة، وهو معرض لأقسى الغرامات إذا لم يقم بالمهام المنوطة به بدقة متناهية.

علاوة على ذلك يعتبر أنحكام الوسيط الضروري بين أصحاب الدعوى ومحكمة إيغرم أمازدار، إذ يذهب إلى هذه المحكمة ويعرض القضايا الخلافية وينقل الحكم، ويحصل لدى رجوعه على تعويض ثابت من خمسة دورو لكل رأي.

تجدر الإشارة بالفعل إلى أن كل الأحكام في بلاد آيت عطا، حتى تلك التي أصدرها أنحكام أو المرابط، قابلة للإستئناف أمام المحكمة العليا الموجودة في إيغرم أمازدار، حيث تحفظ أرشيفات الإتحادية و "قانون أعرافها القديمة. مما جعل سكانها (إيغرم أمازدار) يكسبون في هذا النادي حظوة حقيقية لدى إخوانهم، بحيث أن أحكامهم لا تستأنف وتُطلب مشورتهم من بعيد جدا، فآيت أونير بَرْنَاتْ أنفسهم لجأوا إليهم أحيانا لفض نزاعاتهم الداخلية. ويسمى ذلك" طلب تيعقيدين ن آيت عطا". ويتم الأمر بكتابة رسالة إلى جماعة القصر (إيغرم أمازدار) أو يأتي المتظلم بنفسه ويطلب الضيافة من منزل ما، فيستدعي مضيفه عددا من أهل /56/ إيغرم نيزدار[51] الذين ينطقون الحكم. وليس لهذه المؤسسة أية صبغة دينية، فلا وجود بالقصر لزاوية أو ضريح ولي. ولا يوجد إلا عرف واحد لآيت عطا لا يتم مبدئيا تعديله أبدا، ويعلن شيخ كل قبيلة عند انتخابه أنه سيبقى حيز التطبيق طوال مدة ولايته، ويتخذ في أفواه المخبرين صبغة رسمية لا نجدها عند الجماعات الأمازيغية الأخرى في الجنوب، ومن دون أدنى شك يعتبر خرقه أكبر جريمة".

يستدعي هذا الإقتباس بعض التعليق، لأنه يبدو أنه يتناقض مع ما كتبناه سابقا، لا يوجد بالفعل إلا عرف واحد لآيت عطا ولا يحال إلا على قضاة إيغرم أمازدار في حالة الإعتراض، ولكن

(49) مما يدعو إلى الحذر من خلاصات مثل هذه الكتابات وجود بعض التناقضات الصارخة عند تناول التفاصيل، فقد استهل سبيلمان الحديث عن الموضوع بأن آيت عطا لا يتبعون الشرع، لكنه اورد ان اي إجراء يتصل بهذا الجانب من تسيير الجماعة يحرص فيه آيت عطا على وجود فقيه، أي شخصية دينية إسلامية كضمانة على عدم مخالفة الشرع، كما أن احكام الجماعة تستأنف لدى شخصية دينية محترمة، بمعنى أن الكلمة الفصل لقواعد الشرع رغم تشبث آيت عطا بتيعقيدين. (المترجم).

(50) يكتبه سبيلمان "anhakem" (المترجم).

(51) Ždemi كما نقلها سبيلمان عن دو لاشابيل، وهي خطأ طبعا. (المترجم.)

العرف الموروث عن دادا عطا قبل ثلاثمائة سنة لم يكن بالتأكيد يتوقع كل الحالات، ولم يستطع الولي الشيخ لدى رسم الخطوط العريضة إلا تحديد روح هذه القواعد القانونية، لذلك تشرع كل قبيلة في الممارسة تبعا للظروف، وفي حالة وجود شك أو نزاع يتم اللجوء إلى محكمة إيغرم أمازدار التي تراجع النصوص وتضع الأحكام باستلهام السوابق والعادة[52] في حالة سكوت العرف.

وإذا تعذر على الأطراف المعنية التنقل، يمكنها اختيار رجل ثقة يذهب مكانها إلى إيغرم أمازدار، حيث يعرض المسألة بحياد وينقل الحكم الصادر، وعند آيت عطا نوسيكيس أنيط هذا الدور بأنحكام كما رأينا قبل قليل. وأحيانا تنعقد جماعة القبيلة أو المقاطعة أو الخمس في شكل محكمة استئناف لقرارات جماعة الفخذ، وهنا يمثل قضاة إيغرم أمازدار نوعا من محكمة النقض، المؤهلين ليس فقط لإلغاء الحكم المعروض عليهم وإنما كذلك للفصل في النزاع.

وتجدر الإشارة إلى أن المحكمة العليا لآيت عطا تتكون مبدئيا من أربعة قضاة من آيت واحليم واثنين من آيت إيعزا، إذ شكلت هاتان القبيلتان، الأقدم في الإتحادية، مع آيت أونير وآيت والال /57/ مجموعة آيت عيسى قديما، حيث يقال "تيعقيدين نَ آيت عيسى" أكثر مما يقال" تيعقيدين نَ آيت عطا".

- 4 -

بداية سندرس التنظيم السياسي النظري لآيت عطا الصحراء، ثم نفحص بعد ذلك الحالات الخاصة والتعديلات التي مست مؤسساتهم التقليدية عند الإحتكاك بالوقائع.

التنظيم السياسي النظري:

تنتخب اتحادية آيت عطا سنويا أمْغَارْ نُ وفْلاّ من أحد الأخماس وفق نظام سنه العرف[53]، ولكل خمس شيخه كذلك يعيَّن وفقا لنفس القواعد من بين إحدى القبائل المكونة له. غير أن آيت خليفة وآيت الفرسي من آيت عيسى مْزِّيِينْ[54] وآيت علوان لم تتم دعوتهم قط لتبوء منصب أمغار نُ وفْلاّ ، كما يدعي آيت أونير أنهم تنازلوا عن حقوقهم لآيت والال الذين ينفردون في خمسهم بإعطاء أمغار نُ وفْلاّ للإتحادية عندما يحين دوره، وعلى العكس من ذلك يتناوب آيت خباش وآيت أومناصف فيما بينهم بشكل يكون زعيم الإتحادية منهم مرتين من بين خمسة.

(52) يطلق آيت خباش لفظ " لَقَاعِيدًا نَ آيت خباش "على الأحكام المبنية على الأعراف والسوابق الخاصة بهم. (المترجم).

(53) شيخ العام. فعلا لم يكن ينتخب نظريا إلا لسنة واحدة، ويقال أحيانا أمغار نوسكاس، وهو الترجمة الحرفية الأمازيغية لشيخ العام، وكذلك أمغار نتوكا، (بالعربية شيخ الربيع أو العشب)، لأنه تدس باقة عشب تحت" رزته "بعد الإنتخاب لإبراز منصبه الجديد وتمييزه عن باقي الأعيان الحاضرين. وغالبا ما كانت هذه الباقة من العشب تسلم للشيخ المنتخب من طرف شريف من أولاد مولاي عبد الله بن حساين بعد قراءة الفاتحة، إنها طقس مقدس حقيقي. (المؤلف.) آثر سبيلمان طوال كتابه صفة شيخ العام، ولكننا أبدلناها بأمغار نُ وفْلاّ لدلالتها الدقيقة ولكونها الإسم الذي أطلقه آيت عطا على متبوئ هذا المنصب (المترجم).

(54) أخطأ سبيلمان بتسميتهم آيت عيسى إيزم لكون هؤلاء لا ينتمون لآيت عطا، بل لآيت حليدو، فالمقصود آيت عيسى مزيين (المترجم).

ويتم انتخاب أمغار نُ وفْلاً مبدئيا في فصل الربيع في إحدى مناطق سكن أو ترحال /58/ الإتحادية، وهكذا يجتمع الأعيان ومندوبو القبائل لتعيينه تارة بدرعة[55] ، وتارة أخرى في تازارين وتودغا وأحيانا في الأطلس الكبير. ويمثل كل قبيلة في هذا الإنتخاب مندوب أو أكثر يختارهم شيخ القبيلة وجماعة الأعيان. وأخيرا يجب التنويه بأن أمغار نُ وفْلاً ليس مفروضا أن يختار من بين الأعيان، إذ حدث فعلا أن تولى هذا المنصب المهم شخص مغمور، ولكن نادرا ما كان هذا الإختيار غير موفق، إذ أثبت الشيخ دائما تقريبا حزمه ونباهته.

يقوم أمغار نُ وفْلاً بفض النزاعات بين القبائل ويحدد كيفية الإنتجاع في الأطلس الكبير، ويقود المفاوضات مع المجموعات المجاورة للإتحادية، ويسهر على الدفاع عن الأراضي والمصالح المشتركة، ويضمن الإتصال بين مختلف قبائل آيت عطا. كما يراجع تنفيذ القرارات المتخذة خلال الإجتماعات الكبرى للأعيان، المنعقدة بناء على دعوته كلما دعت الضرورة لكونه يمثل السلطة التنفيذية، وهكذا يقود فعليا السياسة الداخلية والخارجية لآيت عطا إذا كان حاذقا.

إلى جانب أمغار نُ وفْلاً توجد جماعة من الأعيان تنصحه وتراقبه تضم ممثلين لجميع القبائل، لكن عدد أعضائها غير محدد، وفي الممارسة يمكن لكل الشخصيات النافذة أن تنضم إليها، ولا يفوتون على كل حال حضور الإجتماعات التي تعالج المسائل المهمة.

ويعين أمغار نُ وفْلاً مزاريك (إمزراك)، وهم أعوان اتصال في كل القبائل والأفخاذ، وغالبا ما يؤدي شيخ القبيلة أو الفخذ هذا الدور، ويُطلعُ المزراك جماعةَ الأعيان على قرارات زعيم الإتحادية ويراقب تنفيذ الأوامر الصادرة، كما يخبر أمغار نُ وفْلاً وينقل إليه ملاحظات الجماعات المحلية.

تتوفر القبيلة والفخذ على نفس التنظيم /59/ السياسي للإتحادية، إذ ينتخبان كل سنة شيخهما، ويحكم هذا الشيخ المنتخب بحرية المجموعة بدعم ومراقبة من الجماعة، التي لا تشكل تلك المؤسسة الضيقة والمحدودة عدديا والمعينة بالإسم، والتي نتصورها كنوع من المجلس البلدي، إنها لا تشبه في شيء الجماعات التي خلقناها ونظمناها في قبائلنا الخاضعة.

فلدى آيت عطا ينضم إلى الجماعة كل الرجال ذوي الثقل والتجربة الذين لديهم الوقت والرغبة، أكيد أن بعض الشخصيات الشبيهة ب "الشيوخ "الإسبان تمارس فيها نفوذا مهيمنا، وإذا كانوا يحضرون دائما اجتماعات الجماعة فإن ذلك قطعا ليس فرضا واجبا.

(55) تحديدا في لكتاوة بضريح دادا عطا في مضيق فم تاقات ن إيلكتاون بين فزواطة ولكتاوة. (المؤلف).

لا يجبي أمغار نُ وفْلاَّ ولا شيوخ القبائل والأفخاذ أية ضرائب باستثناء "زيارة"خفيفة تمنح لشريف تامصلوحت من أولاد مولاي عبد الله بن حساين[56]، ولا يتقاضون إلا متحصل الذعائر (إيزماز)[57] الذي يصرفونه في مواجهة المصاريف المشتركة ذات الطابع السياسي عموما؛ وعندما تنتهي ولايتهم لا يقدمون أي حساب إداري ويبقون في حوزتهم الرصيد المتبقي من الذعائر، وإذا كانت حصيلة هذه الذعائر غير كافية لتغطية المصاريف، يجمع الشيخ الجماعة التي تقرر إمكانية فرض جباية استثنائية يحدد المبلغ الواجب على كل كانون. ولدى آيت أوزين غالبا ما تكون الذعيرة بالخراف التي يوزع لحمها على الأفخاذ، ويحتفظ الشيخ لنفسه بالجلود.

أما في العشائر السائرة في طريق الإرتباط الواضح بالأرض، مثل آيت والال تازارين وبعض آيت إيعزا الرك، فإن لكل قصر شيخ ينتخب كل سنة تساعده جماعة من الأعيان؛ وتسهم حياة القصوريين المستقرة في تطور /60/المؤسسات البلدية التي تقنن بدقة متناهية في الغالب حقوق وواجبات كل واحد تجاه الجماعة. وباستثناء المستقرين يعتبر الشيخ والجماعة كثيري الحركة يتنقلون باستمرار دون نفور إلى أي مكان يكون حضورهم فيه ضروريا.

يقيم الشيوخ وأعضاء الجماعات عند الفخذ أو القصر الذي يوجدون في أرضه، وتعطى تكاليف هذه الضيافة من حصيلة الذعائر أو بواسطة جباية نقدية أو عينية تفرض على الوحدات السياسية المعنية. ولكي لا تكون هذه الكلف ثقيلة جدا يغير الشيوخ وأعضاء الجماعات كل يوم مقامهم، وبالتالي توزع النفقات على مجموع القبيلة أو المقاطعة. وعندما تتوجب الضيافة على سكان مستقرين تحت حماية الإتحادية، يميل آيت عطا بطبيعة الحال إلى استغلال الوضعية للإستفادة أطول مدة ممكنة، بحيث يماطلون في تسوية الأمور التي استدعت اجتماعهم. كما أن الشيوخ الحريصين على المصلحة العامة كثيرا ما يستدعون الجماعات إلى منطقة قاحلة بعيدة عن كل سكنى أو مضارب خيام، ومن ثم لا يكون لدى المندوبين كزاد إلا القوت الشخصي الزهيد، مما يجعلهم يسرعون في إيجاد حلول آنية للمشاكل موضوع المناقشة.

التعديلات الطارئة على التنظيم السياسي الأولي:

أكيد أن المؤسسات التي عرضنا لها أعلاه حرة[58] وديمقراطية، لكن ضرورات المرحلة وظروف العيش الخاصة بهذه القبيلة أو تلك وفعل الناس قد أدخلت عليها في الغالب تغييرات

(56) فرض أمغار نُ وفْلاَّ المنتهية ولايته جباية من 3 فروش على كل كانون وقدمها زيارة لشرفاء تامصلوحت الذين يبعثون جزءا منها إلى السلطان، الذي يعيد بوساطة من الشرفاء مبلغا من المال لآيت عطا ثمنا لحيادهم في المناطق ما قبل الصحراوية. (المؤلف).

(57) Izouaz عند سبيلمان، ويقصد بها الذعائر المفروضة على مرتكبي المخالفات حسب العرف. (المترجم).

(58) نعتقد انه لا محل لوصف هذه المؤسسات بالليبرالية كما جاء في النص. (المترجم).

كبيرة جعلت الضابط الترجمان عباس يكتب سنة 1919، أثناء بحثه في تقاليد وأعراف آيت عطا، أن تنظيمهم السياسي والاجتماعي كان مطّاطاً إلى حد يلامس الفوضى.

يجب التركيز فعلا على نسبية القواعد التي أتينا على ذكرها والتي تعتقد عقليتنا الغربية أنها صارمة، بينما تكشف بالعكس عن مرونتها وعن حس انتهازي لافت للنظر.

/61/فقد حدث مرارا أن أمغار نُ وفْلاَّ بقي في منصبه عدة سنوات متتالية في حالة رضى إخوانه عنه، كما أن أحد الأعيان النافذين، الرافض أحيانا لتحمل مسؤولية قيادة قبيلته أو فخذه، يكتفي بجر الخيوط السياسية في الكواليس ومن ثم لا يكون أمغار نُ وفْلاَّ إلا بَيْدقَه المسخَّر.بل إن بعض الأخماس والقبائل والأفخاذ السائرة في طريق التفكك لم يعد لها شيوخ، فتصبح حينئذ كل مجموعة مستقلة عن جارتها، ولدينا أمثلة على ذلك لدى آيت والال وآيت واحليم وآيت علوان. ومنذ 1926 لم ينتخب أي أمغار نُ وفْلاَّ، ولم يعد لآيت عطا المتصلين بكلاوة زعيم مشترك منذ 1927، تاريخ وفاة عَدِّي وْخَيِّي من آيت إيسفول، الذي رفع إلى هذا المنصب من طرف أصحابه بإيعاز من باشا مراكش[59].

من جهة أخرى يجدر التركيز على دور الأعيان النافذين الذين يتجه فعلهم إلى تغيير المؤسسات نحو الوجهة الأوليغارشية، وأهم هذه الشخصيات حاليا هي مُوحَدَّاشْ ولد الحاج فاسْكا من آيت بُويْكْنيفنْ بإيميضْرْ، وعَسُّو وْباسْلاَمْ من إيلْمْشانْ بتاغْيا تودْغا، وحمُّو وْلحَسْن بن مُرْغي من آيت بوداود بتازارين ، وباسُّو وْميمون من آيت أونير ببومالن والنّقُب، وبُووْيَشُّو[60] من آيت إيعْزَّا بأَلْنيفْ.

لقد فرضوا أنفسهم بفضل ذكائهم السياسي الحاد وحكمتهم وتفهمهم الدقيق لحاجات أفخاذهم أكثر مما عولوا على القوة، كما يجب تسجيل كونهم يقيمون كلهم في نقاط عبور ضرورية أو بالقرب من مركز اقتصادي، ولكن كيفما كانت سلطتهم فإنها تبدو معتدلة بسبب الطبع الفخور والحر للعطاوي، الذي يتسامح بصعوبة مع كون أحد من ذويه يمارس القيادة بصورة مطلقة وشخصية حقا. وحتى بين "إخوانهم" في الفخذ يجد هؤلاء الأعيان خصوما عنيدين يعرقلون بشكل واضح عملهم، فقد أكدت التجربة /62/ عدة مرات أن الشخصيات المشهورة لا تستطيع في فترات الأزمة التعويل إلا على المئتي أو الثلاثمائة عائلة التي تشكل زبائنهم. من هنا فإنه من التهور التعويل كثيرا على هذا أو ذاك من الأعيان، لأنه سيكون عاجزا بالكل في الممارسة عن أن يجمع حوله قبيلته، لا بل وعشيرته الخاصة من أجل سياسة معينة.

(59) اغتيل الشيخ عدي وخيي سنة 1927 من طرف آيت إيسفول، ولم تكن تعترف بسلطته إلا القبائل والأفخاذ ذات العلاقة مع كلاوة، ويبدو أن الثأر كان حافز القتل (المؤلف). هنا يتلكأ سبيلمان في كشف الدوافع الحقيقية لهذا الإغتيال. ممثلة في ردود فعل المقاومة ضد الفرنسيين والمتعاملين معهم، وهو ما سيعترف به في مكان آخر (المترجم).

(60) توفي سنة 1933 . (المؤلف).

أخذا بعين الإعتبار هذا الوضع، فإن الأعيان المهمين مع ذلك متعاونون رائعون بالنظر لعلاقاتهم الممتدة في كل قبائل الإتحادية التي يعرفون زعماءها شخصيا، إنهم أيضا مستشارون ممتازون لمن يعرف كيف يستعملهم، بحيث استخدمهم كلاوة بدهاء حتى سنة 1924. والحاصل أنه يبدو من الضروري مداراتهم ومجاملتهم، لأنهم يمكن أن يصيروا مزعجين جدا فيما إذا اتخذوا موقفا عدائيا تجاه المخزن أو مجموعة مجاورة.

وفي حالة الحرب يدافع كل رجل قادر على قصره وخيمته وقطيعه، وإذا كان ضروريا حشد حركة لمهاجمة الجار أو الدفاع عن الإرث المشترك، يحدد الشيخ والجماعة تعدادها ويعينون بالإسم الربع أو الثلث أو النصف من الرجال المتوفرين، ويمكن للمرء أن ينيب عنه شخصا مقابل تعويض مالي أو عيني أو كليهما أحيانا.

وتحشد "الجيوش"[61] إما تلقائيا أو استجابة لنداء زعيم عصابة شهير بمباركة من الشيخ والأعيان، وغالبا ما يمول هؤلاء العملية مما يمنحهم الحق في نصيب من الغنائم، إنه نفس نظام قراصنتنا القدامى. وعندما تقوم القبيلة أو كل الفخذ بعملية سطو وتعود بالغنائم، توزع بين المعنيين تبعا للكيفية المحددة عرفيا التي توزع بها الكُلف المشتركة[62].

/63/ - 5 -

لا زال آيت عطا في معظمهم رعاة، ولكن نلاحظ لديهم اتجاها واضحا للإستقرار، ورغم مقاومتهم له غالبا فإنه بات مفروضا عليهم في كثير من الحالات بفعل الظروف السياسية أو الوسط الجغرافي.

ومجال ترحالهم محدد تقريبا شمالا بواد بَرْنَاتْ، وشرقا بواد أحنصال وأوسيكيس ومسمرير وتودغا وأوكنات وتافيلالت وكَمْكَمْ والداورة ضمنها، وجنوبا بإيكيدي وخط عرض تينفوشي، وغربا بمشارف طاطا وباني وفم زكيد ومرتفعات أولاد يحيى وصاغرو الغربي والحدود الغربية لمكُونَا وآيت بوكماز وآيت امحمد حتى واد برنات. هكذا يمتد هذا المجال من الصحراء إلى المنطقة الجبلية الواقعة بين الأطلسين الكبير والمتوسط.

ولاتزال كثير من الأسر رحلا حصرا، خصوصا لدى إيلمشان وآيت حسو وآيت عيسى وبراهيم بصاغرو وآيت خباش وآيت إيسفول وآيت علوان. ولكن كل آيت عطا تقريبا، حتى الرعاة، يمتلكون قصرا خاصا أو تيغرمت أو دارا، وهي أساسا مخازن مبنية تارة في مضارب معتادة وتارة على

(61) يكتبها سبيلمان djiouch ، والحقيقة ان بعض آيت عطا كانوا فعلا يطلقون على محاربيهم "إيجياشن".(المترجم).

(62) مثال: قديما من اجل تقسيم الفنيمة او توزيع الكلف المشتركة على المجموعة، كان آيت حسو من آيت واحليم مقسمين إلى اثمان 8/1، وكانت ثلاثة اثمان ونصف تعود لآيت بوداود وآيت علي وحسو، وثمن لآيت خردي. وكانت مجموعة آيت بوداود وآيت علي وحسو بدروها مقسمة كما يلي :آيت بوداود 25/16 ، وآيت علي وحسو 25/9 (المؤلف).

طريق عبور ضروري ومرتاد، وأخرى بجوار مركز اقتصادي، وهذه المساكن القارة بمثابة " موانيء ارتباط "بالنسبة للرحل، وعلاوة على ذلك تعتبر ملاجيء دفاعية ثمينة ". يقيم آيت عطا خيامهم بجوار القصر حيث يسكن خماسوهم وعبيدهم، وشيئا فشيئا يأتون للإقامة فيه، لكن كثيرين يترددون كما لو كانوا يدركون أن بدء هذا الاستقرار يسجل بداية تدهورهم، وهكذا ليس نادرا أن يرى أحد أعيان آيت عطا مقيما تحت خيمته الصغيرة السوداء أربعة أو خمسة أشهر في السنة، على بعد بضعة أمتار من القصر المريح الذي يمتلكه. وبهذا الصدد من الطريف إيراد /64/ المقطع الآتي المقتبس من "روض القرطاس"[63] : "في عام 454 للهجرة اشترى يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين من أحد ملاك مصمودة أرض مدينة مراكش، وأقام فيها تحت خيمته التي أمر ببناء مسجد للصلاة بجوارها، وقصبة صغيرة ليحفظ فيها ثرواته وسلاحه، ولكنه لم يحطها أبدا بجدران[64]"، و "هكذا نرى أنه خلال ثمانمائة سنة لم تتطور تقاليد صنهاجة بتاتا"[65].

رغم احتلال الحياة الرعوية مكانة هامة لدى آيت عطا، فإننا مع ذلك لا نملك تصنيفهم بدوا كبارا، إذ أن مجال ترحالهم مَهْما بدا شاسعا يبقى بالفعل ضيقا مقارنة بمجال قبائل جمّالي الصحراء، من جهة أخرى لا يعيش آيت عطا حصرا تحت الخيمة بل عندهم قصور، فهم إذن أنصاف رحل ورعاة ليس لحركات انتجاعهم إلا مدى متوسط.

يبقي آيت عطا الرحل جزءا من أسرهم في القصور، ثم يتجمعون في أفخاذ من عشرين إلى مائة وخمسين خيمة، تبعا لغنى المراعي وأهمية نقط الماء ودرجة أمن البلد الذي يجوبونه. "مبدئيا تُمثّل كل أسرة في المراعي بحيث لا تترك الأغنام أو الماعز أبدا إلا للإبن أو الأخ، ويصطحب من يقومون بمهمة الرعي نساءهم وأبناءهم. وفي بعض الأسر يبقى أفراد بعينهم دائما مع القطعان، مما يفسر الصعوبة التي يجدها المخبرون في تحديد عدد الكوانين التي ظلت رحلا بالكامل[66]، بينما في أسر أخرى /65/ يتغير الرعاة كل سنة. وفي كل الأحوال لم ينقطع الاتصال أبدا بين القصور والخيام ويتم الانتقال باستمرار بينها، بحيث يمكث الأعيان أنفسهم من وقت لآخر بعض الأيام في المخيمات"[67].

عندما ينتفي أي خطر يضرب كل واحد خيمته حيثما يحلو له، غالبا في وادي صغير بالقرب من الماء، ولا تجتمع الخيام في شكل دواوير متباينة الأهمية يطلق عليها "إيكزدو" إلا إذا كانت

---

(63) Roudh el Kartas, tr. A. Beaumier, p. 194.

(64) كان المرابطون بالفعل من صنهاجة. ولازالت إمسوفة إحدى أهم قبائلهم توجد بدرعة وتشكل فخذا لآيت والال.(المؤلف).

(65) C.f. Districts et tribus de la haute vallée de Dra, p.p. 115-116

(66) خلال احتلال صاغرو وجدنا أمامنا إيلمشان وآيت عيسى وبراهيم وبعض آيت حسو بتعداد حوالي 150 اسرة كلها من الرحل تعيش تحت الخيام أو في أكواخ بئيسة من الحجر والقش، وكنا نظن أنهم على غرار إخوانهم كانوا يسكنون قصور تودغا وصاغرو وتازارين وتغبالت. (المؤلف).

(67) Cap. De Chappelle, Les Ait Aounir, p. 69.

البلاد غير آمنة، وحتى في هذه الحالة يبقى الدوار في قاعٍ مسيلٍ ويُكتفى بوضع متربصين على المرتفعات المجاورة ليل نهار، وفي الليل تجمع قطعان الماشية غالبا في أماكن صغيرة مُسَوَّرة بالحجارة حيث تتكدس الأغنام والماعز في مجال ضيق قدر الإمكان.

وعندما يمكث الرعاة بعض الوقت في نفس الوادي، يبنون داخل المكان المسور وعلى الدمال كوخاً نَتِناً مغطى بالقش والحلفاء والأعشاب وبشيء من التراب، ويسمى بأمازير (جمعه : إيميزار)[68]، ويصلح في السنوات التالية عندما تعود القطعان إلى المنطقة، وهذه الممارسة مألوفة في صاغرو حيث تملك كل قبيلة وكل فخذ منطقة رعيها المحددة[69].

تتميز خيام آيت عطا، المنسوجة من صوف الأغنام ووبر الجمال بكونها سوداء وصغيرة وبئيسة، وهي أقل رفاها وراحة من خيام زايانْ الجميلة. وعندما يتنقل شيخ الفخذ مع المخيمات فإنه يتولى قيادتها، وإلا فإنه يفوض سلطاته إلى أمغار نْ توكا (شيخ العشب أو المراعي) الذي يعينه بعد اتفاق /66/ مع الجماعة. وتختار هذه الشخصية أحيانا بناء على حزمها وعزمها ومعرفتها بحاجات الحياة الرعوية. في هذه الحالة يقوم بالمهمة طالما حظي بالرضى، وأحيانا يؤخذ بالعكس بالتناوب من العشائر المترحلة، حيث يسهر على سلامة المخيمات ويقنن حركات الإنتجاع، ويحدد لكل واحد مجال رعيه، ويحكم في الخلافات الثانوية، إنه ممثل الشيخ لدى الرعاة.

– 6 –

لا يحب العطاوي العيش في جماعة ومغلقا داخل قصر، ولا يضطر إلى ذلك إلا لسكنى تجمع احتل بحد السيف مثل ما حدث في درعة وفركلة، وكلما استطاع ذلك يفضل أن يكون له منزله أو تيغرمت خاصة، مبني ليس ببعيد عن جاره ولكنه منفصل. وتيغرمت عبارة عن قليعة محصنة بأبراج في الزوايا غالبا ما تكون جيدة البناء، رشيقة وفارعة وجسورة، وتشتهر في هذا الصدد تيغرمين[70] آيت سليلو النقب وآيت والال وآيت واحليم تازارين بجمالها وأناقتها.

إن آيت عطا إجمالا مسلحون جيدا، ويفضلون البندقية القصيرة نموذج 1892، وبندقية نموذج 1886 ، ولكنهم يتوفرون أيضا على بنادق نموذج 07.15 ، وكثير من البنادق نموذج 1874 وبعض

---

(68) تعتبر إيميزار صاغرو أقل اتساعا بكثير وأقل إتقانا من حيث البناء من إيميزار آيت امحمد أو آيت أوكوديد في ناحية أزيلال، التي لا تتميز بدورها بالراحة والرفاه (المؤلف).

(69) داخل كل قبيلة، إذا كانت للأفخاذ مناطق رعي خاصة بكل واحدة منها، فإنه يسمح لها مع ذلك باستعمال مراعي الأفخاذ الأخرى مؤقتا، ولكنها لا تستغل البتة هذه الإمكانية (المؤلف).

(70) جمع تيغرمت، وهي القصير، ويتعذر تعريب الجمع (المترجم).

البنادق من نوع Remington و Martini. ولدى الأفخاذ الأقل قتالية لا يتوفر الكثيرون إلا على البنادق ذات الحجارة "بوشفر".

يرتدي كل آيت عطا قميصا من القماش يضعون عليه جلابة من الصوف ذات لون رمادي أو أسمر فاتح، ويفضل الأعيان بالخصوص البرنس من الجوخ الأزرق البحري. ويلف آيت عطا رؤوسهم بشاش من القماش الأبيض[71]، وخلال الحملات الحربية يتخذون قبعة صغيرة[72] من الصوف ذات لون رمادي أو أسمر، تمكنهم من اتقاء تلقبات الجو وحرارة الشمس وعدم توفير أهداف سافرة لرماة الأعداء، وقلما /67/ تلبس البلغة إذ ينتعل الرجال أساسا نعالا من جلد أو مطاط.

أما النساء فيرتدين عموما قطعا من القماش الأزرق[73] نادرا ما تكون مخيطة تربط عند الكتفين بمشابك، ويجمعها حزام عند الخصر. وفي البرد تتدثر النسوة بغطاء صوفي مستطيل ذي خطوط بيضاء وبنية وزرقاء أو سوداء[74]، وعند الأفخاذ الموجودة إلى الشمال تزين هذه الأنسجة بخطوط حمراء وخضراء، لتشبه حينذاك تلك التي تنسجها نساء زاوية أحنصال. وتحمل المرأة العطاوية دمالج فضية باستمرار، كما تنتعل بلغة حمراء عندما تسكن القصر، ولكنها في المخيمات لا تستعمل إلا النعال مثل الرجال.

يعتبر آيت عطا مقتصدين إلى أبعد حد، فطعامهم يقتصر أساسا على خبز الشعير والتمر والتين المجفف واللبن والشاي والسكر، ونادرا ما يأكلون لحم الغنم والماعز وأحيانا البقر أو الجمل. وهناك بعض الأعيان الأغنياء يستهلكون دقيق القمح والبن اللذين يعتبران مواد رفاهية حقيقية، كما أن الزيت والخضار والفواكه لا تدخل في التغذية إلا بنصيب ضئيل جدا.

- 7 -

إن آيت عطا مسلمون ولا يسمحون بالشك في إيمانهم[75]، فالإسلام ببساطة عقائده وشعائره لا يمكن إلا أن يرضيهم كما أرضى ساكنة شمال إفريقيا الأخرى. بيد أنهم، وعلى غرار كل الأمازيغ، عبروا عن تميزهم بإدخال تقديس الأولياء المحليين في الدين المنزل والتوحيدي، فهم

(71) أرْزّيْ او أحْرامْ (بترقيق الراء) بالأمازيغية، وهي الرزة بالدارجة المغربية (المترجم).

(72) تاقرمسييت عند آيت خباش.

(73) يرجع لونها إلى مادة النيلة التي يقبل عليها أهل الصحراء لبرودتها (المترجم).

(74) تطلق أيت عطا على هذا الغطاء الصوفي إسم تاغناست (المترجم).

(75) ليلاحظ القاريء تناقض سبيلمان في هذا الباب، فمن قبل شكك في صحة إسلام آيت عطا وتفضيلهم أعرافهم على الشرع، ليعود ويعترف بعمق إيمانهم (المترجم).

يعظمون المرابطين ويخضعون إلى حد ما لنفوذهم، كما يلتمسون نصائحهم ويطلبون بركتهم، ولكنهم لا يترددون مع ذلك في نهبهم بل وقتلهم لأتفه الأسباب[76].

والحاصل أنه ليس لديهم احترام مبالغ /68/ فيه للمرابط، وإذا قنع العطاوي بوليه المحلي فإن ذلك لا يستتبع أي اعتبار خاص من طرفه لولي جاره، بحيث في كثير من الحالات تضطر الزوايا، حتى بأهمية زاوية تامكروت، لدفع أتاوة لهذه القبيلة أو تلك للحصول على السلم والتمتع بحمايتها، الوحيدون المستثنون من هذه القاعدة هم الشرفاء أولاد مولاي عبد الله بن حساين، رغم كونهم لم يعودوا يلعبون إلا دورا سياسيا متواضعا إن لم نقل لا شأن له، إنهم شخصيات أبهة يمنح حضورها لمعانا للحفلات الرسمية، ولا يحظى مرابط باهتمام إلا بقدر ما يدعو للكفاح ضد المخزن[77]، وإذا فشلت الحركة التي أطلق شرارتها أو ظهر أن بركته مشكوك فيها أو غير كافية يقتل دون تردد أو شكليات.

ينحدر شرفاء آيت عطا من مولاي عبد الله بن حساين المتوفى سنة 1568 ، وقد لعب هذا الولي مباشرة، سواء بواسطة قريب أو أحد أتباعه، دورا مهما في تأسيس الإتحادية، ويعتبر دادا عطا جد آيت عطا بالفعل أحد تلاميذه، ويدعي البعض أنه أخوه أو ابن عمه. ويفسر آيت عطا تفضيلهم لأسرة هذا الشريف بقولهم : "بوضع ذرية مولاي عبد الله فوق كل الشرفاء وأهل الدين لا نقوم إلا برد دين جميل، فقد أعطانا جدهم المقدس بركته التي ترتبط بها المزايا الثلاث التي ننعم بها -1 عدم مقدرة السلطان على ممارسة أي نفوذ علينا، - 2 لا يمكن أن يمسنا مرض الزهري، - 3 عدم منح فج تيزي مُقُّورْنْ الخطير، الذي نضطر لعبوره للذهاب للانتجاع شمال صاغرو، إمكانية نصب كمائن لأعدائنا وجيراننا آيت حديدو وآيت مْصّاضْ".[78]

/69/يتبع أولاد مولاي عبد الله بن حساين تعليمات زعيمهم ورئيسهم شريف تامصلوحت، القاطن في حوز مراكش[79]، وتعتبر تازارين مركزهم المفضل في بلاد آيت عطا، حيث يملكون

(76) لنذكر بأنه في سنة 1919 ساعد آيت عطا الشرق بقوة بلقاسم النكادي في إخضاع الولي الدرقاوي سيدي علي الهواري بفركلة، والذي دخل في اتصال مع المخزن. وبعدما اقتيد سجينا إلى تافيلالت ربط سيدي علي في فم مدفع قديم وشتتت طلقة أعضاءه. وفي يناير 1919 اغتيل سيدي أحمد بن بوبكر شيخ زاوية تامكروت داخل زاويته من طرف آيت عطا المستأجرين من قبل بلقاسم. وهناك كثير من المرابطين الآخرين أقل أهمية تم قتلهم خلال السنوات الأخيرة. (المؤلف). ليلاحظ القارىء كيف اعتبر سبيلمان التعاون مع الإستعمار سببا تافها لم يتورع آيت عطا في قتل من ثبت في حقه، فكل الشخصيات الدينية التي تمت تصفيتها آنذلك انحازت لصفوف الفرنسيين، وبالتالي اختارت معسكرها المناقض لمعسكر المقاومين، في تناقض صريح مع تعاليم الدين الإسلامي المفروض أن تلتزم به قبل غيرها (المترجم).

(77) يحاول سبيلمان هنا المغالطة والتشنيع ضد مثل هذه الشخصيات التي حظيت باحترام آيت عطا في هذه المرحلة الحساسة، متعمدا التمويه بعدم ذكر الجهاد الذي دعا إليه الكثير من المرابطين أو المتصوفة الشعبيين، كما أنه يتحاشى ذكر الفرنسيين ويصر على إيراد لفظ المخزن، مظهرا آيت عطا بمثابة عصاة. (المترجم).

(78) (المؤلف) D'après Denoun, Essai de monographie de la tribu des Ait Atta, avril 1919.

(79) يعتبر شريف تامصلوحت محميا سياسيا بريطانيا منذ 1893. (المؤلف).

قصري إيغْرَمْ نْ الشّرْفَا نْ سيدي بوعزة وآيت آيشت (57 كانونا في المجموع)، كما نجدهم أيضا في وادي إيميضْرْ بآمَانْ أُوقيدْرْ، وفي صاغرو بتِينُيورْكَانْ وبآيت الفرسي، وفي الرك وواد حصيا وبتامكانت في تاغبالت، وبقصيبة مولاي الحوساين نايت كزو في لكتاوة، وبقصبة مولاي مبارك في لمحاميد.

ويعفى هؤلاء الشرفاء من "الذبيحة "بل ويتلقون بعض "الزيارات"، وقد سبق أن رأينا أن أمغار نْ وفْلاً يفرض في نهاية ولايته جباية من ثلاثة قروش لكل كانون ويسلمها لشريف تامصلوحت، ويعتبر آيت بوداود من آيت حسو من بين خدامهم، كما يمنحهم آيت أونبكي الرتب أتاوة عينية، ويبعث الشرفاء كل سنة وفدا من عشرة أعيان إلى شيخ الزاوية بتامصلوحت. وتعاد إليهم القطعان التي انتهبت منهم خطأ، كما يشرفون على تنصيب شيخ الإتحادية كل سنة عندما كانت هذه المؤسسة قائمة.

على الرغم من انتشار المساجد في كل مكان، وهي في الحقيقة بسيطة جدا، ووجود طلبة يحررون العقود ويقومون بوظيفة الكتاب العموميين، فإن آيت عطا الأميين تقريبا يجهلون كثيرا عن الدين ونادرون هم الأطفال الذين يعهد بهم للطلبة[80].

وفيما يلي لائحة الزوايا الرئيسية وأهم المزارات التي يرتادها آيت عطا:

زاوية أحنصال على السفح الشمالي للأطلس الكبير، الشيخ: سيدي محا، تأثير على آيت أونير وآيت أوسيكيس وآيت مسمرير وآيت بويكنيفن تالمست؛

زاوية سيدي الغازي ببومالن دادس؛ موسم مولاي عبد القادر ببومالن؛ موسم سيدي الحاج أو عمرو بالحارث نْ إيكرّامْن في تودغا[81]؛

موسم سيدي بومدين بتاوريرت نايت يالا في تودغا؛ سيدي بوقنديل قرب الحارث ن إيكرامن تودغا؛ الزاوية الدرقاوية لسيدي الهواري بفركلة[82]؛ الزاوية الدرقاوية برحمة الله في مدغرة زيز؛ الزاوية الدرقاوية لسيدي محمد بن العربي بمدغرة[83]؛ الزاوية العلوية لمولاي مصطفى بن الحنفي بالجرامنة في الرتب؛ الزاوية العلوية بأوفوس ولالّة الصافية بالرتب؛ الصدوقيون بالزاوية الحمراء الجديدة بالرتب؛ ضريح مولاي علي الشريف قرب تيغمرت في وادي إيفلي بتافيلالت؛

(80) يرجع السبب إلى حياة الترحال حيث ينعدم تجمع الأطفال في الغالب، ثم إن هؤلاء يساهمون في رعي الماشية الصغيرة. (المترجم).

(81) سيدي الحاج أو عمرو هو أخ سيدي سعيد احنصال المشهور بدادا سعيد مؤسس زاوية أحنصال والذي عاش في القرن 12 الميلادي (المؤلف).

(82) يزور هذه الزاوية آيت مرغاد أكثر من آيت عطا. (المؤلف).

(83) الصحيح سيدي محمد العربي بن الهاشمي المدغري العلوي، شيخ زاوية كاوز بمدغرة. (المترجم).

زاوية سيدي الغازي بتافيلالت؛ قبة سيدي امحمد نْ إيفروتن ولي آيت إيعزا قرب إيمي نْ تورْزا بالرك[84]؛ وموسم سيدي أمليل بتورزا في الرك[85]؛ وموسم سيدي يوسف حفيد مولاي عبد الله بن حساين بأزقور في الرك؛ أولاد مولاي عبد الله بن حساين بتازارين؛ قبة سيدي أوعمرو بإيغف نيغير بتازارين؛ قبة سيدي ويسادن بآيت باحمو بتازارين؛ الزاوية الدرقاوية بتيمسلا المعروفة بمولاي بلقاسم عند آيت زري في درعة[86]؛ /71/ زاوية سيدي محمد وبراهيم بأغلان في ترناتة (درعة)؛ والزاوية الناصرية بتامكروت في فزواطة (درعة)[87]؛ آيت سيدي عبد العالي بفزواطة[88]؛ ضريح دادا عطا في فم تاقات ن إيلكتاون على الضفة اليسرى لدرعة بين فزواطة ولكتاوة؛ الصادوقيون بزاوية سيدي صالح في لكتاوة (درعة)[89].

عموما لا ينضم العطاوي إلى أية طريقة دينية ولا يمثل التصوف بالنسبة له أي إغراء، ومع ذلك نجد من بين آيت عطا بعض أتباع الدرقاوية والقادرية والصادوقية، أما الناصريون فنادرون جدا.

- 8 -

لا توجد أية صناعة لدى آيت عطا، فهم لا ينسجون زرابي وتكتفي نساؤهم بنسج flij الضرورية لإنجاز وصيانة الخيام وكذا الأقمشة الصوفية المستعملة في اللباس. وبالمقابل يعتبر آيت عطا جمالين بامتياز، فنظرا لقدرتهم على التنقل في بلادهم الشاسعة دون خشية /72/ من سطو أو أداء الزطاطة أي واجب المرور، يقومون بتجارة منتوجات الجنوب كالتمر والحناء وتاكاوت والجلود التي يبادلونها في أسواق المخزن بالحبوب والسلع المستوردة والبضائع المصنعة، كما كانوا في القديم يرتادون أسواق السودان. وأهم مراكزهم الإقتصادية حاليا هي درعة وتافيلالت

---

(84) ينظم فيها آيت إيعزا موسما سنويا في 15 مارس حسب التقويم الجولياني. وسيدي امحمد نْ إيفروتن شريف إدريسي. وفي سنة 1918 استقر الفتان مبارك ولد الحساين، واصله من إيدا وسملال بسوس، بالقرب من قبة سيدي امحمد نْ إيفروتن، ونتيجة أعمال سحرية تقمص شخصية الولي وجمع حوله بعض آيت مرغاد وآيت عطا الشرق، وسبب لنا أخطر المصاعب (مسألة تافيلالت)، قتل من طرف مساعده بلقاسم النكادي في 23 أكتوبر 1919. (المؤلف).

(85) موسم سنوي ينعقد في شهر نونبر. (المؤلف).

(86) تمارس هذه الزاوية التي يتزعمها سيدي لحسن نفوذا قويا على آيت والال ونفوذا ضعيفا على آيت بوداود من آيت حسو وآيت يحيى وموسى من آيت أونبكي وبعض آيت إيعزا، ولها ثلاثة فروع في تازارين (زاوية سيدي نافا، وزاوية سيدي امحمد ومحند وزاوية علي بن وزان، وتنتمي كلها لتجمع بابا أغيول.) (المؤلف).

(87) انظر .Districts ct tribus de la Haute vallée de Dra, p.p. 112 ct 155-158 لتامكروت فروع مهمة في تينغير بتودغا (زاوية سيدي سماعين) وفي تازارين (زاوية سيدي مصاد.) (المؤلف).

(88) يحترم هؤلاء المتصوفة من طرف آيت عطا (آيت واحليم وإمسوفة وآيت إيسفول) الذين يعطونهم سنويا حوالي ستين حملا للجمال من القمح؛ لا يبلغ نفوذهم درجة نفوذ الشرفاء اولاد مولاي عبد الله بن حساين، ولكنهم مسموعو الكلمة أكثر من ناصريي تامكروت، يعتبرون أنفسهم شرفاء أدارسة، ولكن بعض الروايات تفيد أن جدهم كان عبدا لمولاي عبد الله بن حساين. وهم أتباع بزاوية سيدي عبد العالي في تيزكي (آعالي تودغا)، وبعرق نيملوان (الرك) وفي آيت يحيى نوكردوس (شمال فركلة) وبفركلة وتاديغوست. (المؤلف).

(89) انظر .Districts et tribus de la Haute vallée de Dra, p.p. 123 et 184-185.، وهي فرع للزاوية الصادوقية بالحمراء الجديدة في الرتب، ويحظى مرابطو زاوبة سيدي صالح باحترام لدى آيت واحليم، اما مرابطو الزاوية الحمراء الجديدة فلهم بعض النفوذ على

ومراكش وناحية أزيلال وبني ملال. ولا يمتلكون إلا سوقين خاصين بهم هما أربعاء تازارين وأربعاء بومالن، ولكنهم يسيطرون على العديد من الأسواق التابعة لمحمييهم.

وأهم الأسواق المرتادة من طرف آيت عطا هي:

سوقي بني ملال ووازيغت؛ خميس أزيلال (عند آيت أوتفركال)؛ أربعاء بومالن (آيت أونير)؛ خميس سيدي بو يحيى (أهل دادس)؛ اثنين تينغير (أهل تودغا)، أحد وخميس أسرير (أهل فركلة)؛ اثنين وخميس غريس (أهل غريس)؛ ثلاثاء وخميس وأحد الرتب؛ أربعاء تازارين (عند مجموع آيت عطا)؛ إثنين العروميات (دراوة ترناتة)؛ خميس بني زولي (محميي آيت أونير)؛ سبت تامكروت؛ خميس وأحد بني صبيح (محميي آيت حسو) وجمعة أولاد أحمد الغزلان.

ويضمن شرطة الأسواق المملوكة لهم أو الخاضعة لمراقبتهم شيخ وجماعة البلد الذي تقام فيه تلك الأسواق، حيث يؤدي الغرباء والمحميون واجبات السوق دون العطاوي الذي لا تفرض عليه بتاتا.

القســـم الثالث

خصائص مختلف قبائل آيت عطا : وضعيتها نهاية سنة 1930

1 - تقسيمات اتحادية آيت عطا

2 - خمس آيت والال - آيت أونير

3 - خمس آيت واحليم

4 - خمس آيت إيسفول - آيت علوان

5 - خمس آيت إيعزا - آيت خليفة - آيت الفرسي

6 - خمس آيت أونبكي

7 - بني محمد

8 - اعريب

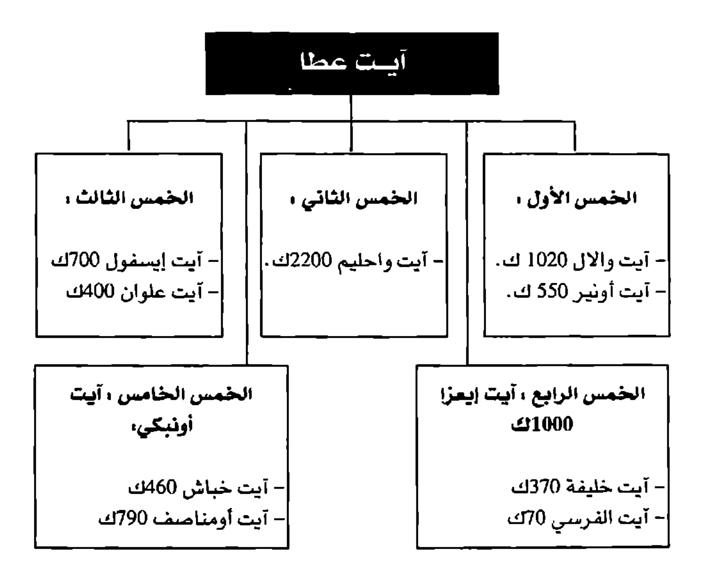
9 - الفتان بلقاسم النكادي

10 - مقاطعات وادي درعة

/74/

1 - تقسيمات اتحادية آيت عطا.

تنقسم الإتحادية إلى خمسة أخماس:



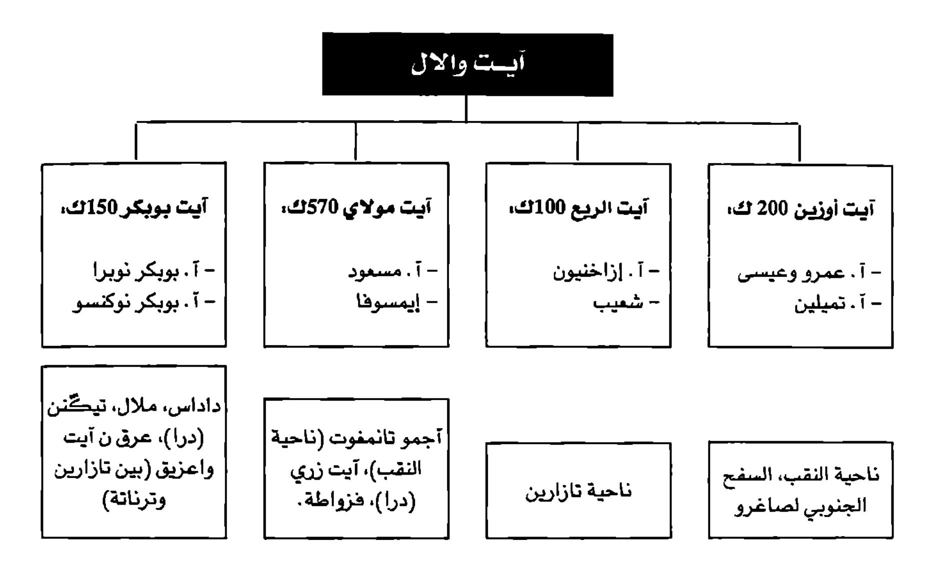
المجموع: 7560 كانون[1].

وهناك قبيلتان عربيتان مرتبطتان منذ وقت طويل بآيت عطا هما بني امحمد واعريب، فبنو امحمد القاطنون في أغلبهم بتافيلالت - وإن كانت لهم جاليات مهمة في درعة (لكتاوة ولمحاميد) - تحت نفوذ آيت خباش، بينما ينقسم اعريب: فهناك بعض الأفخاذ المتحالفة مع آيت خباش، والقسم الأكبر للقبيلة يتبع مصير آيت إيسفول.

لاتكتمل دراسة آيت عطا دون الإشارة في الخاتمة إلى بلقاسم النكادي، فقد اتخذ هذا الفتان -الغريب عن البلد -الريصاني بقلب واحة تافيلالت مقرا لقيادته العامة، وكان تحت تصرفه مرتزقة يحاربون مقابل أجر، لكنه يعتمد أساسا على آيت خباش الذين يعتبر في الواقع ممثلهم لدى السكان المستقرين الفيلاليين.

(1) لم يجر أي إحصاء دقيق لحد الآن، ومن ثم تعتبر هذه الأرقام تقريبية. ويضم كل كانون خمسة أشخاص في المعدل، الشيء الذي يجعل تعداد الإتحادية يبلغ 38 ألف شخص تقريبا. (المؤلف).

/75/ 2 - خمس آيت والال -آيت أونير.



المجموع : 1020 **كانون.**

يبدو آيت والال مكونين في قسمهم الكبير من أمازيغ صنهاجة الدرجة الثانية، وبالفعل فإن إمسوفة فزواطة هم الخلف المباشر لإمسوفة المرابطين تماما كما هو الحال بالنسبة "لمشدوف الحوض"[2] في الساحل السوداني. وفي القرن 16 كان إمسوفة يشكلون أغلب ساكنة مدينة ولاتة، والتي لازال "مشدوف"يمارسون حياة الترحال بجوارها إلى اليوم[3]، وقد تعود عشيرة آيت تغلا من آيت بوبكر إلى أصول خباشية.

يتوزع آيت والال من الجنوب إلى الشمال، ومن فزواطة حتى واويزغت مرورا بتازارين والنقب وصاغرو (إيكنيون) ودادس، ويشكلون مع آيت أونير القسم الأعظم من قبيلة آيت عطا /76/ نومالو في الأطلس المتوسط. وتمثل إحدى جالياتهم التي بلغت منذ زمن جد بعيد منطقة مكناس، تمثل اليوم فخذا من بني مطير.

وقد استقر آيت الربع وآيت بوبكر وآيت مسعود بشكل كبير، لكن عناصر كثيرة من آيت أوزين وإمسوفة لا تزال من الرحل[4]، إذ تجوب قطعان آيت أوزين صاغرو الغربي وتصل أحيانا إلى

(2) Les Mechdouf du Hodh.

(3) عن Le Capt. De La Chappelle, Le Sultan Moulay Isma'il et les Berbères Senhaja du Maroc Central.

(4) هناك 120 أسرة من إمسوفة دائمة الترحال. (المؤلف).

الأطلس الكبير، أما قطعان إمسوفة فتتسلق السفوح الجنوبية للأطلس الصغير وصاغرو من مشارف تاغبالت إلى فم زكيد، ولا تتجاوز جنوبا خط عرض لمحاميد والمجرى الأسفل لدرعة.

يعتبر آيت أونير وآيت والال قبيلتين شقيقتين لكنهما لا تتعاطفان فيما بينهما[5]، ومنذ زمن طويل لم تعودا تتحاربان إلا في درعة، حيث بقي آيت أونير تينزولين وترناتة أعداء لإمسوفة فزواطة. في المقابل يقيم آيت والال علاقات طيبة مع وآيت واحليم، بينما علاقاتهم سيئة جدا مع آيت إيسفول حلفاء آيت أونير.

ونظرا لطبعهم القليل القتالية عموما يعيش آيت والال تدهورا واضحا، وحدهم إمسوفة وآيت أوزين يبدون تماسكا، فهؤلاء الأخيرون منفصلون عن بقية القبيلة ويتأثرون قليلا بنفوذ آيت سليلو بالنقب وهم من آيت أونير، ولازال لدى آيت أوزين وإمسوفة شيوخ عامون، كما تجدر الإشارة إلى أن إمسوفة وحدهم يعدون نصف كوانين آيت والال تقريبا، وعلى غرار آيت أوزين يستقلون بالتدريج عن بقية القبيلة مشكلين جماعة ذات شخصية وسياسة خاصتين.

أما آيت الربع وآيت بوبكر فهم في طريق التفكك بشكل واضح، فلم يعد لهم شيخ عام /77/ ولا تنظيم سياسي، وباستثناء بعض الخيام القاطنة في دادس انجذبوا مثل كواكب تابعة إلى فلك آيت حسو بتازارين، ويميل كل قصر عندهم إلى الانعتاق من الفخذ، ورغم كثرتهم نسبيا في منطقة تازارين فإنهم لا يلعبون أي دور سياسي ذي بال[6]. وأهم أعيانهم حماد وعلي أوعطيش من آيت شعيب، وهو رجل متعقل وذو إرادة حسنة، غني نسبيا ومنصف، لكنه مؤهل لخدمة مصالحه كمالك جيد أكثر من القيادة.

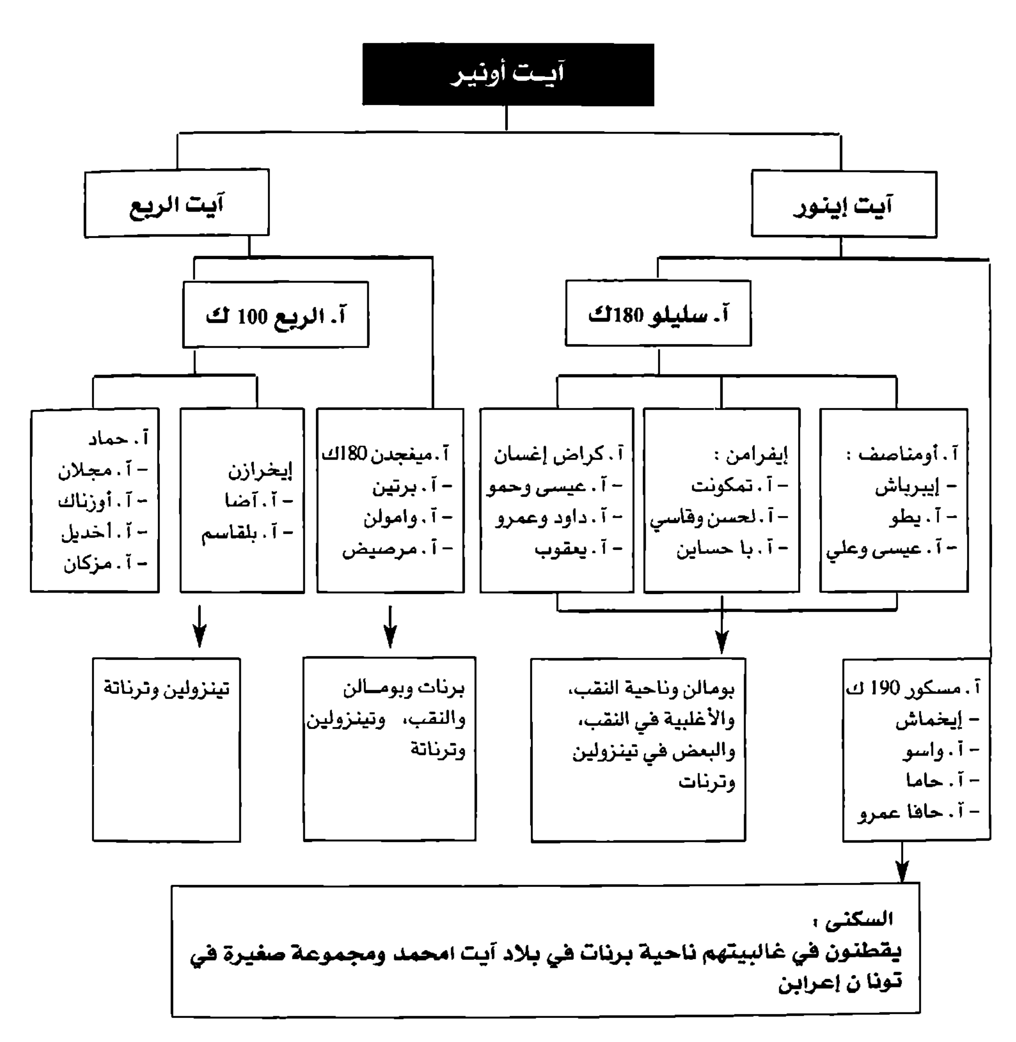
انضم آيت والال مبكرا لكلاوة تحت تأثير إيدير والحاج المسوفي، أمغار نُ وفْلاً نايت عطا سابقا، ومبارك والفضيل وعلي من آيت تميلين بدادس[7]. في حين أنه منذ سنة 1927 تقلصت علاقات آيت والال تازارين ومنطقة النقب مع كلاوة الذين يتراجع نفوذهم، ولا يبدو آيت والال معادين لنا سنة 1930، ولكن لا يمكننا كذلك التعويل على تعاونهم.

(5) "إنهما قبيلتان شقيقتان من حيث كون جديهما كانا شقيقين، لكن الأسطورة تورد أن هذين الأخوين ولدا سيامين، وأن صفيحة الفولاذ التي قطعت العقدة التي كانت توحدهما قطعت معها في ذات الوقت صلة الأخوة بينهما" : Commandant - interprète Denoun, Renseignements complémantaires sur les Ait Atta, décembre 1924 ويعتبر آيت اونير وآيت والال من أقدم قبائل الإتحادية (المؤلف).

(6) تعيش حوالي 400 أسرة من آيت والال (آيت أوزين وآيت الربع وآيت بوبكر وآيت مسعود) في ناحية النقب - تازارين. (المؤلف).

(7) اغتيل مبارك ولد الفضيل سنة 1929 من طرف حمو ولد الحاج فاسكا أخ موحداش من آيت بويكنيفن (آيت واحليم). (المؤلف).

/78/



المجموع : 580 كانون.

/79/ ويبدو أن آيت أونير يتشكلون من أمازيغ صنهاجيين من الدرجتين الثانية والثالثة، وينحدرون حسب الأسطورة من آيت والال. إنهم محاربون شجعان صبورون وماكرون ومقدامون، وقطاع طرق مشهورون تهابهم عن حق ساكنة درعة ودادس؛ ويحتقرون آيت والال دون أن يحاربوهم على العموم، باستثناء إمسوفة الذين يتصارعون معهم على مصالح في ترناتة وفزواطة، كما يعادون آيت واحليم ويرتبطون بميثاق صداقة مع آيت إيسفول .

ونادرون جدا هم آيت أونير الذين بقوا إلى الآن رحلا بالكامل، فبعضهم استقر نهائيا، ويمتلك الكثيرون قطعانا مهمة تتنقل من فايجة زاكورة إلى الأطلس الكبير تبعا للفصول، ولديهم كلهم تقريبا ميناء ارتباط، أي قصر أو تيغرمت حيث يخزنون مؤنهم وذخائرهم ويتركون بشكل دائم الجزء الأكبر من الأسرة.

وقد خضع آيت أونير برنات المنضمين للمخزن منذ 1916 رسميا سنة 1922، كما يخضعون في بومالن (دادس) لنفوذ كلاوة، بينما يفلت منه إخوانهم في النقب بشكل كامل تقريبا، غير أن أعيانهم الرئيسيين يقيمون علاقات جد متواصلة مع الباشا الحاج التهامي، وعلى العكس من ذلك فإن آيت أونير درعة، الذين كانوا لبعض الوقت ودبين تجاه حلفائنا، يحاربونهم بنجاح منذ 1924.

منذ عدة سنين لم يعد لآيت أونير المقسمين إلى أربعة أجزاء (برنات وبومالن والنقب ودرعة) شيخ عام مشترك، وأصبحت كل واحدة من هذه المجموعات تنتخب شيخها الخاص[8]. ومع ذلك هناك روح تضامن لافتة للنظر تحرك القبيلة وتمنحها نوعا من التماسك، ولو أن مصالح كل فرد أصبحت متضاربة أكثر فأكثر مع مصالح جاره.

ويمارس أحد الأعيان، باسّو وْميمون نَ آيتْ الغماز، نفوذا كبيرا على آيت سليلو /80/ وآيت أونير الآخرين القاطنين ببومالن، ولازال أبوه خويا ميمون حيا ولكنه هرم وأصم وعاجز. ويعتبر خويا ميمون، هذا الزعيم المسن الذي ظهر دائما بمظهر العطاوي المستقل، "معاديا لكل سلطة خارجية تريد فرض الوصاية على آيت عطا، سواء تمثلت هذه السلطة في المخزن أو كلاوة. وهكذا في سنة 1927 ساند إخوانه في درعة المتحالفين مع آيت إيسفول، والذين حشدوا حركة ضد الخليفة الكلاوي بترناتة، فكان منشغلا بدرعة بينما كان ابن مرغي يقوم بعملياته في دادس -تودغا. وفي سنة 1929، ساند من جديد آيت سدرات ضد كلاوة وأولاد يحيى.

أما باسو وميمون المزداد حوالي 1893 فمُتطور أكثر من والده، وقد أدرك أن مصلحته لا تكمن في التشبث العنيد باستقلالٍ شرسٍ بل في التقرب من المخزن وكلاوة، ومن المحتمل بالفعل أن يكون سَلَك هذا الطريق بإيعاز من خويا ميمون، الذي اشمأز من التنكر لماضيه ولكنه كان مع ذلك يحَضِّر للمستقبل. وفي سنة 1927 يبدو أنه حدث خلاف بين باسّو وميمون وأبيه، فغادر باسُّو النقب واستقر عند آيت سليلو بدادس، وخلال الحركة ضد كلاوة اتجه إلى درعة مع خمسين من آيت أونير دادس، ولعب دور الحكم بين كلاوة وإخوانه بدرعة. ولازال هؤلاء إلى اليوم يكنون له

(8) هناك في لكتاوة مجموعة صغيرة من آيت اونير (20 كانونا تقريبا) تقطن قصبة آيت زيمرو، ولا يبدو انهم على علاقة متواصلة مع آيت أونير ترناتة وتينزولين. ونذكر كذلك بأن آيت أونير ساهموا بقوة في تشكيل قبيلة آيت عطا نومالو التي يكونون فيها حاليا العنصر المهيمن. (المؤلف).

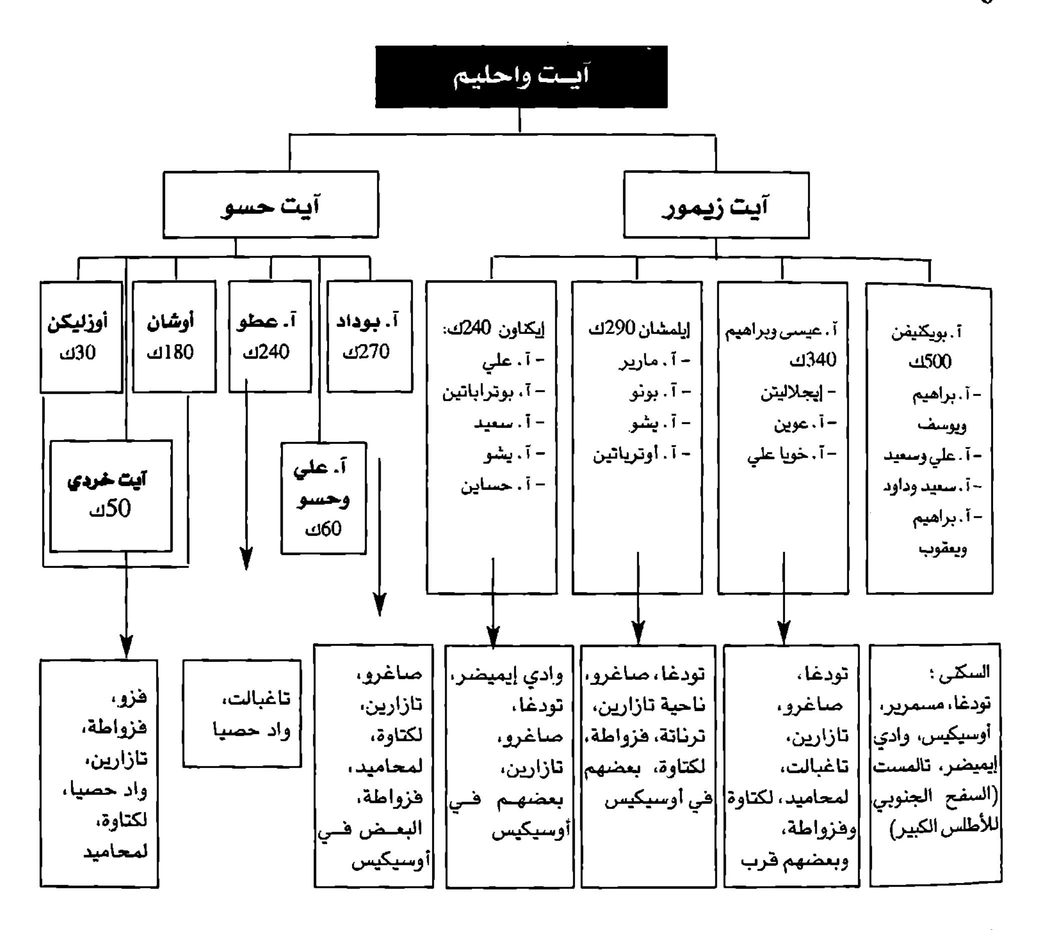
نوعا من الضغينة لمنعه إياهم من استغلال انتصاراتهم الأولى، ومنذ 1930 تصالح باسو وميمون مع أبيه ويعيش معه في النقب"[9].

وإذا كان باسو وميمون يمثل لدى آيت سليلو الاتجاه الموالي لعملنا، فإن موحى وحمو أومَرير، المزداد حوالي 1880 جمع حوله بالمقابل كل من يَدَّعون أنهم نزهاء وغير مرتشين ولكنهم قليلو العدد. وأومَرير شخصية من الدرجة الثانية، فظ وعنيد وذو ذكاء ضعيف، متصلب الرأي وجد مُحْرَج في العمق من الدور الذي ورطه فيه ابن مرغي، إنه يكره باسو وميمون.

وبفضل باسو وميمون خضع آيت سليلو دادس في نهاية 1930، أما آيت سليلو النقب فيمكن /81/ اعتبارهم مؤيدين لنا، ويبدو أن آيت أونير درعة غير مهيئين ويشارك قطاع طرقهم في كل الجيوش الموجهة ضد قبائلنا.

(9) موجر من تقرير لمصلحة الشؤون الأهلية. (المؤلف).

3 ـ خمس آيت واحليم :



المجموع : 580 كانون.

/82/ يقسِّم آيت عطا في الغالب آيت واحليم إلى ثلاثة أثلاث تبعا للغايات والود الخاص بين أفخاذهم وهي: ثلث آيت بويكنيفن وآيت عيسى وابراهيم، وثلث إيلمشان وإيكناون وثلث آيت حسو. وعلى غرار آيت والال وآيت أونير، يتشكلون من أمازيغ صنهاجة من الدرجتين الثانية والثالثة، وقد يعود آيت بويكنيفن إلى أصل عربي معقلي. أما اسم الجد المشترك لإيكناون فيبدو أنه يشير إلى أصول هذا الفخذ السودانية (إيكناون = كناوة).

يشكل آيت واحليم مع آيت أونير وآيت والال أقدم مجموعة في آيت عطا الصحراء، وكانوا في السابق أقوى خمس في الإتحادية ويفرضون عليها إرادتهم بهذه الصفة، وكان نفوذهم يمتد على

تودغا وأوسيكيس ودرعة، غير أنهم يواجهون الآن صعوبة في الحفاظ على مكانتهم نظرا لاستنزافهم بسبب الصراعات الداخلية، وتعرضهم من كل جانب لضغوط قبائل مختلفة من آيت عطا أكثر فتوة ووحدة وأحسن قيادة، ففي درعة اضطروا إلى التنازل عن عدد معين من القصور لآيت إيسفول، وأخيرا لم يعد لديهم شيخ عام مشترك.

وفي الاجتماعات الكبرى للإتحادية لم تعد لهم نفس المكانة كما في السابق، ولم يعد أعيانهم مسموعي الكلمة لتورطهم في مساومات مع كلاوة باعتبارهم وكلاء لهم. ويبدو أن هذا التدهور يعود إلى حوالي خمسين سنة، ولكنه ازداد حدة منذ 1926، ومع ذلك فإن آيت واحليم رغم تراجعهم وقلة انسجامهم لا زالوا يشكلون مجموعة كثيرة العدد و غير مستهان بها إطلاقا، وتبدو بعض أفخاذهم التي تحاول الظهور بمظهر القبائل المستقلة قوية وسليمة.

ويشتهر آيت بويكنيفن وآيت عيسى وبراهيم الرحل وإيلمشان وأُوشَّانْ بأنهم محاربون أشداء، أما المجموعات الأخرى فقيمتها القتالية ضعيفة.

وعموما يعتبر آيت واحليم معادين جدا لآيت أونير وآيت إيسفول وآيت إيعزا، بينما يقيمون علاقات جيدة في الغالب مع آيت والال، وأخيرا فإن آيت حسو جد مرتبطين بآيت خباش، ويحتقرون كلهم آيت علوان.

/83/ يشكل وادي إيميضر منطقة نفوذ آيت بويكنيفن، في حين يسيطر آيت عيسى وبراهيم وإيلمشان في صاغرو الأوسط ولهم كذلك مصالح ضخمة في تودغا، بينما يتمركز آيت بوداود حول منطقة تازارين وآيت إيزو حول تاغبالت. ولكل آيت حسو تقريبا أملاك في درعة، كما يملك فيها آيت عيسى وبراهيم وإيلمشان بعض القصور.

ولازال القسم الأكبر من إيلمشان وآيت عيسى وبراهيم وآيت بوداود رحلا، غير أن لهم كلهم قصورا يتخذونها مخازن، وتجوب قطعانهم منخفض تازارين وتاغبالت وصاغرو الأوسط وتذهب للرعي صيفا إلى الأطلس الكبير وعلى هضبة إزورار وسفح أزورقي الشمالي.

وقد برز ثلاثة أعيان مهمين عند آيت واحليم وهم : مُوحْدَّاشْ ولد الحاج فَاسْكا من آيت بويكنيفن، وعسّو وْبَاسْلام من إيلمشان وحمو وْلحسن بن مُرْغي من آيت بوداود. ويعتبر موحداش ذي 45 سنة تقريبا نموذجا رائعا للأمازيغي الصنهاجي، وتمنحه قامته العالية ومحياه الذكي ذو القسمات المتناسقة ووقاره، يمنحه كل ذلك هيبة طبيعية أكيدة، ويعتبر كذلك داهية سياسية وجد نبيه، عارفا في ذات الوقت بعقليات إخوانه آيت عطا وممثلي المخزن ضباط الشؤون الأهلية والزعماء الكلاويين. فمنذ 1919 أصبح بطل حزب كلاوة في أعالي دادس وتودغا حيث قدم

خدمات جُلّى، ولكن شخصيته القوية أبعدت بالتأكيد بعض الأعيان الغيورين والمستقلين عن المخزن خشية من التبعية له[10].

أما عسو وباسلام ذي الخمسين سنة، فهو العدو الشخصي لموحداش، أمازيغي خشن وفخور بأصله ومشهور بخصاله الحربية، حيث برز كزعيم جمع حوله كل أولئك الرافضين للاعتراف بسلطة المخزن .

وأما حمو ولحسن بن مرغي المزداد حوالي 1860، /84/فيسكن منذ 1920 في بوبريح بمقاطعة تازارين، وكان في السابق يقطن قصر أمْرَادْ (أجمو نَ آيت بو داود)، "يعطي الانطباع بأنه شخصية ذكية وسلطوية، ولكنه غريب الأطوار وذو تقلبات مفاجئة متقمصا جيدا تقلب المزاج العطاوي. هكذا قاد سنة 1919 حركة من آيت عطا ضد كلاوة، وفي السنة الموالية انضم إلى صفوف خصومه بالأمس، وفي سنة 1921 جاء إلى مراكش صحبة مندوبين من كل أفخاذ آيت عطا للتعبير عن مشاعره الإيجابية تجاه المخزن، لكن هذا لم يمنعه سنة 1927 من مباركة اعتداءات آيت عطا ضد حلفائنا كلاوة.

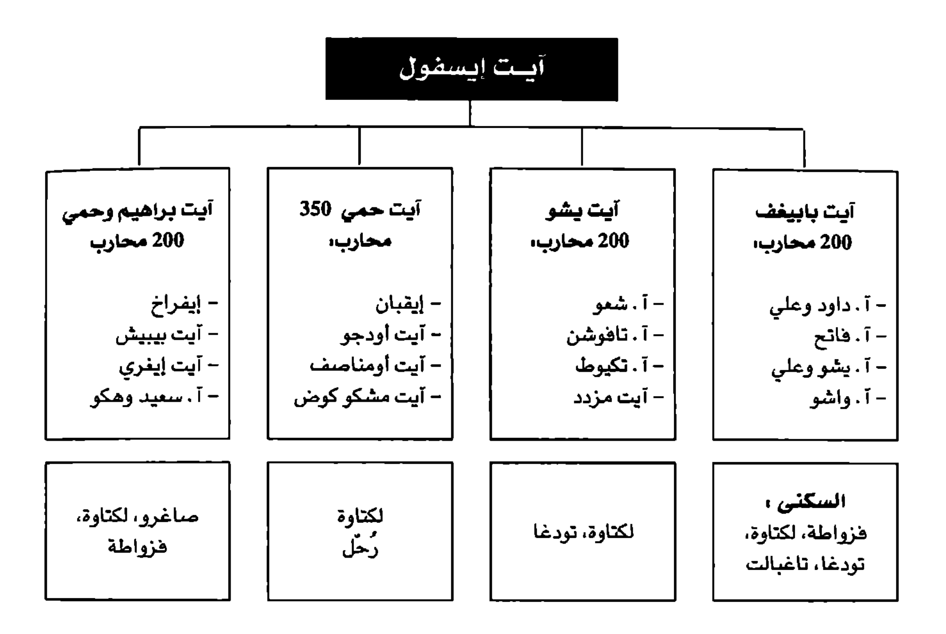
يقدمه لنا إخوانه حاليا كشيخ مسن ومتعب ضعفت قواه العقلية والجسدية كثيرا، ويبدو مع ذلك أنه لازال يلعب دورا ما مُحاطاً بالغموض وصعب التحديد، بحيث لا يقتصر على منطقة تازارين -تاغبالت، بل يهتم أيضا بشؤون درعة بدعم إخوانه آيت حسو ضد خصومهم. والراجح أنه تدخل لدى بلقاسم النكادي سنة 1929 لكي يأتي آيت خباش إلى درعة لنجدة آيت حسو العاجزين أمام آيت إيسفول.

من جهة أخرى لم تعد له أية علاقة معنا، ورغم كل محاولاتنا بقي متحفظا في إعادة ربطها، وأخيرا يبدو أنه لا يرغب في رؤية نفوذنا يتطور سواء في درعة أو في تازارين. كما تجدر الإشارة إلى أن ابن مُرغي كان في السابق أمغار نُ وفَلاَّ لآيت عطا، وظل لسنوات عديدة زعيمهم بدون منازع حيث لازال اسمه يحظى لديهم بسمعة كبيرة"[11]. ختاما، باستثناء آيت بويكنيفن، يمكن اعتبار آيت واحليم معادين.

(10) نذكر بأن أخ موحداش اغتال سنة 1929 مبارك والفضيل أحد أعيان آيت والال النافذين. (المؤلف).

(11) D'après le lieutenant du Saint-Bon, Notes provisoires sur la région située entre l'Oued Dra et l'Oued Reg. p.p.38-39

/85/ 4 - خمس آيت إيسفول -آيت علوان.



حسب أسطورة دونها المقدم نويل Noël سنة 1919 ، وكان حينئذ رئيس مكتب قصر السوق، ربما يكون جد آيت إيسفول أحد أبناء سيدي محمد ولد مولاي علي الشريف العلوي من تافيلالت، فتزوج هذا الشاب فتاة من مرابطي زاوية سيدي علي وبورك التي رزق منها بولد وبنت، وبعد أن صار الصبيان يتيمين أخذ الولد شخص من آيت علوان بينما أخذ البنت شخص من إيكناون.

ويطلق آيت عطا على آيت إيسفول "آيت لحرام" أي أبناء الحرام، غير أنه في الجنوب يطلق ذلك عادة على الناس المحتالين المنقطعين لمهنة قطع الطرق.

وآيت إيسفول محاربون مشهورون بشراستهم في المعارك وباستقامة ونزاهة طبع /86/ أعيانهم الرئيسيين[12]، حيث يفون على العموم بعهودهم[13]. ويعتبر آيت إيسفول حلفاء آيت أونير بمقتضى ميثاق تافركانت، ويحمون آيت علوان الذين يحتقرونهم بسبب تقلبهم وجبنهم، كما أنهم أعداء لآيت

(12) خلال عمليات صاغرو(فبراير مارس 1933)، نصحنا أعيان آيت عطا باستعمال محاربي آيت إيسفول بدعم من آيت أونير، لأن آيت أونير كما يقولون شجعان ومقدامون، بارعون في عمليات السطو لكنهم لا يحتفظون بالأرض المسيطر عليها. أما آيت إيسفول الأثقل والبطيئون في الانخراط في المعركة، فيحاربون بحذر وفطنة، وبقدر ما يتفادون الخسائر ما أمكن لا يتملكهم الذعر عندما تحدث. (المؤلف).

(13) قبل خضوعهم الرسمي، وفوا بالوعود التي قطعوها على انفسهم من شتنبر 1931 إلى نونبر 1932 ، صحيح أن مصالحهم التي نتفهمها كانت متطابقة مع مصالحنا، وصحيح كذلك انه في سنة 1929 لم يساندوا كما يجب آيت علوان في صراعهم ضد آيت خباش، ولكنهم لا يثقون كثيرا في آيت علوان. (المؤلف).

واحليم وخصوصا آيت حسو، بينما تربطهم علاقات طيبة مع آيت إيعزا. وقد خضع آيت إيسفول تودغا لنفوذ كلاوة دائما، بينما كان إخوانهم بدرعة وتاغبالت معادين لهؤلاء الزعماء المخزنيين.

ينتظم آيت إيسفول من الجنوب إلى الشمال، من لكتاوة إلى تودغا مرورا بفزواطة وتاغبالت ومنطقة بوديب - مصيصي على سفح أوكنات الجنوبي. ونجد أثر آيت إيسفول أيضا في أوسيكيس وفي الرتب (زيز)، وعند آيت خليفة من آيت يوسي وفي تابلبالت (بقصر الشرعية). ويوجد مركز ثقلم في لكتاوة، وهي أرض غزو حديث.

ولازال آيت إيسفول كقبيلة فتية وقوية متحدين، بحيث لهم شيخ عام لمجموع القبيلة، لكن يبدو أن الصلات بين مختلف المجموعات السائرة في طريق الاستقرار بدأت في التراخي. ولايعدم آيت إيسفول أعيانا مهمين، بيد أن أي منهم لم ينجح في فرض نفسه وتسيير حياة القبيلة.

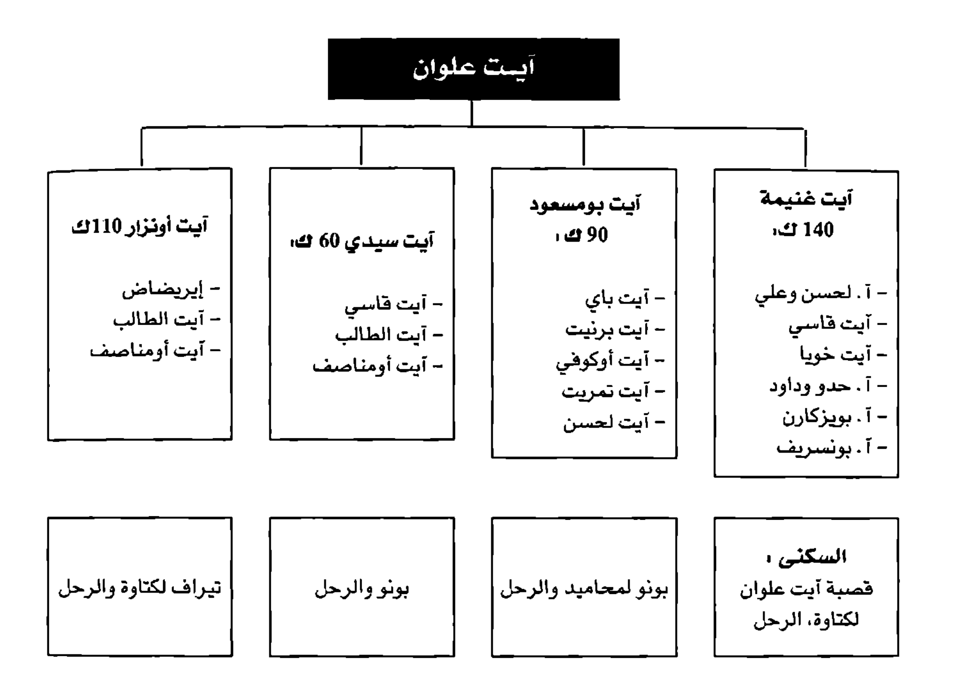
وبصفة عامة لا تلعب لديهم أجزاء الأفخاذ وتجمعات العشائر أي دور سياسي بارز، باستثناء فخذ آيت مشكوكوض /87/ القاطن في أغلبه ببوديب ومصيصي، فقد منحه ابتعاده عن باقي آيت إيسفول شخصية متميزة، فآيت مشكوكوض الطيبي العلاقة مع آيت إيعزا تفاهموا دائما تقريبا مع آيت خباش.

وهناك حوالي 150 أسرة من آيت إيسفول من الرحل بالأساس رغم امتلاكهم منازل في لكتاوة، ويحد مجال رعيهم شرقا زيز والداورة، وشمالا أوكنات وصاغرو ومرتفعات أولاد يحيى، وغربا مشارف تسينت، وجنوبا خط عرض تيمجوك. وتوجد لكتاوة وسط هذا المجال تقريبا.

لا يعتبر آيت إيسفول رحلا صحراويين، بحيث لا يعرفون لا مسالك ولا آبار الحمادة جنوب درعة ولا يملكون إبلا مهرية. ومن وجهة النظر السياسية يحملهم عداؤهم لكلاوة على محاربتنا[14].

(14) اغتيل عدي وخيي سنة 1927 من طرف "إخوانه"، وهو أحد أعيان آيت بابيغف من تودغا انتخب أمغار نُ وفْلاً نايت عطا، كما يوالي كلاوة. (المؤلف).

آيت علوان:



المجموع: 400 كانون.

/88/ إنهم عرب معقل تمزغوا كلية منذ انتمائهم لآيت عطا، حيث يعتبرون مع آيت أونير وآيت والال وآيت واحليم من أقدم عناصر الإتحادية[15]، كما أنهم ليسوا محاربين أشداء ومتقلبون ومنقسمون جدا، بالتالي يعتبرون حسب تعبير القبطان الترجمان دونون Denoun "المنبوذين السياسيين" للمجموعة[16]، فقد أبعدوا دائما ولم يشاركوا قط في انتخاب أمغار نُ وفْلاّ نايت عطا، ولم يحافظوا على أنفسهم إلا بدعم آيت إيسفول الذين ساندوهم بدورهم قديما.

وتربط علاقات ممتازة بين آيت علوان وإيدا وبلال، كما أن علاقاتهم مع آيت أومريبط وآيت أوسا لا بأس بها. وكان موقف آيت علوان تجاهنا سليما بين سنتي 1921 و1928، فقد اتصلوا

(15) تورد الرواية أن الجد دادا عطا نفسه هو الذي أطلق عليهم إسمهم لتخليد ذكرى النجدة التي تلقاها منهم: "علوان" تعني أهل النجدة (D'après le cpt. F. de La Chapelle) (المؤلف.)

نستبعد من جهتنا هذه التخريجات المرتكزة على المدلول اللغوي العربي فقط، ثم إن علوان لها صلة باسم علي وليس بالنجدة والمساعدة التي تتصل ب "لعوين" أو "لعوان" (المترجم.)

(16) يبدو أنهم كانوا ذوي حيوية كبيرة في السابق، حيث نجد الآن فعلا أناسا ذوي أصول من آيت علوان عند أهل دادس وعند نتيفة بتاناتت، وعند آيت بوزيد وآيت عطا نومالو بواويزغت، وعند آيت إسحاق في الأطلس المتوسط (المؤلف).

بفيلق مهاريي الساورة بعد الحرب الكبرى وطلبوا "الأمان" بتابلبالت سنة 1924 للإفلات من نفوذ كلاوة الذين كانوا يكرهونهم. وفي سنة 1928 تنازعوا مع اعريب الذين اغتصبوا لهم قصر أولاد مهاية بفضل دعم آيت خباش، حينئذ استنجد آيت علوان بآيت إيسفول بدون جدوى، إذ لم يتوصلوا بأي دعم من هؤلاء رغم إمدادهم بمحاربين للصراع ضد أتباع كلاوة في فزواطة وترناتة.

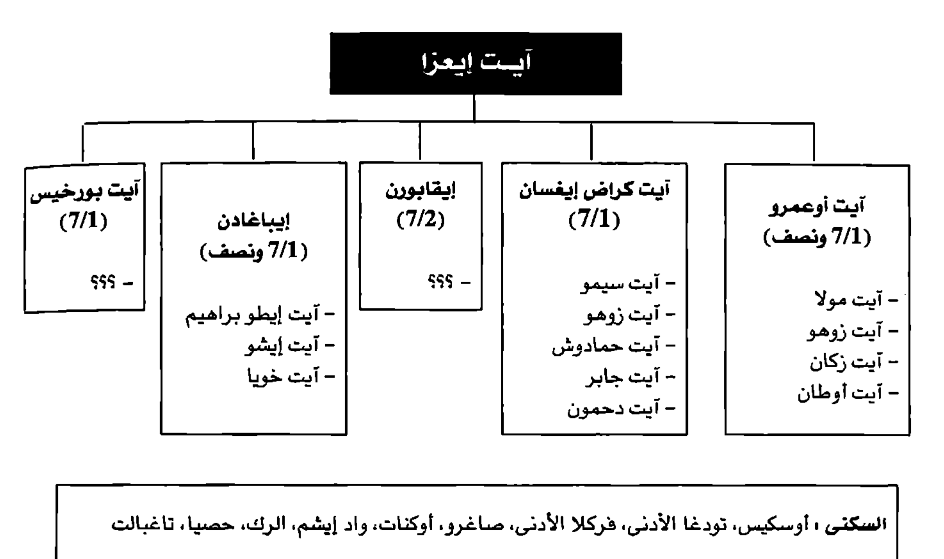
هكذا غير آيت غنيمة موقفهم فجأة بانضمام معظمهم إلى آيت خباش، وفيما بعد تلقى آيت إيسفول، الذين خاضوا صراعا ضد لف آيت حسو – آيت خباش المهددين لمصالحهم في لكتاوة، تلقوا مساندة آيت سيدي وآيت بومسعود، بينما حاول آيت أونزار البقاء على الحياد.

لم يبق لقبيلة آيت علوان السائرة في طريق التدهور /89/أي انسجام وتماسك، فلم يعودوا ينتخبون شيخا عاما ولكل فخذ شيخه الخاص، ولا يوجد بينهم أعيان ذوو بال. ولازالت لديهم بعض القصور والأراضي الزراعية في لكتاوة ولمحاميد، ولكنهم رعاة بالأساس نهبت قطعانهم مرارا من طرف آيت خباش واعريب وآيت إيسفول، ومن ثم يبدون على العموم جد معوزين. ويتنقل رحل آيت علوان في فايجة باني ووادي درعة وعلى الحمادة، من مشارف آقا إلى تابلبالت، ولم يعودوا يرتادون إيغيدي.

ولكونهم جمّالين ومسافرين كبار يبدو أنهم أكثر صحراوية من آيت إيسفول حيث يعادلون على الأقل آيت خباش في هذا الصدد، بيد أنهم لم يعودوا يملكون الإبل المهرية.

كما يبدو أن آيت علوان في معظمهم متقبلين للمخزن، لكن تعاونهم لا فائدة منه بسبب ضعفهم.

5 - خمس آيت إيعزا -آيت خليفة -آيت الفرسي[17]



عدد الكوانين : نحو 1000.

/90/ينحدر معظم آيت إيعزا من أمازيغ صنهاجة، ولعل بعضهم وخصوصا إيقابورن وآيت بورخيص من أصل معقلي، وآخرون أجدادهم من العبيد المعتقين أو الحراطين، وأخيرا لعل آيت بويعقوب وآيت بوويريك يهودا أسلموا[18].

وآيت إيعزا قوم خشنون وفقراء جشعون، محاربون أشداء وذوو طبع نزيه، لعبوا دائما دورا مهما عند آيت عطا، بحيث كانوا يحملون رايتهم قديما ولا يزالون إلى الآن يقدمون مع آيت واحليم حكام المحكمة العليا بإيغرم أمازدار. وليست لهم صداقة إلا مع آيت إيسفول[19]، وقد كانت حروبهم مع آيت واحليم وبالأخص آيت عيسى وبراهيم موضوع الأخبار ببلاد آيت عطا لمدة

(17) يسمى هذا الخمس حسب دافيد هارت خمس آيت عيسى مزيين، ويضم إلى جانب القبائل الثلاث قبيلة آيت خردي. وقد اعتمدنا كتاب هارت في تقسيم آيت إيعزا، نظرا لكون معطيات سبيلمان متذبذبة (المترجم).

(18) D'après le cpt. F. de La Chapelle, Notes sur la confédération des Aït Atta (المؤلف). هنا لا بد من الإشارة إلى أن اليهودية دين وليست عرقا، وبالتالي قد تكون بعض القبائل الأمازيغية الصنهاجية أوغيرها اعتنقت اليهودية أو المسيحية أو الوثنية قبل وصول الإسلام إلى بلاد المغرب، وهذه الحقيقة التاريخية لا تقتصر على قبيلة دون أخرى، ومن ثم وجب أخذ مثل هذه المعطيات بنوع من الحذر، خصوصا وأن السخائم والأحقاد القبلية بلغت أوجها إبان جمع ضباط الشؤون الأهلية لمعلوماتهم التي دونوها. (المترجم).

(19) لم يحارب آيت إيسفول أبدا آيت إيعزا، كما أن آيت إيعزا رفضوا سنة 1932 دعم آيت حسو وآيت خباش في صراعهم ضد آيت إيسفول في درعة (المؤلف).

طويلة. أما علاقاتهم مع آيت خباش فتبدو فاترة، وقد دخلوا معهم مرارا في نزاعات، كما حاربوا قديما ضد آيت والال وآيت أونير. ويعتبرون أعداء لآيت يافلمان وخاصة آيت مرغاد، ومع ذلك يتحملون آيت حمو الذين يهابونهم، في حين يربطون علاقات جيدة مع صلحاء أحنصال.

كان آيت إيعزا لمدة طويلة أصلب مساندي الدجال امحمد نْ إيفروتن وخلفه بلقاسم النكادي. وكانت لآيت إيعزا تودغا وإخوانهم في أعالي الرك علاقات جيدة مع كلاوة بين سنتي 1920 و1924، ولكنهم يواجهونهم بفتور منذ 1926 تاريخ بداية أفول نجم سادة تلوات.

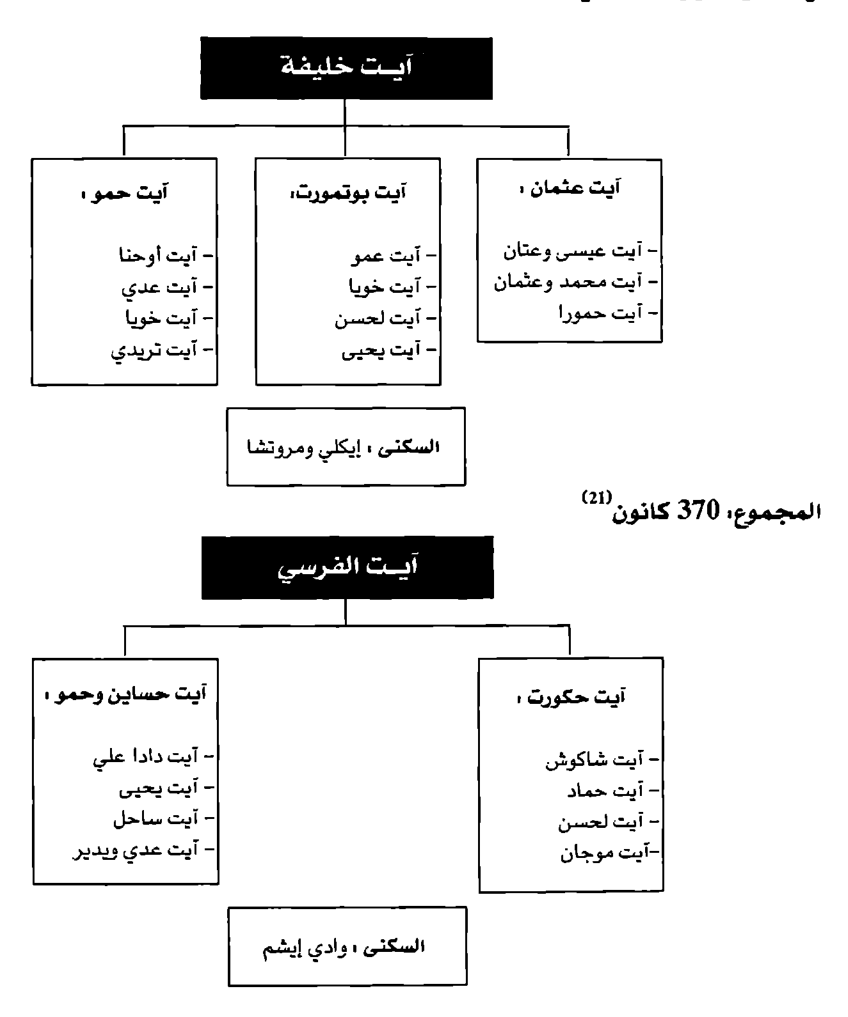
أبدى آيت إيعزا دائما تحفظهم تجاهنا ونادرون هم من يرتادون مكاتبنا للشؤون الأهلية، وكثيرون معادون لنا بصراحة.

يوجد مركز ثقلهم في وادي الرك، وتقطن مجموعات مهمة تودغا السفلى وفركلة السفلى وأوسيكيس، وقديما كانت لهم مصالح في /91 /درعة حيث توجد في فزواطة ولكتاوة آثار العديد من قصورهم، لكنهم تركوا هذه المنطقة منذ زمن طويل نظرا لبعدها عن مركز ثقلهم. ورغم امتلاك أغلبهم لمنازل فإنهم إجمالا رحل، حيث يسوقون قطعانهم للرعي من معيدر كَمْكَمْ حتى الأطلس الكبير .

لا يوجد شيخ عام لآيت إيعزا، فكل فخذ ينتخب شيخه الخاص، ولا يعينون شيخا عاما إلا في فترات الأزمة. ويمارس بويشو من ألنيف نفوذا لا يستهان به على آيت إيعزا، ولكنه مثل كل أعيان آيت عطا البارزين لا يستطيع بتاتا التعويل إلا على الدعم الفعلي لمئتين إلى ثلاثمائة كانون، وينتمي لعائلة إيزواويتن من آيت باها يشو التي تشكل داخل القبيلة جماعة إيمزوارن[20]، الذين كانوا يحملون راية آيت عطا ويمشون في مقدمة "إخوانهم" الذين يتقدمون بدورهم محاربي الإتحادية يوم القتال، ويمنح هذا النسب لبويشو نوعا من الحظوة.

(20) "إيمزوارن" اي الأولون، سموا كذلك لأنهم كانوا أول من يتكلم في مجلس الأعيان ويتزعمون القتال. (المؤلف).

آيت خليفة وآيت الفرسي :

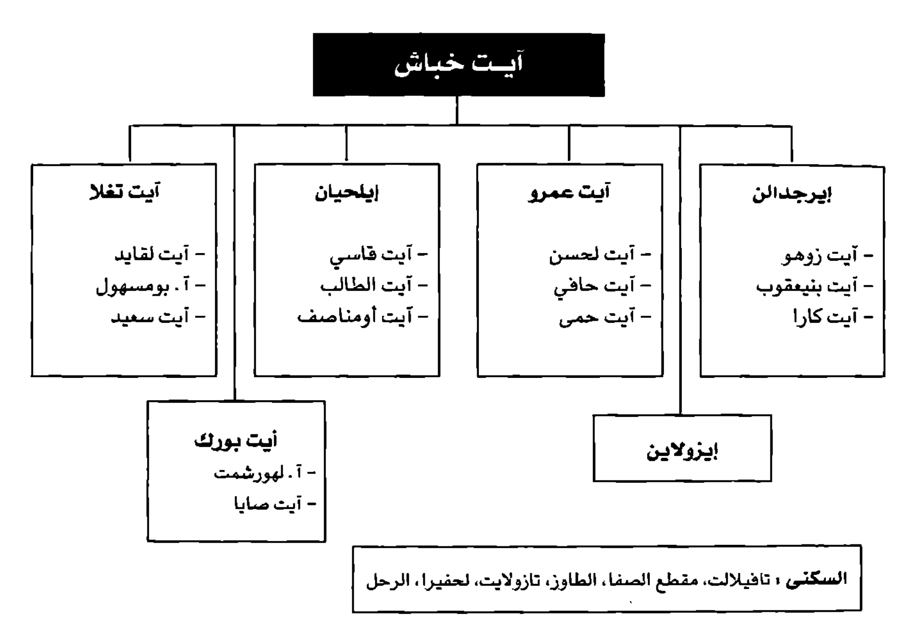


يعود آيت خليفة وآيت الفرسي إلى أصول صنهاجية على غرار أغلبية آيت عطا، ويشكلون مع آيت إيعزا خمس آيت عيسى إيزم[22] لكنهم لا يلعبون أي دور بارز فيه، حيث كان آيت إيعزا وحدهم فعلا يوفرون قديما أمغارنُ وفْلاَّ نآيت عطا عندما يحين دور الخمس بعدم دعوة آيت خليفة وآيت الفرسي لنيل هذا الشرف.

(21) اعتمدنا في تقسيم آيت خليفة على دافيد هارت، لكون معطيات سبيلمان غير مضبوطة وناقصة (المترجم).
(22) اختلطت الأسماء على سبيلمان. فاسم الخمس آيت عيسى مزّيْنْ (المترجم).

/92/ ويجدر مع ذلك التنصيص على أنهم ليسوا مقطورة آيت إيعزا، إذ تبقى سياستهم مستقلة. ويتمركز آيت الفرسي بقطعانهم - الذين لازال قسم منهم رحلا رغم امتلاكهم كلهم قصورا -حول كتلتي صاغرو وأوكنات.

6 - خمس آيت أونبكي (أونبيي). آيت خباش(23)



المجموع : 460 كانون

يعتبر آيت خباش في معظمهم أمازيغ صنهاجيين، ولعلهم أقارب لطوارق الهكار وتايتوك(24)، وقد يكون بعضهم مثل إيزولاين عربا معقليين. ولعل جدهم المشترك تزوج امرأة من آيت سدرات دادس وانضموا إلى الإتحادية بتزكية من آيت بويكنيفن (آيت واحليم).

كان آيت خباش في السابق رحلا صحراويين كبارا وصلت تحركاتهم إلى توات وكورارة وتيديكلت بل حتى الساقية الحمراء وادي الذهب في بداية هذا القرن، وحوالي 1870 كانت قوافلهم تتجه بكثرة /93 / نحو السودان، إلا أن احتلال الواحات الجزائرية والتخوم الشمالية

(23) يجانب سبيلمان كثيرا الصواب في تقسيمه لآيت خباش، بإيراده لفخذين فقط يضمان كل عشائرهم، بينما تتطابق المعطيات التي أوردها دافيد هارت مع ما يحكيه آيت خباش أنفسهم إلى الآن، بحيث ينقسمون إلى ستة إيغسان (افخاذ) كما هو مبين في الرسم (المترجم).

(24) D'après A.G.P. Martin, les oasis sahariennes, p. 102

لأفريقيا الغربية من طرف القوات الفرنسية قد طردهم نحو الغرب والشمال، ومنذئذ فقدوا شيئا ما الإتصال مع الصحراء، ومع ذلك ظلوا جمالين جيدين يمتلكون إبلا مهرية. ونجد آيت خباش في أوسيكيس وفي أعالي زيز وعند آيت يوسي في الأطلس المتوسط (شمال شرق صفرو) وعند بني جليداسن من بني وراين[25] يعتبر آيت خباش محاربين ممتازين زاهدين في المأكل والملبس وصبورين، ولذلك فهم جياشون[26] مشهورون، كما يعرف فخذ آيت عمرو بأنه الأكثر غنى وإيرجدالن بالأكثر قتالية، أما إيزولاين وإيلحيانن فأقل أهمية منهما.

ويربط ميثاق تافركانت بين آيت خباش وعرب بني امحمد، وعلاقاتهم طيبة مع آيت واحليم وخصوصا آيت حسو، في حين يمثلون ألد أعداء آيت إيسفول. أما اعريب النواجي فمشايعون لهم، ويتحالف معهم ذوي منيعنا (nos Doui M'nia.)، ويستعمل آيت خباش آيت حمو لكنهم يخشونهم.

إنهم معادون لنا منذ 1870، وازدادت عداوتهم تجاهنا حدة بالأخص سنة 1902-1901، عندما وضع احتلالنا للواحات الصحراوية حدا لحملاتهم المربحة في هذه المنطقة. ويفلت آيت خباش بالكامل من نفوذ كلاوة، وقد دعموا الفتان امحمد نْ إيفروتن سنة 1918 ، ويقدمون الدعم لبلقاسم النكادي. ومنذ 1918 خضع أو انضم غالبية آيت بورك، ولكن القسم الأعظم من آيت خباش الذي بقي متصلبا وعنيدا يرفض الدخول في اتصال معنا بأي شكل آخر غير طلقات البندقية.

يتمركز هؤلاء الرحل قليلو الإستقرار حول تافيلالت حيث توجد لهم مصالح كبرى، ولا تستطيع أية قافلة أن تلج هذه الواحة دون أن تؤدي لهم واجب المرور في شكل زطاطة. وترعى قطعانهم المهمة جدا في المنطقة الواقعة بين حمادة كير وتافيلالت وأوكنات وصاغرو وتازارين وخط الشافعية - زكدو، وفي الضفة اليمنى للداورة السفلى، ويتوغل البعض في حمادة درعة إلى مشارف آقا نايت أومريبط.

ينتخب آيت خباش كل سنة شيخا عاما من بين إيرجدالن وإيلحيانن وآيت عمرو وإيزولاين[27]، ولكل إيغس منها شيخه الخاص. وأبرز أعيانهم هم عَدّي وكوجوطّ ويوسف وعَسُّو ومحمد وبّاني من إيرجدالن، ويوسف وبَاكْبُو من إيزولاين، ويعتبر محمد وباني المحارب المسن المشهور مخلصا ووفيا لبلقاسم النكادي.

---

(25) للإشارة فبلقاسم النكادي، أصله من انكاد، له ارتباطات ببلاد بني جليداسن (المؤلف).

(26) لم نجد كلمة توافق التعبير الذي يفضل سبيلمان استعماله وهو Djicheurs ، علما أن آيت خباش كانوا بدورهم يطلقون على محاربيهم في ذلك العهد إجياشن، وهم المحاربون الذين كانوا يخوضون الحروب سواء ضد القبائل أو أثناء المقاومة ضد الإستعمار (المترجم).

(27) دليل على انقسام القبيلة إلى هذه الأفخاذ وليس إلى فخذين كما جاء في الجدول أعلاه، ويقتصر انتخاب أمغار على هذه الأفخاذ باعتبار آيت تفلا وآيت بورك فخذين غير أصيلين. (المترجم).

آيت أومناصف[28] :

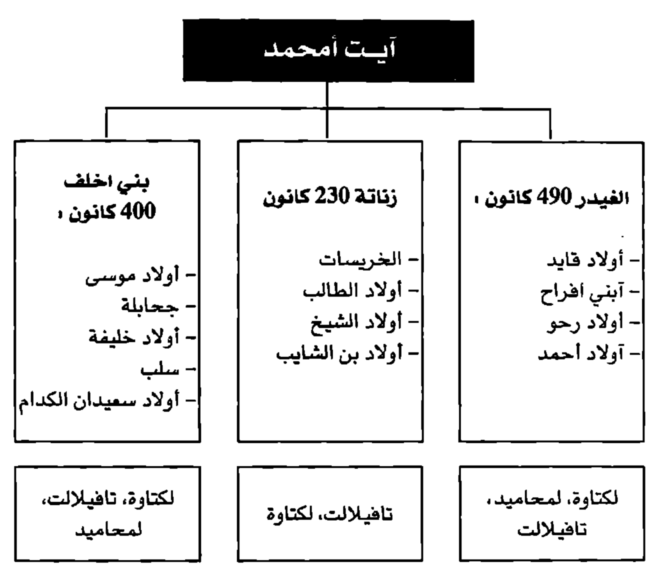


يبدو أن آيت أومناصف، الأمازيغ الصنهاجيون من الدرجتين الثانية والثالثة، يلعبون في خمس آيت أونبكي دورا أقل من آيت خباش، ويعزى ذلك بالتأكيد إلى كون معظم آيت أومناصف الرتب، أي 640 أسرة من آيت يحيى وموسى وآيت الخلف، خاضعين للمخزن.

وتربط علاقات طيبة آيت يحيى وموسى واد حصيا بآيت خباش، فمعظمهم رحل /95/ ومحاربون جيدون مشهورون. وترعى قطعانهم في المنطقة الواقعة بين تيزي نتفيلالت وزيز، وفي الصيف يلجأون إلى كتلة صاغرو وأوكنات. وآيت يحيى وموسى الثوار معادون للمخزن، ولكن ليس لهم أي تأثير ذي بال على سياسة آيت عطا، ويشكلون مقطورة تابعة لآيت خباش.

(28) المعلومات عن هذه المجموعة الأخيرة غير دقيقة. (المؤلف) احال سبيلمان في هذه الملاحظة على إيحاضوشن الدين لم يسمهم. غير ان معلوماته عن الأفخاذ الأخرى ظلت غير مضبوطة (المترجم).

7 - بني امحمد :



المجموع : 1120 كانون.

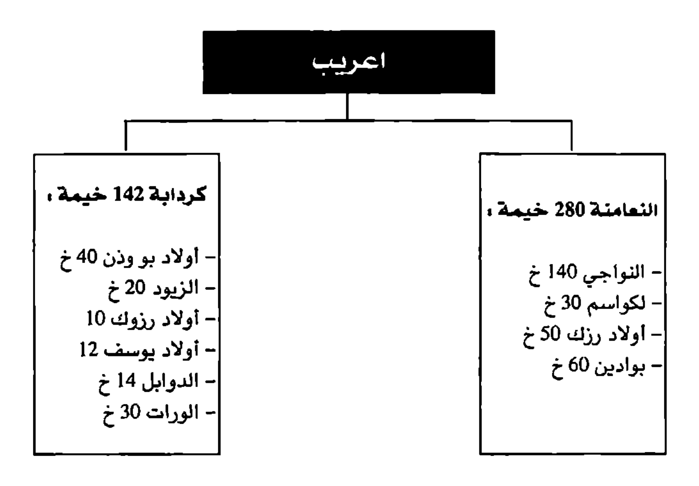
إنهم عرب معقليون أتوا من الساحل الأطلنتيكي وأقارب لعرب الصباح، لكن ذلك لم يمنعهم من محاربتهم منذ حوالي مائة سنة، وبعد هذا الخصام مع إخوانهم في الجنس أصبحوا من شيعة آيت خباش، وانضموا إلى صفوف آيت أونبكي في كل المعارك التي خاضوها ضد قواتنا في منطقة توات سنة 1902-1901 ، وفي معركة بودنيب وتافيلالت منذ 1907، /96/ ولازالت ذكرى حملاتهم إلى توات وكورارة وحتى تيديكلت في سنوات 1709 و 1864 و1887 محفوظة، ويوجد بعض بني امحمد في حوز مراكش وفي الغرب.

يتوزع بنو امحمد الجنوب حاليا على ثلاث مجموعات : لكتاوة درعة بـ 350 كانونا ولمحاميد بـ45 كانونا وتافيلالت ب 725 كانونا، وفي هذه المنطقة الأخيرة يشكلون واحدا من ست مقاطعات الواحة، وبالتالي فهم مستقرون بالكامل وقيمتهم القتالية ضعيفة.

ولدى بني امحمد شيخ فوقاني لمجموع القبيلة، يختار حسب نظام دوري محدد عرفيا في إحدى أفخاذهم بالتناوب، وداخل كل فخذ تكون العشائر مدعوة لتقديم الشيخ الفوقاني وفق نظام متعارف عليه عرفيا كذلك. وبمجرد تولي منصبه يعين الشيخ مزراكا في كل قصر مهمته السهر على نقل وتنفيذ أوامره، مما يجعل منه موظف ارتباط بين شيخ القبيلة والأعيان المكونين

للجماعة. ويعتبر مبارك ولد حمونية من الجهابلة إحدى الشخصيات النافذة في القبيلة ويقطن في تافيلالت.

/97/ 8 - اعريب:



المجموع : 422 خيمة.

إنهم عرب من بني احسن المعقليين، رحل بالأساس يملكون قطعانا كثيرة من الإبل وجمالون مشهورون، كانو يجوبون قديما الصحراء الغربية من تينبوكتو إلى درعة. ولازال يوجد بعض اعريب ليس فقط في تينبوكتو بل أيضا في الساورة، وكانت تيندوف لبعض الوقت بين أيديهم، واقتربوا بعد ذلك من منعرج درعة خلال القرن التاسع عشر، ولم ينجحوا في تثبيت قدمهم به إلا مؤخرا، حيث يقطنون اليوم قصير اعريب في لكتاوة، وأولاد مهاية وقصبة سيدي محمد ولد سيدي خليل في لمحاميد. تمتد مراعيهم من الداورة وتابلبالت شرقا إلى تيندوف ومشارف آقا غربا، ويذهب جمالوهم أحيانا إلى إيغيدي، بينما لا يتجاوزن باني شمالا بالمرة تقريبا.

ويعيش فخذ النواجي الغني والمحارب جيد التسليح منفصلا عن باقي القبيلة، وهو واقع تحت نفوذ آيت عمرو من آيت خباش الذين يحمونه، كما يوقرون مرابطي أولاد سيدي المدني. وبعد النواجي يعتبر الكواسم وأولاد بو ودن الفخذين الأكثر أهمية لدى اعريب، فالكواسم يتزعمهم حمادي ولد الشيخ، أحد الأعيان المهمين من أصل طيب، أما زعيم أولاد بو ودن فهو سيدي محمد ولد سيدي خليل، سليل /98/ أسرة صوفية محترمة، مما جعله يحظى بسلطة حقيقية، ويتنازع هذان الشخصان الهيمنة بحيث قسمت عداوتهما القبيلة بعمق.

ويعتبر النواجي وكواسم حمادي ولد الشيخ معادين لنا، بينما بالمقابل يبرهن أولاد بو ودن وحزب سيدي محمد ولد سيدي خليل عن مواقف طيبة تجاهنا، إذ يربط سيدي محمد علاقات ممتازة مع جمالتنا المهاريين كما مثل أيضا أمام الجنرال قائد منطقة مراكش.

إلا أن اعريب الذين دخلوا في صراع مع آيت علوان واغتصبوا لهم سنة 1928 قصر أولاد مهاية أصبحت علاقاتهم مع المخزن فاترة ومتباعدة، فقد اضطروا بالفعل إلى طلب دعم آيت خباش الذين يمثلون أعداءنا الرسميين الشيء الذي جعل هذا التحالف يؤثر سلبيا على سياستهم.

وعلاقات اعريب سيئة جدا مع آيت إيسفول وآيت أونير وإيدا وبلال وآيت أومبريبط، في حين تربطهم علاقات طيبة مع آيت واحليم وإيمسوفا وآيت والال وآيت أوسا، ويكرهون ويخشون كلاوة، وعلى غرار كل قبائل الشرق يعادون الركيبات.

ويبدو بجلاء أن سيدي محمد ولد سيدي خليل، خشية استعباد وشيك لقبيلته من طرف آيت خباش، يسعى إلى التقارب مع آيت علوان وآيت إيسفول، ولهذه الغاية أبرم اتفاقا مع آيت سيدي وآيت بومسعود من آيت علوان الذين يناصرون آيت إيسفول.

وكيفما كان الحال فإن اعريب المنقسمين بعمق هم حاليا في طريق التدهور، فلم يعد لهم شيخ مشترك، وكل حزب من الحزبين المتصارعين ينتخب شيخه العام الخاص به، يخضع أحدهما لتبعية حمادي ولد الشيخ والآخر تابع لسيدي محمد ولد سيدي خليل، وأخيرا فإن للنواجي شيخهم الخاص ولا يعترفون بسلطة أعيان القبيلة الآخرين. أما القيمة القتالية لاعريب فضعيفة على العموم، بحيث لا تعترف لهم ساكنات وادي درعة إلا بخصال الجمالين والمرشدين الصحراويين النابهين.

/99/ 9 - الفتان بلقاسم النكادي:

في سنة 1918، ادعى طالب سوسي يدعى مبارك ولد الحسين، والمعروف أيضا باسم مبارك ولد شطو، أصله من إيدا وسملال في الأطلس الصغير الغربي شرق تزنيت، إدعى لدى آيت إيعزا أنه الشريف الإدريسي امحمد نْ إيفروتن، المدفون منذ زمن في أعالي وادي الرك. وقد ادعى المغتصب أنه بعث بقدرة الله لطرد النصارى من تافيلالت، وتمكن بدهاء سحره أن ينمي نفوذه ويجمع حوله ثلاثمائة أو أربعمائة من النهاب وقطاع الطرق جاؤوا من كل قبائل آيت عطا، وجاب معهم الرك وتازارين وصاغرو وتودغا وفركلة. في ذات الفترة كان شريف إدريسي آخر من فرع

أولاد سيدي بلقاسم أزروال يدعى محمد بن أحمد بلقاسم ولكنه مشهور أكثر بلقب بلقاسم النكادي، كان يعيش لاجئا بالجنوب[29].

وقد عرض هذا الثائر خدماته على المدعي امحمد نْ إيفروتن الذي نصبه قائدا على حركته، فطرد بلقاسم النكادي أولا في 9 غشت 1918 من الهوامش الجنوبية الغربية لتافيلالت من طرف الفرقة المتنقلة لبوذنيب، وللأسف فإن إحدى فرقنا التائهة في الواحة سحقت في هجوم مباغت، مما شجع الخاضعين على الإنتفاضة /100/ التي انتشرت شرارتها، في وقت عاقت فيه الحمى الإسبانية المنتشرة في صفوفنا عمليات قواتنا، الشيء الذي اضطرنا إلى إخلاء تافيلالت في 15 أكتوبر 1918 والتراجع شمالا إلى أرفود حيث بني مركز حصين.

أما بلقاسم فسيطر على الواحة، كما تدهورت علاقاته مع امحمد نيفروين بسرعة فقتله في الأخير بطلقة مسدس أثناء مشاداة بينهما في 23 أكتوبر 1919[30]، وبعد هذا الإغتيال تولى بلقاسم زعامة حركة ضحيته مواصلا الكفاح ضد النصارى ومثبتا نظام الرعب الذي أسسه نْ إيفروتن في تافيلالت.

في البداية لمع نجمه، إذ سيطر رجاله بقيادة با علي على زاوية سيدي الهواري بفركلة في نهاية 1919، حيث كان زعيمها سيدي علي مساندا لحلفائنا كلاوة المسيطرين على تودغا، وقد اقتيد سيدي علي إلى تافيلالت حيث أمر بلقاسم بقتله بربطه في فوهة مدفع، وهو نفس المصير الذي لقيه عشرة من أعيان آيت مرغاد من أتباع سيدي علي.

وفيما بعد واجه بلقاسم بعض المصاعب إذ ثار عليه ساعده الأيمن با علي، كما تضررت سمعته بسبب فشل بعض خططه المحلية في تافيلالت، مما اضطره - سعيا لاستعادة مجده -إلى الإنتقال إلى أعالي غريس حيث جمع حركة قوية وزحف بأعالي زيز على زاوية سيدي بوكيل، لكنه انهزم أمام قواتنا سنة 1921. وفي مارس 1927 سيطر بغتة في الهوامش الشمالية لتافيلالت على قصر باعدي الذي استرده برطيزتنا بأرفود في 7 أبريل، ومنذئذ لم يحاول بلقاسم القيام بأي هجوم.

وفي سنة 1930 كان الثائر قد تجاوز الخمسين، وكان رجلا قصير القامة نحيفا وذا سحنة صفراء وقسمات وجه هزيلة، له لحية صغيرة وخصلات شعر تغطي صدغيه، يتحدث بأنفه،

(29) أسس جد بلقاسم النكادي قبل حوالي تسعة قرون زاوية مهمة عند بني جليداسن (آيت وراين الشرق بناحية تازة). ويقيم ذريته الكثيرة نسبيا ببلاد بني وراين وبلاد أنكاد. ينقسم أولاد سيدي بلقاسم أزروال الورايniين إلى أهل الزاوية وأهل سريف وأهل تيفزا؛ أما الموجودون في أنكاد فينقسمون إلى آيت دادا علي وآيت تيماسيوين وآيت تيماديلين وأهل مقانة. وينتمي بلقاسم النكادي إلى عشيرة إيمدران من آيت دادا علي ببلاد أنكاد ومنها لقبه النكادي. ويتبع والداه الشرفاء الفقراء لدائرة الرقابة المدنية بعيون سيدي ملوك ناحية وجدة.

وقد غامر بلقاسم النكادي دائما في مختلف الحركات المناوئة للمخزن. وقبل الحماية خدم في صفوف الروكي بوحمارة بناحية تازة، وكاد أن يلقى عليه القبض من طرف قواد المخزن ببني بوزكو. لكنه تمكن من الهرب ولم يظهر قط في الناحية. ويبدو أنه استقر بتافيلالت حينما سيطرنا على تيغمرت في قلب هذه الواحة في 5 دجنبر 1917. (المؤلف).

(30) دفن المدعي نْ إيفروتن بمقبرة أولاد ليمان عند بني امحمد بتافيلالت حيث لا يزال.

خفيف الروح ومتقلب الرأي، قليل المعرفة لكنه ورع جدا وشديد التعصب إلى حد يبدو لكثيرين مختل العقل.

مع تراجع هيبته ونفوذه لم يبق له /101/ إلا عصابة من مائة وعشرين مقاتلا، منشقين عن قبائل مختلفة (ركادة وأنكاد وبني كيل وذوي منيع وأولاد جرير وزارار؟)، ومسلمين فارين من الجندية أو مطلوبين للعدالة. وقد أرغمته هشاشة وضعيته على التقرب من آيت خباش الذين كان لهم نفوذ على جزء من تافيلالت، إذ كان بشكل ما وكيلا لهم لدى سكان القصور لكنه لم تكن له أية سلطة على قبيلتهم، بحيث اقتصر الأمر على إبرام اتفاق بين آيت خباش وبلقاسم من أجل استغلال الوضعية إلى أقصى حد ممكن، ونتيجة لهذا التحالف ساءت علاقة الفتان مع آيت مرغاد خصوم آيت خباش، أما آيت حسو من آيت واحليم فلم يكونوا معارضين له في الوقت الذي تجاهلته قبائل آيت عطا الأخرى.

اتخذ بلقاسم الريصاني مقرا له في قلب تافيلالت وضمن القسم الأكبر من مداخيله من الإستئثار بالأملاك المخزنية بالواحة، كما فرض واجبات على الأسواق وتلقى عطايا تقل أهميتها باضطراد.

إن استمرار بلقاسم يعزى إلى تجسيده لفكرة مقاومة المخزن[31]، إنه رمز وعَلَم، وفي حالة تقدم قواتنا يمكنه جمع العناصر المناوئة حوله، إنه السبب الوحيد لوجوده ومنه يستقي كل سلطته ولن يخضع إلا في اللحظة الأخيرة، وقد بدأ في التفكير في ضمان انسحاب نحو درعة تحسبا لإخضاع تافيلالت[32].

10 - مقـاطعات وادي درعة:

لإتمام العرض حول وضعية بلاد آيت عطا في نهاية سنة 1930 ، وتسهيل قراءة القسم الرابع المخصص للتهدئة، نلخص في الجدول التالي الملعومات الأساسية عن وداي درعة، هذه المنطقة التي كانت من قبل موضوع دراسة مفصلة في كتاب "مقاطعات وقبائل أعالي وادي درعة".

(31) وجب التنبيه إلى مكر استخدام سبيلمان للفظة المخزن، أولا لإخفاء الغزو الإستعماري وثانيا لتشويه سمعة المقاومة ورميها بالعصيان والفتنة (المترجم).

(32) سنرى في القسم الرابع انه في يناير 1932 ، لجأ بلقاسم إلى لكتاوة وحاول مواصلة الصراع ضدنا وانضم أخيرا إلى آيت خباش في وادي درعة الأسفل. ولم يطلب الأمان إلا في أبريل 1934 حين اعلن آيت خباش وآيت حمو خضوعهم بعد تطويقهم من طرف قواتنا، يعيش حاليا في العيون (ناحية وجدة) حيث يخضع للإقامة الإجبارية.

/102/

وضعية مقاطعات وادي درعة في نهاية 1930

المقاطعة (من عالية النهر إلى أسفله)	عدد الكوانين	توزيع السكان	الموقف تجاه المخزن
مزكيطة	2994	مقطونة من طرف 2920 كانون من دراوة المستقلين و 74 كانونا من اليهود. والمقاطعة تحت قيادة القايد سي علي المزكيطي.	جد إيجابي. استقبلوا بحفاوة سنة 1930 تجريدة من القوات الإضافية والجنرال قائد منطقة مراكش، الذي جاء في 15 ماي بالطائرة لتفقد موضع بناء مركز في بلادهم.
آيت سدرات	969	250 كانونا من آيت سدرات و 719 من دراوة التابعين لآيت سدرات. المقاطعة تحت القيادة الإسمية للخليفة الكلاوي سي حمادي نايت الحساين.	إيجابي، ولكن معظم المقاطعة معادية للخليفة الكلاوي المحجوز افتراضيا في إقامته بآيت حمو وسعيد، ولقتال الخليفة استنجد آيت سدرات مرارا بآيت أونير درعة.
آيت زري	760	440 كانونا أولاد يحيى، 275 كانونا دراوة تابعين لأولاد يحيى، 30 كانونا من آيت والال، 15 كانونا من اليهود. باستثناء آيت والال تخضع المقاطعة لسلطة الشيخ العربي شيخ أولاد يحيى.	إيجابي.
تينزولين	1806	610 كانونا من الروحا، 500 كانونا من أولاد يحيى، 170 كانونا منآيت أونير، 510 كانونا من دراوة المستقلين، 16 كانونا من اليهود. ويتزعم أولاد يحيى الشيخ العربي، بينما يخضع دراوة لسلطة الشيخ بلفاطمي والشيخ علي وحماد أمزوار. أما الروحا فيخضعون لنفوذ لهذين الشيخين ولآيت أونير.	أولاد يحيى ودراوة المستقلين أيجابيون. الروحا أكثر تحفظا، آيت أونير المعادون لكلاوة يبدون غير مستعدين للتعامل مع المخزن.
ترناتة	5380	1420كانونا من الروحا، 1210كانونا من أولاد يحيى، 590 كانونا من المرابطين والشرفاء، 30 كانونا من اليهود، 2030 كانونا من آيت عطا وأهل الثلث محميي آيت عطا. الروحا مستقلون ولهم شيوخ خاصين بهم. أولاد يحيى خاضعون لأوامر الشيخ العربي. آيت أونير يمثلون المجموعة المهمة من	أولاد يحيى ليجابيون تجاه المخزن. الروحا في صراع مع أولاد يحيى ويظهر أنهم لا مبالون. آيت أونير وآيت عطا الآخرون معادون.

المقاطعة (من عالية النهر إلى أسفله)	عدد الكوانين	توزيع السكان	الموقف تجاه المخزن
		آيت عطا، ويمثل آيت عطا كذلك بعض آيت والال وإيلمشان. يسيطر - نظريا - الخليفة الكلاوي أحمد أومزدو القاطن بتازناخت قرب بني زولي على أهل الثلث محميي آيت أونير، وعلاقاته سيئة مع هؤلاء ولا يمارس في النهاية أي سلطة، بل هو محاصر في الغالب بقصبته في تازناخت.	
فزواطة	4832	600 كانونا من المرابطين والشرفاء، 190كانونا من الوحا، 322 كانونا من آيت عطا، 3610 كانون من دراوة، 50 كانونا من اليهود. تقع فزواطة تحت نفوذ آيت عطا وإيمسوفا بالأساس. نجد ايضا في فزواطة بعض آيت واحليم (آيت حسو وآيت عيسى وبراهيم وإيلمشان)، وبعض آيت إيسفول. ولاوجود لخليفة كلاوي.	مرابطو تامكروت في علاقة مع المخزن؛ إيمسوفا الذين كانت علاقاتهم جيدة مع كلاوة قديما يمكن اختراقهم من طرف عملنا السياسي. آيت عطا الآخرون إما معادون أو لامبالون.
لكتاوة	3657	367 كانونا من آيت عطا، 2135 كانونا من دراوة محميي آيت عطا، 30 كانونا من اعريب، 383 كانونا من بني امحمد، 22 كانونا من الفنانمة، 590 كانونا من المرابطين الشرفاء، 130 كانونا من اليهود. توجد لكتاوة تحت نفوذ آيت عطا، تتنازع قبيلتان الهيمنة: آيت إيسفول وآيت حسو مع تفوق طفيف للأوائل. يوجد أيضا بلكتاوة بعض إيكناون وآيت عيسى وبراهيم وإيلمشان.	كل المقاطعة معادية جدا لكلاوة وغير إيجابية تجاهنا بوضوح.
لمحاميد	1050	95 كانون من آيت عطا، 670 كانونا من دراوة تحت نفوذ آيت عطا، 80 كانونا من اعريب، 45 كانونا من بني امحمد، 110 كانونا من المرابطين والشرفاء، 50 كانونا من اليهود. من بين آيت عطا يعتبر آيت علوان الأكثر عددا إلى جانب بعض كوانين آيت حسو.	معادي لكلاوة والمخزن في معظمه
المجموع العام	**21448 حوالي 107 ألف نسمة**		

/105/

القســـم الرابع

تهدئة وادي درعة وبلاد آيت عطا

الفصل I : جرد عام

الفصل II : احتلال وادي درعة :

1931 - 1 : الإقامة لدى مزكيطة : الإستكشافات الأولى لوادي درعة (يناير - أبريل 1931)

2 : تحضير احتلال جبل زاكورة (ماي - دجنبر 1931)

1932 - 3 : احتلال جبل زاكورة، الصراع ضد بلقاسم النكادي (يناير - مارس 1932).

4 : تحضير احتلال منعرج درعة (أبريل - أكتوبر 1932).

5 : احتلال منعرج درعة (نونبر 1932).

/106/ الفصل III: احتلال تازارين وصاغرو :

1931 - 1 : الإتصال بالقبائل القاطنة بتازارين (يناير - دجنبر 1931)

1932 - 2 : تحضير الزحف على تازارين (يناير - نونبر 1932)

3 - احتلال تازارين وتاغبالت (نونبر 1932)

1933 - 4 : إخضاع جبل صاغرو (فبراير - مارس 1933)

الفصل I : جرد عام :

عرضنا سابقا في القسم السوسيولوجي بأن نفوذ كلاوة، الذي فرض بقوة بعض الوقت في تودغا ودادس ودرعة عقب الحركات الكبرى لسنة 1920-1919، قد انهار بعد ذلك منذ سنة 1925 تحت الضربات المتكررة لبعض قبائل آيت عطا، خصوصا آيت أونير وآيت إيسفول وإيلمشان.

وقد سمحت لنا نهاية حرب الريف سنة 1926 بالتدخل منذئذ في مشاكل الجنوب، وفيما بين 1925 و1930، هيأت منطقة مراكش الأرضية مركزة نشاطها على تدعيم سلطة كلاوة في مناطق سيطرتهم الشاسعة قبيل الصحراوية، وتأسيس مراكز- قواعد في اتجاه تودغا ثم درعة حيث واجه كلاوة مصاعب، وتطوير طرق المواصلات وإقامة مدرجات للطيران، وقد تمت هذه المهمة بدون حوادث.

وفي نهاية 1930 يمكن تلخيص الوضعية كالآتي:

شرقا، سمح تأسيس مركز بومالن بوادي دادس في نونبر بمباشرة العمل على أفخاذ آيت عطا الشمال وبدء الزحف على تودغا، حيث يواجه الخليفة الكلاوي سعيد أوتيفنوت صعوبات حقيقية؛

جنوبا، وصلت طريق تازناخت، أكدز إلى درعة ببلاد مزكيطة، هنا أيضا يعتبر الخليفتان الكلاويان سي حمادي نايت حساين من آيت سدرات وأحمد أومزدو من ترناتة محجوزين افتراضيا في قلعتيهما. ولم يعد يواجه الثورة التي يتزعمها آيت عطا إلا قبيلة أولاد يحيى العربية.

لقد أصبح تدخل قواتنا السريع مستعجلا، إذ يزداد اختلال الأمن استفحالا بالفعل في كل مقاطعات وادي درعة، حتى تلك التي تعتبر تابعة لكلاوة. ففي أبريل 1927 انتزع أولاد يحيى قصر تاعقيلت (آيت زري) من دراوة مستقلين بعد قتل زهاء خمسين من قاطنيه، وبعد ذلك بقليل في يونيو، انقض آيت أونير على قصر زوركان (تينزولين) حيث قتل بعض أفراد قبيلة الروحا، ثم سطوا في غشت على قصر تايسوت (ترناتة) حيث ذبحوا مائة دراوي تقريبا من كل الأعمار والأجناس. وفي غشت 1928 طرد أولاد يحيى الروحا من أفرا أولاد سلطان (تينزولين)، واستقر آيت أونير بزاوية عمرو (ترناتة) بعد قتل القاضي سي عبد الرحمان بن سيدي محمد، الشخصية المحترمة والمشهورة بالعلم والإستقامة، وذنبه الوحيد ربطه علاقات طيبة مع قائد أولاد يحيى عدو جلاديه. وأخيرا جرت معارك دامية سنتي 1929 و 1930 ببلاد آيت سدرات بين برطيزة كلاوة والثوار.

بلغت الفوضى حدا "كسرت" فيه الأسواق - أي نهبت - مرارا عقب خصومات تافهة، واستحالت تقريبا المبادلات التجارية إذ ينهب اللصوص المسافرين والقوافل ويقتلون من أبدى

أية مقاومة، وبذلك لم يجرؤ أحد على المغامرة في المسالك بدون خفر جيد التسليح، وهجرت الحقول وأبادت الفاقة السكان.

تلك كانت الوضعية سنة 1930 في درعة خصوصا، وبشكل عام في تودغا وتافيلالت، في وقت جعلنا تقدم عملنا في احتكاك مباشر بالنواة الكبرى لقبائل آيت عطا.

/108/ففي دادس الأعلى كما هو الشأن في درعة، أصبح تأثير عملنا السياسي مباشرا على قبائل آيت عطا، بحيث كنا إلى ذلك الوقت بالفعل قد أخضعنا السكان المجاورين للإتحادية دون أن تكون لنا اتصالات مباشرة معها[1].

ماهي هذه الإجراءات؟ لمدة طويلة اعتمد كلاوة بمهارة على خمسة أعيان مهمين : الشيخ عدي وخيي من آيت إيسفول تودغا، والشيخ موحداش ولد الحاج فاسكا من آيت بويكنيفن (آيت واحليم) بإيميضر بين دادس وتودغا، والشيخ مبارك والفضيل من آيت والال بدادس، والشيخ حمو ولحسن بن مرغي من آيت حسو (آيت واحليم) بتازارين، والشيخ باسو وميمون من آيت سليلو (آيت أونير) بالنقب على السفح الجنوبي لصاغرو بين درعة وتازارين.

لكن عَدِّي وْخَيِّي ومبارك وْالفُضيل اغتيلا، الأول سنة 1927 والآخر سنة 1929 ، بينما يعيش حمُّو وْلَحْسنْ المسن والمنهوك معتزلا في منطقة نفوذه بتازارين ولا يحرك ساكنا. أما إخوانه آيت حسو القلقين بسبب صراعهم مع آيت إيسفول بلكتاوة (درعة)، فإنهم يديرون ظهورهم أكثر فأكثر للمخزن للبحث عن دعم عتاة المنشقين مثل آيت خباش. وأما مُوحْدَّاشْ ولد الحاج فَاسْكَا وباسُّو وْميمون فلايزالان يقيمان معنا علاقات جيدة.

في نهاية 1930 لم تكن خاضعة إلا عشائر صغيرة لآيت سْليلُّو وآيت والأّل بدادس، ويبدو آيت بويكنيفن بإيميضر في أغلبهم ميالين إلينا، مثلهم مثل آيت سليلو النقب. على عكس ذلك يتخذ آيت إيسفول وآيت أونير درعة وإيلمشان تودغا المعارضين لكلاوة من قبل موقفا معاديا. وفي الشرق مقابل ناحية التخوم الجزائرية المغربية المحدثة سنة 1930، أبدى آيت خباش وآيت إيعزا منذ زمن عداوتهم لنا. وجسد محرض محلي، بلقاسم النكادي، روح المقاومة في الواحة الكبيرة لتافيلالت التي يتنازع عليها آيت عطا وآيت مرغاد الثوار. أما أغلب القبائل التي لم تحتك معنا بعد فلم تتخذ أي موقف /109/ ولكنها تتبع المجموعات الديناميكية عموما. موجز القول إن علاقاتنا مع الإتحادية الأمازيغية الكبيرة للجنوب تبدو معرضة للخطر والمستقبل مرشح للظهور بمظهر قاتم.

كيف العمل؟ يستحيل أن يتعلق الأمر بإخضاع كتلة مما يقرب من ثمانية آلاف عائلة تحتل مساحة شاسعة وصعبة المنافذ في حملة واحدة، يجب أولا التركيز على حدودها ومباشرة العمل

(1) نهمل آيت بويكنيفن في تالمست وآيت اونير في برنات وآيت عطا ن اومالو في وادي العبيد، وكلها قبائل عطاوية خاضعة منذ سنوات عديدة وتعيش بعيدة سياسيا عن الإتحادية.

السياسي ووضع اليد تدريجيا على الأودية الهامشية لزيز وغريس وفركلة وتودغا ودرعة، الآهلة بساكنة مستقرة خاضعة في الغالب لسلطة ونفوذ آيت عطا. آنذاك نستطيع انتظار كسب عدد من عشائر آيت عطا المتمسكة بمصالحها المادية عن طريق إجراءات ذكية، بعد ذلك وعندما يكون المشكل محصورا بدقة، ينهي احتلال منطقة تازارين -صاغرو، قلب بلاد آيت عطا، تهدئة جنوب شرق المغرب. تقدم هذه المنهجية امتياز كونها منطقية ومعالجة المسألة ابتداء من جوانبها الأقل حدة.

وهناك نقطة بالغة الحساسية تشغل بال القيادة منذ وقت طويل، ذلك أن واحة تافيلالت التي تمت السيطرة عليها لبعض الوقت سنة 1918، أصبحت ملاذا وبؤرة للعصابات المعادية التي تضايق الخاضعين لنا وجيوشنا في الجبهة الشرقية، إن احتلالها لا يشكل صعوبة كبيرة ومن ثم يغري ذلك بتحقيقه. بينما يبدو بديهيا أن إخضاع تافيلالت -مع ما يعنيه من حرمان نهاب آيت عطا وآيت حمو من خزانهم ومصدر تموينهم الشرقي -سيدفعهم إلى النزوح إلى درعة حيث سيعيدون تكوين بؤرة نشيطة للعصيان أكثر خطورة من السابق لكونها أكثر اتساعا وغنى وآهلة بالسكان، وبالتالي سينقل المشكل دون حله. في هذه الظروف يجدر البدء بتثبيت سلطتنا على الجزء الأعظم من مقاطعات درعة وعدم مقاربة معالجة مسألة تافيلالت إلا بعد الإنتهاء من هذه المرحلة الأولى.

تنفيذا لهذا البرنامج، ضمنا موطئ قدم في أعالي درعة بفضل الصداقات التي أبرمناها مع مزكيطة وأولاد يحيى، فتم إحداث مكتب الشؤون الأهلية بأكدز في فاتح يناير1931، وتم فك الطوق عن خلفاء كلاوة بآيت سدرات وتينزولين، كما أعلن آيت أونير خضوعهم بعد تيقنهم من إجراءاتنا المتسامحة.

وفي نفس /110/ السنة احتلت جيوش مراكش وادي إيميضر ثم تودغا في نهاية أكتوبر، بينما كانت قيادة التخوم المغربية الجزائرية تحضر لتطويق تافيلالت بإقامة مراكز إلى الشرق والجنوب من هذه الواحة بهارون ولمغيميم والطاوز.

وفي 10 يناير 1932 وصلت الفرقة المتنقلة لمراكش إلى زاكورة في قلب وادي درعة، وبعد ذلك احتلت تافيلالت في 15 يناير، ومن ثم أمنت سلامة التخوم الجزائرية. كل ذلك جعل بلقاسم النكادي وآيت خباش وآيت حمو ينسحبون إلى منعرج نهر درعة[2]، غير أن قرب جيوشنا دفع القسم الأكبر منهم إلى التوجه نحو الساحل الأطلنتيكي حيث لن يتمكنوا من التأقلم الكامل.

أنهى احتلال غريس ثم فركلة في الشمال عمليات الجنوب، مما شطر المقاومة إلى قسمين بفصل آيت عطا عن آيت مرغاد. ومنذئذ دخل آيت عطا في تماس معنا على ثلاث جبهات : شرقا

(2) يتلكأ سبيلمان كعادته في الإعتراف بفشل خطط قيادته، إذ تمكن آيت خباش وآيت حمو ورجال النكادي من الإفلات من الطوق، ولجأوا بالذات إلى درعة (المترجم).

على طول خط أولتوروك – مصيصي –فزو –الطاوز؛ وشمالا على خط غريس – فركلة – تودغا –دادس، وغربا على طول درعة، وقد انضمت بعض أفخاذهم إلى صفوفنا.

وفي نونبر 1932 سقطت المقاطعات الجنوبية لدرعة ولكتاوة ولمحاميد بين أيدينا دون قتال[3]، ففر آيت خباش الأواخر الذين كانوا يسيطرون على هذه البلاد للإنضمام إلى إخوانهم في الساحل، وخضع كل آيت عطا درعة. وفي نفس الشهر أخضع العمل المشترك لجيوش مراكش والتخوم المغربية الجزائرية ودون حوادث مهمة تازارين وتاغبالت وحوض الرك الأسفل ووادي حصيا، أي كل البلاد الواقعة بين الخاصرة الجنوبية لصاغرو والحمادات الصحراوية.

وأخيرا في فبراير ومارس 1933 أخضعت القوات المشتركة لمراكش والتخوم بعد معارك دموية عنيفة آيت عطا المتحصنين في الكتلة الجبلية لصاغرو، وبذلك احتلت وأخضعت أراضي الإتحادية كلها.

الحاصل أن هذه النتيجة تحققت قطعة بقطعة، بفضل عمليات مستمرة تمت بحذر وعلى جبهات متعددة، غالبا متباعدة جدا فيما بينها، وكان العمل السياسي دائما سباقا ومهيئا للعمل العسكري، وفي منطقة مراكش خاصة سبقت الطريق الفرقة المتنقلة والمركز.

/111/ هكذا خضعت أغلبية قبائل آيت عطا دون قتال بعد أن فرقتهم جهودنا وطمأنتهم إجراءاتنا وأغرتهم وعودنا، إذ ضمن الحفاظ على أعرافهم وتقاليدهم وفي نفس الوقت كفلت هيمنتهم على مغرميهم الدراويين، وقد تفادت هذه السياسة الذكية اصطدامات وتحالفات كانت ستجر خسائر دموية من الجانبين، إذ لم يعول على استعمال القوة إلا في إخضاع صاغرو ، كما أوضحت لنا المقاومة العنيفة لآخر الجيوب غير الخاضعة في هذه الكتلة الخطر الذي كان سيمثله عمل كثيف وشامل للإتحادية. إننا ننوي في هذا القسم الرابع عرض كيفية التقدم في محور درعة –تازارين.

الفصل II: احتلال وادي درعة.

1. الإقامة في مزكيطة : الإستطلاعات الأولى لوادي درعة (يناير - أبريل 1931) :

استقبل إنشاء مكتب الشؤون الأهلية بأكدز واستقرار الكوم المغربي المختلط الـ 34 بهذه النقطة برضى وقبول من طرف مزكيطة وأولاد يحيى الشيخ العربي، كما مثل آيت سدرات درعة الذين كانوا ضحية نزاعات داخلية، بمركز أكدز للتعبير عن تعلقهم بالمخزن، وكان من النتائج الأولى لهذا الإجراء أن تنفس خليفة الكلاوي لديهم – الشيخ سي حمادي نايت الحسين –الصعداء، لأنه ظل لمدة طويلة محاصرا في قصبته في آيت حمو وسعيد من طرف أغلبية محكوميه.

(3) يفتري سبيلمان هنا على الحقيقة، إذ لم تتقدم القوات الفرنسية نحو المقاطعات المذكورة إلا بعد معارك مع المقاومة، وخاصة خلال سنة 1932 ، ولعل شهاداته في الفصل الموالي وما أورده في مؤلفه الآخر "ذكريات استعماري" خير برهان على ذلك (المترجم).

على الرغم من ذلك ظلت الوضعية في أغلب مقاطعات درعة غامضة، فمرابطو تامكروت /112/ القاطنون في مقاطعة فزواطة بقلب وادي درعة قدموا لنا معلومات بطيب خاطر، لكن آيت عطا الصحراء ظلوا على تحفظهم، بل كان آيت إيسفول وآيت خباش - وهم الأشد شراسة وشكيمة من بينهم -معادين لنا، في حين بقي آيت أونير مترددين. مما جعل تهديدهم الدائم على الجبهة يقلص تحركات فرقنا التي لا تستطيع بتاتا المغامرة ما وراء خمسة عشر كيلومترا أسفل النهر من أكدز.

وبإيعاز منا حاول الشيخ العربي أن يكسب إلى جانبنا حلفاءه القدامى آيت واحليم لكنه فشل، إذ كون هذا الخمس المهم من آيت عطا -رغم صراعه مع آيت إيسفول -كتلة واحدة مع آيت خباش الأعداء الألداء للمخزن.

في هذه الظروف حتم الحذر انتظار مجيء وتقرب القبائل الخاضعة أو المنضوية تزامنا مع تنظيمها بسرعة : مزكيطة، وآيت سدرات، وأولاد يحيى، وآيت واوزكيت قلعة تيفرنين وتامسيفت (آيت ساون، آيت تاسلا نايت علي وبراهيم، آيت سمكان التي تمثل كلها كتلة مهمة من ثمانية آلاف وأربعمائة عائلة)[4].

كما وزعت أربعمائة بندقية ذات الطلقات السريعة (بنادق نموذج 1886 ونموذج 1874) على برطيزتنا ونظمت مصلحة الأمن، وبدأت "فرق الجياشة" (les djiouchs) التي ووجهت بصرامة تمنى ببعض الهزائم، وأخيرا في 23 يناير عززت حامية أكدز بسرية من الفيلق الرابع للفيلق الأجنبي، وبفضل هذه التدابير تواصل استقرارنا في هدوء وسلطتنا في التثبيت.

غير أن الأحداث في منطقة منعرج درعة اتخذت وجهة منذرة بالخطر، ذلك أن أحمد الزربة المعروف أيضا باسم أحمد التيغزاوي، خليفة الفتان الفيلالي بلقاسم النكادي، وصل إلى لكتاوة رفقة جماعة من آيت خباش للتحكيم باسم سيده في النزاع الدائر بين آيت حسو من آيت واحليم وآيت إيسفول. وبحكم حسه السياسي الأكيد وتعوده على تحريك "البرير" نجح في إبرام هدنة بين الطرفين، وفرض غرامات ثقيلة على الدراويين منح قسما كبيرا منها لأعيان آيت عطا ضمانا لمساندتهم، كما أوعز بقتل سيدي محمد ولد سيدي خليل في لمحاميد، أحد شيوخ اعريب المشهور بولائه للمخزن. وبعد تعيين زعيم لأهل لمحاميد /113/ ممثلا في العريبي ولد الشيخ سي حمادي -المعروف بعدائه لنا -صعد أحمد الزربة مع وادي درعة ووصل إلى فزواطة حيث استضافه مرابطو تامكروت، ومن هناك رجع إلى تافيلالت حاملا لبلقاسم قسما من الإثني وعشرين ألف دورو حسني المستخلصة من درعة[5].

---

(4) سبق لسبيلمان أن أورد رقم ثمانية آلاف عائلة في تقديره لساكنة الإتحادية كلها (ص 109)، ولا ندري سبب هذا التفاوت الذي يعزى ربما إلى استغلال تلك الأرقام في الدعاية الإستعمارية لتثبيط همم الصامدين (المترجم).

(5) ما يعادل 165 ألف فرنك بحساب صرف ذلك الوقت (المؤلف).

بالمقابل مكنتنا هذه الجولة المثيرة للقلق من بعض الجوانب من ملاحظات مفيدة سيستغلها عملنا السياسي، إذ ظهر بالفعل أن آيت إيسفول الذين لم يتصالحوا أبدا مع آيت حسو لم ينظروا بعين الرضى إلى ممارسة ممثل بلقاسم للسلطة في درعة، ومن جهة أخرى انزعجوا أيضا من تدخل آيت خباش في مقاطعة لكتاوة التي يعتبرونها منطقة نفوذهم الخاصة ومن ثم غيظهم من رؤية توقف توسعهم فيها، كل ذلك حمل بعض أعيان آيت إيسفول على التفكير في التقرب من المخزن، لكنهم لا يزالون بعيدين ولاتوجد مبررات للدخول في اتصال دون إثارة الإنتباه. غير أن الفرصة المنتظرة لم تلبث لحسن الحظ أن سنحت، إذ ألحق برطيزتنا في دادس هزيمة قاسية بجيش لآيت إيسفول الذين قتل منهم 26 في صاغرو وأسرنا أسيرا، وهو المدعو براهيم وعلي من قصبة آيت إيسفول لكتاوة، والذي سلم في 6 فبراير لمكتب أكدز من طرف آيت سدرات درعة الذين أسروه جريحا، وقد عالجه طبيب أرسل من ورزازات ولقي معاملة حسنة.

ونقلت معلومات عن الأسير إلى آيت إيسفول حيث استغل مبعوثونا الفرصة لتسريب آراء ملائمة حول خطر نوايا آيت خباش في درعة[6]، وحول عطف المخزن الذي يعرف كيف ينسى ويغفر الإساءات ويميز الطيبين عن الأشرار، والسلام على المستمع الجيد. في ذات الوقت ربطت اتصالات مع أعيان نافذين في تينزولين سبق لخليفة بلقاسم أن اتصل بهم بدوره.

رغم هذه النتائج فإنه لا يمكن انتظار نجاحات كبيرة اعتمادا فقط على العمل السياسي، بل أصبح ضروريا إظهار حضورنا عبر استطلاعات مصحوبة بإستعراض للقوة.

/114/غير أنه قبل الإنحدار مع وادي درعة، يجدر تحصين جناحنا الأيمن وإبعاد أي تهديد على خط مواصلات تازناخت -أكدز ذي المائة كلم طولا بشكل نهائي، لذا تركزت جهودنا في البداية على وادي زكيد، حيث بوشر بناء طريق بهدف تثبيت نفوذنا على أولاد يحيى الغربيين - المعارضين إلى حد ما، - وتهييء استقرارنا في فم زكيد على جبل باني ومن ثم جر سكان هذه المناطق إلى تكوين جبهة تتصل غربا بناحية مكاتب إغرم وطاطا.

وفي 3 مارس غادرت تجريدة خفيفة أمازير وتتكون من فرق الكوم المختلط المغربي العاشر والرابع والثلاثين والخامس والثلاثين، والكتيبة غير النظامية لفيلق المشاة الإستعماري للمغرب[7]، و ثلاثمائة من برطيزة كلاوة وأولاد يحيى، وكانت قاصدة فم زكيد الذي وصلته في اليوم الموالي

(6) يقر سبيلمان هنا بحقيقة هامة عن دور التآمر والتأليب الذي لعبته مصالح الشؤون الأهلية وعملاؤها، بتسعير الصراعات القبلية وتهويل انعكاساتها، سعيا لكسب أطراف ضد أخرى ووصولا إلى تفكيك جبهة المقاومة (المترجم).

(7) كان الكوم العاشر تحت قيادة الملازم لافيت Lafitte ، والرابع والثلاثين تحت قيادة الملازم سبيلمان Spillmann والخامس والثلاثين تحت قيادة النقيب بولان Paulin ، والفرقة غير النظامية تحت قيادة الملازم فيرولي Virolet. وضمت القيادة العامة للتجريدة النقيب أريغي Arrighi النائب العسكري في قيادة دائرة ورززات والنقيب دوماري Daumarie رئيس مكتب الشؤون الأهلية والترجمان الملازم اول بروشى Brocher (المؤلف).

مجتازة خمسة وسبعين كلم دون حوادث. ومباشرة تم تهيئ مدرج طيران بمساعدة 1600 عامل من أهل القصور، وفي 6 مارس حط الجنرال هوري Huré قائد منطقة مراكش بفم زكيد ومعه تسع طائرات واستقبله ألفان من الأهالي، وفي نفس اليوم غادرت التجريدة فم زكيد بعد استطلاع موضع مركز.

أعطت هذه الخرجة الأولى النتائج المرجوة، بحيث سمحت بتنظيم كتلة من المنضمين بلغ تعدادها ألفي عائلة على طول وادي زكيد (آيت حمو، أولاد هلال وكرازبة من أولاد يحيى، آيت الحميدي، أهل لمحاميد، أهل ألوكوم، أهل زكيد ونسولا)، كما تركت أثرا واندهاشا لدى آيت عطا المتعودين على نهب المنطقة، بحيث مثلت جماعة إيمسوفة فزواطة بسرعة أمام المقدم شاردون chardon في معسكر فم زكيد. وفيما بين 17 و 30 مارس زار رئيس مكتب أكدز مخفورا من طرف الكوم ال 34 آيت سدرات وآيت زري درعة بعد رجوعه من زكيد.

/115/وأخيرا غادرت تجريدة ضمت الوحدات المستطلعة لزكيد أكدز في 18 أبريل وتوقفت عند آيت سدرات في نفس اليوم، ثم عند آيت زري يوم 19 أبريل وفي رباط تينزولين يوم 20 حيث لاقت استقبالا جيدا أينما حلت. وفي رباط تينزولين هيء مدرج طيران حيث استقر 50 رجلا من ميليشيا مدفعية مراكش داخل قصبة الشيخ سي محمد بلفاطمي على بعد 60 كلم أسفل أكدز. وفي 25 أبريل حط الجنرال هوري مخفورا بسرب من تسع طائرات في الرباط حيث لقي استقبالا ضخما من آيت زري تينزولين الذين تجمع أكثر من خمسة آلاف منهم حول مدرج الطيران .

تبعا لخطوة الشيخ سي محمد بلفاطمي، مثل أمام المقدم شاردون كل رؤساء تينزولين، كما خضعت قبيلة الروحا، أما أبرز الأحداث السياسية فتتمثل في المفاوضات الجارية مع آيت أونير من آيت عطا، إذ جاء ثمانية وعشرون من الأعيان يمثلون كل أفخاذ هذه القبيلة المقيمة في وادي درعة لتأكيد تعلقهم بالمخزن، والإلتزام بالعيش في سلام مع الخاضعين لنا مقابل أن نترك لهم امتلاك القصور التي استولوا عليها قبل وصولنا، كما طرحوا بعض الرغبات والمطالب الجزئية، أهمها عدم إرغام نسائهم على المشاركة في المناسبات الرسمية[8]، وقد أجيبوا بأن المخزن سيحترم أعرافهم وتقاليدهم ولن يتراجع في مسائل تم حسمها بالسلاح، آنذاك أعلن آيت أونير انضمامهم إلينا. ومعهم زارنا من جديد شيوخ من إيمسوفة كما دخل إثنان من أعيان آيت إيسفول فزواطة في محادثات معنا لأول مرة، حيث عبروا عن ارتياحهم ووعدوا عند انصرافهم بالعمل لصالحنا لدى إخوانهم في فزواطة ولكتاوة.

(8) مما له دلالته ان شيوخ كل قبائل وأفخاذ آيت عطا حرصوا في كل مفاوضاتهم مع قادة الجيوش الفرنسية على طرح هذا الشرط، إذ نجده مثلا على رأس شروط الإستسلام في بوكافر (المترجم).

ترجمت هذه الإستطلاعات بشكل ملموس تقدم عملنا السياسي ودعمته كما سمحت بالإنطلاق بحزم من ركائز جديدة، فقد انضمت مقاطعة تينزولين بكاملها وتوسع نفوذنا بذلك إلى حدود تسعين كلم أسفل أكدز، علاوة على تكون أنوية مخزنية مهمة في ترناتة (آيت أونير، خليفة كلاوي في ترناتة، /116/ أولاد يحيى، الروحا) إلى غاية فزواطة (إيمسوفة - زاوية تامكروت)، إلى حد بتنا نفكر معه في إقامة مركز في زاكورة على الطرف الجنوبي لترناتة بدون قتال.

وقد حرمتنا للأسف وفاة الشيخ العربي شيخ أولاد يحيى من متعاون متميز معتدل وذكي ونصوح، غير أن الوضع في قبيلته مستقر الآن إلى حد لم يحدث ما يعكره، وقد خلفه ابنه سي محمد - الشاب قليل التجربة - بدعم منا.

أخيرا مكنتنا الغارة السريعة على رباط تينزولين من الحصول على ميزة أخرى من الدرجة الأولى، فإلى غايتئذ اعتمدنا على لف أولاد يحيى، لكن إمكانياته كانت تبدو مستنفدة، إذ لم يستجب آيت واحليم المرتبطين به لاقتراحاتنا، وبالمقابل أصبح بإمكاننا تحريك اللف الخصم، فبفضل الشيخ بلفاطمي الزعيم ذي الحس السياسي المرهف، وأصدقائه آيت أونير نستطيع بالفعل التفاوض مباشرة مع آيت إيسفول ومع كل الحزب المعارض لآيت واحليم. كما أننا بحكم كوننا معفيين من أي ارتباط بأي لف قادرون على الظهور بمظهر الحكام المحايدين، وأعطى المخزن الذي نمثله ضمانات للأمازيغ المرتابين الذين خشوا أن يروا فيه سندا لخصومهم وبالتالي عدوا.

2. التحضير لاحتلال جبل زاكورة (ماي - دجنبر)1931

أثار نشاط القوات الإضافية وتقدم عمل المخزن سياسيا قلق الثوار وبدأت ترتسم معالم رد فعل وشيك من جهتهم، ففي نهاية أبريل حاول بعض قطاع الطرق من إيمسوفة وآيت حسو وآيت إيسفول وآيت خباش إعلان الجهاد في لكتاوة وفزواطة، مما جعل المنضمين الجدد إلى صفوفنا في تينزولين يتخوفون من هذا التهديد المشكوك في حقيقته ويتساءلون باهتمام عن موقفنا، ولم يطل انتظار الجواب بحيث وصل بغتة يوم 7 ماي مائة فارس من الكومين الخامس والعشرون /117/ والرابع والثلاثون ومن مخزن أكدز إلى رباط تينزولين لدعم الحامية الصغيرة لميليشيا مدفعية مراكش، فاستدعي آيت أونير وطلب كتابة من أعيان إيمسوفة أن يهدئوا إخوانهم المحاربين، مما أعاد الهدوء في الحين لتعود التجريدة يوم 11 ماي إلى قواعدها بأكدز.

وفي 16 و 22 ماي وصل وفدان من بني امحمد ومرابطي زاوية سيدي صالح (لكتاوة) إلى مكتب أكدز مؤكدين الإنفراج الذي حدث، إذ أظهر حضورهما لوحده أن التهديد لم يكن جديا، لأن الأعيان لم يكونوا ليقدموا على مثل ذلك الإجراء المشبوه لو كانوا يخشون عقاب العناصر المعادية للمخزن لدى عودتهم، هكذا انتهى الحادث بفشل تام لمثيري الإضطراب. فضلا عن ذلك تدخل مكتب أكدز للتحكيم في النزاعات بين آيت سدرات وتم التوصل إلى حل عادل بينهم، كما هدأت

الخصومات بين شيوخ تينزولين، هكذا سمح الموقف المرضي للقبائل المنضوية وتطور نفوذنا في البلاد غير الخاضعة بتحديد هدف حملة 1931 بدقة.

لم يكن واردا احتلال كل مقاطعات وادي درعة دفعة واحدة وإقامة مركز في لمحاميد قبالة الصحراء، لأن المسافات وصعوبات التموين والثورة الكامنة المسجلة في لكتاوة ولمحاميد كانت ستحكم على مثل هذا العمل بالفشل المؤكد[9]، ومن ثم فرضت الحكمة برنامجا مقلصا الشيء الذي جعل القيادة تأمر بالتحضير لاحتلال جبل زاكورة، وهو سلسلة جبلية صغيرة تقع على بعد 100 كلم أسفل أكدز وتفصل مقاطعتي ترناتة وفزواطة.

ولبلوغ النتيجة المرجوة في أحسن الظروف، أي بدون معارك، تكثف العمل السياسي تجاه آيت عطا الصحراء الخصوم الوحيدين القادرين على معارضة مخططاتنا، في نفس الوقت الذي بوشرت فيه بسرعة أعمال شق طريق يصل أكدز بزاكورة، وأرجئت إقامة مركز في هذه النقطة إلى حين تقدم أعمال مد الطريق لتسهيل /118/ تموين الوحدات وتكوين إمدادات المركز الجديد.

ومكنت الإمدادات التي عززت حامية أكدز من طرف الكوم المغربي المختلط ال 25 من بدء أشغال طريق درعة في اتجاه زاكورة في يونيو[10]، وفتح قرض يبلغ مليون فرنك لهذا الغرض من ميزانية الحماية. من جهة أخرى ضاعف رئيس مكتب أكدز، الذي أصبح يتوفر على سرية من اللفيف لحماية مركزه وفرقتين من الكوم للقيام باستطلاعاته، ضاعف خرجاته إلى تينزولين، وأصبح الرباط بذلك القاعدة المتقدمة لعمله السياسي، فتشبث في المقام الأول بالحصول تدريجيا على مشاركة سكان ترناتة، وخصوصا آيت عطا القاطنين في تلك المقاطعة، كما بذل جهودا لتكوين منطقة عازلة فيما وراء زاكورة من أفخاذ منضوية بغية إضعاف ردود الفعل المحتملة للثوار.

وخلال عملية استطلاعية إلى تينزولين في يونيو، مثل أهل الثلث - دراوة ترناتة -برباط تينزولين طالبين تحريرهم من وصاية آيت أونير :وبذلك طرح مشكل حماية دراوة من طرف آيت عطا بشكل جد ماكر ومحرج، فكان الجواب لأهل الثلث بأن المخزن لا ينوي البتة تعديل الوضع القائم في وادي درعة قبل وصوله، لأنه عازم على الوفاء بوعوده تجاه آيت عطا المنضوين، وأوعز لأهل الثلث بحزم أن يبقوا على علاقة طيبة مع حماتهم آيت أونير الذين يسهرون على الأمن في المنطقة ويمنعون بحضورهم دخول الثوار إليها، مما جعل آيت أونير الراضين بهذا القرار يمنحون لنا دعم قواتهم لاحتلال زاكورة.

---

(9) يتناقض هذا الإقرار مع دأب سبيلمان وصف المقاومين بقطاع الطرق، إذ كان صمودهم وجرأتهم يؤخذان بعين الإعتبار في الخطط الحربية الفرنسية(المترجم).

(10) وصل الكوم المغربي المختلط ال25،وتعداده 161 رجلا، إلى أكدز في نهاية ابريل تحت أوامر الملازم أول كوتيي Gautier (المؤلف).

سرعان ما عرف موقفنا في كل درعة ولقي استحسانا من آيت عطا الثوار لكون علاقتهم بدراوة فزواطة ولكتاوة ولمحاميد شبيهة بعلاقة آيت أونير وأهل الثلث.

هكذا زار وفد من أعيان آيت حسو فزواطة /119/رئيس مكتب أكدز برباط تينزولين، حيث استقبلوا بحفاوة بالغة لإبراز عدم ارتباطنا بأي لف، لكن المحادثات أثبتت بأنه لا يمكن بتاتا التعويل على آيت حسو المرتبطين جدا بآيت خباش الذين لا يفتر عداؤهم لنا.

خلال الصيف عرضت أفخاذ آيت ولال (آيت أوزين وآيت مسعود) وآيت سليلو (آيت أونير) في منطقة النقب (65 كلم شرق أكدز) خدماتها، وبذلك أمن جناحنا الأيسر من أي تهديد جدي من جهة صاغرو وتازارين، كما مثل إيلمشان ترناتة بدورهم. وقد ترك احتلال فم زكيد دون قتال في أكتوبر وتودغا في بداية نونبر أثرا إيجابيا على الخاضعين لنا بدرعة[11].

ومن 8 إلى 13 دجنبر، جاب رئيس مكتب أكدز، مخفورا من طرف فرق الكوم المغربي المختلط العشرون والخامس والعشرون والرابع والثلاثون، الجزء الشمالي لترناتة على بعد أكثر من 80 كلم أسفل أكدز حيث لقي الترحاب من طرف القبائل التي زارها[12]، ليبدو التحضير السياسي لاحتلال زاكورة تاما قدر الإمكان في الوقت الذي تقدم التحضير المادي بسرعة ونشاط، بحيث جند ألف عامل من مزكيطة وآيت سدرات وأولاد يحيى وأهل تينزولين، مقسمين إلى ورشين من خمسمائة رجل، لوضع أساس طريق أكدز زاكورة، وأرسل الكومان العشرون والخامس والعشرون لحماية الورشين بينما بقي الكوم الرابع والثلاثون احتياطا بمركز أكدز صحبة سرية من اللفيف، وقام الضابطان قائدي الكوم (الملازم كوتيي ومارتان) بإدارة المجموع، في حين تم تأطير العمال من طرف /120/ سرية الهندسة التابعة للفيلق الرابع للفيف الأجنبي. وكان مراقب للأشغال العمومية يدرس ويضع خط الطريق، بينما تضع مصالح الهندسة رهن إشارة الأوراش المطرقات الناقرة الآلية (marteaux piqueurs) والآليات (مجموعة سبيروس) والهيئة التقنية اللازمة. وقد أعطى هذا التعاون المتين أفضل النتائج، ورغم صعوبات ضخمة تقدمت الأشغال بسرعة، فتصدت الكتيبة الثالثة من الفيلق الثاني للرماة المغاربة وسرية الهندسة للفيلق الرابع للفيف الأجنبي للعمل في شهر دجنبر، وفي 5 يناير 1932 وصلت الطريق إلى رباط تينزولين (60 كلم من أكدز) حيث دخلت شاحنات التموين، المحملة بستة أطنان، بدون صعوبة.

---

(11) تم احتلال فم زكيد من طرف القوات الإضافية بقيادة المقدم شاردون، قائد مركز وارززات، وشكل الكوم المغربي المختلط الخامس والثلاثون وسرية من الفيلق الرابع للفيف الأجنبي حامية المركز. أما تودغا فاحتلت من طرف الوحدة المتنقلة لمراكش تحت أوامر الجنرال كاترو قائد المنطقة (المؤلف).

(12) وضع الكوم المغربي المختلط العشرون، بقيادة الملازم مارتان وتعداده 161 رجلا يوم 16 أكتوبر، رهن إشارة النقيب سبيلمان رئيس مكتب أكدز الذي أصبح منذئذ يتوفر - صحبة الكومين الخامس والعشرين والرابع والثلاثين الموجودين في عين المكان -على 500 كومي وضباط مؤطرين فرنسيين (المؤلف).

بينما كان النفوذ الفرنسي يتوطد في المقاطعات الشمالية لدرعة، حدثت تطورات خطيرة في المقاطعات الجنوبية، ذلك أن بلقاسم النكادي وآيت خباش - القلقين من إشاعات الإحتلال القريب لتافيلالت التي بدأت تنتشر في قبائل الجنوب الشرقي للمغرب - فكروا في توفير نزوحهم نحو وادي درعة عندما تتقدم قواتنا نحو زيز وغريس، إذ أفادتهم الجولة التي قام بها ممثلهم أحمد الزربة في بداية سنة 1931 بإمكانية هذه البلاد وفوائد استباقهم للمخزن إلى هناك.

وقد منحهم الصراع الدائر بين آيت حسو من آيت واحليم وبين آيت إيسفول فرصة التدخل، وكان آيت إيسفول- الأقوى من خصومهم -قد كثفوا ضغطهم على لكتاوة ولمحاميد خلال سنوات 1928 و1929 و1930، وفي سنة 1931 كانوا على وشك الإنتصار، أي طرد آيت حسو من المقاطعات المتنازع عليها، مما دفع الأخيرين إلى الإستنجاد بآيت خباش الذين سارعوا للإستجابة، وأمام قناعة آيت إيسفول بعدم جدوى بل وخطورة تقديم تنازل لآيت خباش اضطروا إلى القتال تحت طائلة الزوال. غير أن تدخل الفيلاليين الذين وفروا باستمرار مجموعة من 150 إلى 200 محارب جيدي التسليح في منطقة منعرج درعة أعاد توازن القوى، واتضح منذ البداية أن نهاية الصراع غير واضحة، فبذل كل طرف جهوده لتجنيد حلفاء /121/ وتمت بين ماي ويوليو 1931 حملة دبلوماسية حقيقية.

ضمن لف آيت حسو -آيت خباش دعم بني امحمد واعريب حمادي ولد الشيخ وبعض عشائر آيت علوان الرحل ومنشقي أولاد جرير الملتفين حول مرابطي أولاد سيدي المدني[13]. أما آيت إيسفول فكان إلى جانبهم اعريب الراحل سيدي محمد ولد سيدي خليل والقسم الأكبر من آيت علوان، كما أبرموا هدنة مع أعدائهم القدامى أولاد يحيى زكيد بهدف وضع قطعانهم في مأمن بأراضي هذه الأفخاذ الخاضعة.

وخلال بضعة أسابيع نجح دراوة ومرابطو لكتاوة في تأخير اندلاع القتال لأنهم يعلمون جيدا أنهم سيكونون أول ضحاياه، غير أنه مع اقتراب جني التمور هاجت العناصر الأكثر شغبا وتبودل إطلاق الرصاص وتكبد كل طرف بعض الخسائر، كما هوجمت قصور دراوة من طرف آيت خباش وسقطت أخرى تحت حماية آيت حسو في أيدي آيت إيسفول. ومنذ شتنبر 1931 تواجد مائتا محارب من آيت خباش وبني امحمد تافيلالت باستمرار في لكتاوة، متخذين القصر الكبير لبني صبيح مركز قيادتهم.

آنذاك قرر آيت إيسفول ربط علاقات مباشرة معنا، وفي 22 شتنبر وصل عشرة أعيان يمثلون كل أفخاذ القبيلة إلى مكتب أكدز وطلبوا دعمنا، ثم قدموا يوم 24 شتنبر للعقيد فرانسوا نائب

(13) ترجع اصول هؤلاء المرابطين إلى الماجّة (الساورة بالجزائر حاليا) وكانوا معادين بشراسة للفرنسيين ولهم نفوذ ما على أولاد جرير وآيت خباش وآيت حمو (المؤلف).

الجنرال قائد منطقة مراكش وللمقدم شاردون. وقد رجعوا بوعد قاطع بمساندتنا لهم بقدر ما يثبتون بأدلة قاطعة ولاءهم.

وظهر فيما بعد من الوضعية في لكتاوة رغم بقائها فعليا من دون تغييرات مهمة، أن آيت إيسفول واصلوا القتال وحال موقفهم الثابت دون تقدم آيت خباش. هكذا منح مكتب أكدز في 12 نونبر أول دفعة من 5 آلاف خرطوشة لوفد من آيت إيسفول جاء /122/ لتبليغ خبر تعيين لحسن ولد عدي وخيي شيخا للقبيلة، وهو ابن أمغار نُ وفْلاً الأسبق لآيت عطا، أصله من تودغا ومعروف بميوله للمخزن.

هكذا قدمت أحداث لكتاوة فائدة مزدوجة :مكنتنا أولا من كسب تحالف قبيلة محاربة وبالتالي أسعفتنا بمحاربة استقرار الفيلاليين بالمقاطعات الجنوبية لدرعة مما سهل احتلال هذه المنطقة فيما بعد؛ ثم إن تلك الأحداث شغلت العناصر المشاغبة من آيت عطا التي لم تعد تهتم بإزعاجنا، ومن ثم تواصل التحضير للزحف على زاكورة بأمان، وبذلك انتهت سنة 1931 بفأل حسن.

3. احتلال جبل زاكورة .الصراع ضد بلقاسم النكادي (يناير - مارس 1932)

حمل تحديد تاريخ احتلال تافيلالت في شهر يناير القيادة على الإسراع بإقامة مركز في زاكورة، فتحركت الكتيبة المتنقلة المتجمعة في رباط تينزولين يوم 8 يناير نحو بني زولي، وخيمت في 9 يناير ببوزركان (ترناتة) ووصلت زاكورة دون أحداث يوم 10 يناير[14]. وقدمت كل جماعات ترناتة وفزواطة، باستثناء مجموعة بني علي البعيدين جدا، خضوعها الرسمي بحضور الجنرال كاترو وسي الحاج التهامي الكلاوي باشا مراكش، ومن بين هذه الجماعات توجد وفود من آيت عطا المنطقة (آيت أونير وآيت والال وإيلمشان وإيمسوفة وآيت عيسى وبراهيم وآيت حسو وآيت إيسفول).

شكل هذا الإجراء الذي يتمم النتائج المحصل عليها لدى مزكيطة وآيت سدرات وآيت زري وفي تينزولين /123/ تتويجا للعمل السياسي الذي بوشر سنة 1931، فمنذ فاتح يناير دخلت 16140أسرة أي حوالي 80700 نسمة في طاعة المخزن دون أن تتكبد قواتنا أية خسائر.

شوشت مناورة زاكورة على بلقاسم النكادي لبعض الوقت، فأمام استقرار المخزن في هذا الموقع الهام فكر الفتان - المطرود من تافيلالت من طرف الجنرال جيرو قائد قوات التخوم الجزائرية المغربية - للحظة في الإقامة في الرك على السفح الجنوبي لجبل أوكنات، غير أن فقر تلك البلاد وعداء آيت إيعزا القاطنين بها دفعه إلى التوجه بسرعة نحو منعرج درعة حيث سيجرب حظه.

(14) تكونت الكتيبة المتنقلة تحت أوامر المقدم شاردون من الفوج الثالث للفيلق الثاني للرماة المغاربة وسريتين من الفيلق الرابع للفيف الأجنبي، والكوم المختلط المغربي العاشر والعشرون والخامس والعشرون والرابع والثلاثون، وسرية مدفعية وكوكبة من الفيلق الثاني للفرسان المغاربة وكوكبة من المدفعية الرشاشة. (المؤلف).

وفي 18 يناير 1932 وصل بلقاسم إلى زاوية سيدي صالح في لكتاوة مع قوات خفر قوامها 140 راجلا، حيث أسيء استقباله في البداية ورفضت جماعة آيت إيسفول الإستجابة لدعواته، مما دفع ثمانية من رفاقه الذين سئموا حياة التشرد إلى الخضوع في زاكورة وسلموا سبعة بنادق سريعة الطلقات.

آنذاك استدعى بلقاسم النكادي آيت خباش وآيت حمو، حيث كانت ثمانمائة خيمة من هؤلاء الأقوياء الشكيمة والمتعذر قهرهم (Irréductibles) -المطرودين من تافيلالت بسبب تقدمنا - يحطون رحالهم آنذاك بجوار لمحاميد، وبدعم من محاربيهم تمكن بلقاسم من فرض نفوذه على لكتاوة، مما أرغم آيت إيسفول على قبول هدنة ثلاثة أشهر مع آيت خباش، والتي كانت مجرد وقف إطلاق النار دون السعي لحل المشاكل بين القبيلتين. كان لهذا الإتفاق المؤقت امتياز إبعاد مخيمات المنشقين عن منعرج درعة والتي كانت تتجه غربا في شكل مراحل صغيرة، تاركة وراءها مجموعة من 150 محاربا خباشيا للمراقبة في بني صبيح، غير أنه بالمقابل أفسح المجال لبلقاسم للتحرك في لكتاوة حيث ثبت سلطته وفرض الجبايات على دراوة لف آيت حسو وجمع أخيرا حوله ستمائة بندقية من اعريب وبني امحمد وآيت حسو وآيت خباش.

وفي 2 فبراير خضعت ستمائة أسرة من بني علي فزواطة بزاكورة، لكن روحات وغذوات بلقاسم جنوب باني لم تلبث أن أثارت القلق في أوساط الخاضعين الجدد لنا في فزواطة والذين لا تمثل الشجاعة على كل حال خصلتهم الرئيسية، وقد حثتنا هذه الوضعية على دراسة احتلال فجاج باني /124/ لتأمين فزواطة من أي تهديد، فأرسلت القوات الإضافية في مهمة استطلاعية إلى غاية فم تاقات ن إيلكتاون على بعد 40 كلم من زاكورة ولم تجد أي موضع مناسب لتأسيس مركز، كما أن أشغال مد الطريق نحو لكتاوة توبعت بنشاط تحت حراسة فرقتين من الكوم.

وفي ليلة 6 -5 مارس حاول الزعيم الحربي لآيت خباش محمد وباني[15] السيطرة على معسكر الكومين العشرين والخامس والعشرين الواقع على مشارف قصور آيت حسو في أسكجور (24 كلم جنوب شرق زاكورة)، وقد صد الهجوم وترك المهاجمون وراءهم جثتين، في حين كانت خسائرنا في هذه العملية- التي تعتبر أول حادث دامي منذ مغادرة أكدز -قتل كومي وجرح ضابط صف فرنسي وثلاثة كوميين. وبعد ذلك تحصن المنشقون في قمم باني لمواجهة تقدمنا المحتمل، وفي 10 مارس نزل بلقاسم من باني للإقامة صحبة 200 محارب عند بني علي الذين لم يبدوا أية مقاومة، ولحسن الحظ احتل 250 من برطيزة في الوقت المناسب قصر السفالات الواقع شمال بني علي وأوقفوا تقدم الفتان. كما أن آيت عطا الخاضعين وأولاد يحيى بدأوا في تجميع قواتهم،

(15) انتخب آيت خباش محمد أُوباني لمنصب أمغار نْ توكا (شيخ المراعي) في شهر ماي 1916، ولا نعلم هل ظل في منصبه كل تلك السنوات لما أبداه من مهارة وإقدام، أم فرض نفسه كقائد حربي لشجاعته في مواجهة حالة الحرب التي اصبح عليها آيت خباش منذ عمليات بودنيب ليشتهر بالخصوص في وقائع حروب القبيلة في درعة. أنظر D.M. Hart, Dadda Atta... p. 232, note (a).(المترجم).

ودخل الطيران في المعركة بقصف بني علي والقصور المعادية في لكتاوة وخاصة بني صبيح، مما أسفر عن قتل وجرح 30 منشقا. وأسس مركز على مشارف آيت أسكجور وسط فزواطة، قام عليه الكوم الخامس والعشرون وتجريدة ميليشيا المدفعية لمراكش الآتية من تينزولين، وتواصلت أشغال مد الطريق رغم مقاومة المنشقين إلى حدود قدم جبل باني تحت حماية الكوم والبرطيزة وثلاثة مفرزات للرشاشات الآلية.

أمام هذا الرد الحازم انقلب الوضع لصالحنا، إذ تراجع بلقاسم يوم 15 مارس إلى لكتاوة، وفي اليوم الموالي طافت قوات الفرسان التابعة للكوم العاشر والعشرون والخامس والعشرون والرابع والثلاثون -مدعمة بمفرزة للرشاشات الآلية -في بني علي وبلغت المصب الشمالي لفم تاقات ن إيلكتاون. وفي 18 مارس تسلق الكوميون والبرطيزة جبل باني في فم أنكام بدون قتال، فانسحب بلقاسم إلى لمحاميد وبعد قصفه بعنف من جديد من طرف الطيران غادر درعة نهائيا في نهاية الشهر ملتحقا /125/ بمخيمات آيت خباش المجتمعين بالحمادات الصحراوية على مشارف طاطا.

وفي 26 مارس مثلت كل جماعات لكتاوة بدعوة منا بزاكورة حيث تعهدت بعدم مساندة الفيلاليين، وفي ذات الوقت حاولنا إبرام اتفاق بين آيت إيسفول وآيت حسو. كما استسلم خمسة وثلاثون محاربا من بني امحمد قدموا من تافيلالت لدعم آيت خباش ورجعوا إلى بلدهم الأصلي بعد نزع سلاحهم، وفي المنطقة الخاضعة باشر مكتب زاكورة تنظيم القيادة الأهلية حيث وزعت بنادق على الأفخاذ ذات قيمة قتالية.

وحملنا الهجوم المفاجئ الذي قام به آيت حمو في 16 مارس ضد أولاد يحيى زكيد الذين خسروا خمسة آلاف رأس غنم على تجميع الرحل الذين يرعون في الفايْجة شمال باني بين درعة وزكيد، كما عزز تسليحهم وعين رؤساء لهم، وتمت استطلاعات في اتجاه بوربيع (65 كلم غرب زاكورة).

أما شرق درعة فإن تغطيتنا قبالة صاغرو وتازارين أكدت صلابتها، إذ لحق البرطيزة من آيت سليلو وآيت والال وإيلمشان"بجيش" dijich[16] بعملية في منطقة النقب، فأصابوا إثني عشر رجلا واستولوا على ثلاثين بندقية سريعة الطلقات، وفيما بعد اجتمع أعيان هذه الأفخاذ بزاكورة لتحديد الإجراءات الدفاعية التي يتطلبها الوضع في ناحيتهم، فقدمت لهم ضمانات بدعم قوات درعة في حالة تهديدات خطيرة من قبل المنشقين.

4. تحضير احتلال منعرج درعة (أبريل - أكتوبر 1932):

رغم الوعود التي قطعها أهل لف آيت حسو، فإن مجموعة من مائة محارب من آيت خباش المستقرين في لمحاميد لا تزال تجوب دون إزعاج لكتاوة حيث تقيم باستمرار، فوقعت أحداث

(16) يقصد جيش المجاهدين ضد الفرنسيين. (المترجم).

من جديد بين المنشقين وآيت إيسفول، وانتقل محمد وباني -بعد حصوله على تعزيزات من مخيمات الحمادة -إلى /126/الهجوم مسيطرا على بعض قصور لكتاوة ولمحاميد. ومن جديد اتخذ حزب آيت حسو موقفا عدائيا تجاهنا وتباعدت علاقاتهم مع زاكورة، كما وصلت جماعة آيت إيسفول إلى مركز أسكجور شاكية من تجاوزات خصومهم وطالبة دعمنا.

كان يجب التدخل مرة أخرى تحت طائلة تدهور الحالة، ولكن تحسبا للمستقبل وتفاديا لتنفير آيت واحليم تازارين وصاغرو نهائيا، وهم الذين ننوي احتلال بلادهم فيما بعد، تحاشينا الدخول في صراع مفتوح مع آيت حسو لكتاوة، فاستمر الغموض: رسميا ليس لنا خصوم إلا آيت خباش، وقبلنا مرة أخرى اعتذارات آيت حسو الذين أعلنوا عدم استعدادهم للإنحياز لطرف ما. وسلمت أسلحة وذخائر لآيت إيسفول الذين منوا بخسائر هامة، وفي 8 يونيو قصف الطيران في لمحاميد ولكتاوة قصري لعنصر والطلعة نتاع الشرفا اللذين سطا عليهما آيت خباش، ومن جهة أخرى ومع انشغال المنشقين بهذه الصراعات، استغل رئيس ملحقة درعة ذلك في ليلة 11 إلى 12 يونيو لاحتلال مباغت لموقع أنكام المهم المتحكم في طريق لكتاوة عبر باني، وتمت العملية بنجاح ودون خسائر من طرف ثلاثمائة من البرطيزة مسنودين بالكوم العشرين والخامس والعشرين والرابع والثلاثين، وباشرت التجريدة في الحال رغم صعوبات جمة تأسيس برجين للمراقبة يقع المضيق تحت نيرانهما، وبني برج ثالث في المدخل الشمالي لفم تاقات ن إيلكتاون، كما بدأت أشغال اجتياز الطريق لباني[17] وفي 16 يونيو أرسلت مجموعة ارتباط من خمسين من برطيزة /127/ آيت أونير مؤطرين من طرف بعض المخازنية عند آيت إيسفول لكتاوة.

اتضح أن استعراضات القوة هذه ملائمة، فقد جاء أعيان آيت حسو وبني امحمد وبني صبيح إلى معسكر أنكام ليغمرونا بمظاهر خادعة للولاء، وتحدث آيت إيسفول عن إبادة أعدائهم، ولم يتحرك آيت خباش. واستفدنا نحن من الهدوء لبضعة أيام فقط.

فعلا ابتداء من نهاية يونيو تمالك آيت خباش ثانية لأنهم أدركوا ضياعهم إذا لم يبادروا بردة فعل حازمة على عادتهم، وهكذا- وبدعم من ستين قاطع طريق ذائعي الصيت أتوا من أوكنات وصاغرو وتاغبالت -كبدوا لف آيت إيسفول خسائر فادحة وسقطت قصور جديدة في أيديهم،

(17) لا توجد أي عين ماء بالقرب من أنكام، وبالتالي كان يجب جلب الماء الضروري للتجريدة ولأشغال البناء من أسكجور على بعد 15 كلم من هناك بالشاحنات. كما كان يتعين نقلها بالقراب على ظهور الرجال في انتظار تهيئ مسالك للبهائم من نهاية الطريق إلى المعسكر (270 مترا بمستويات مختلفة). وطوال مدة الأشغال ظلت فصيلتان sections من الكوم العشرون ومثيلتيهما من الكوم الخامس والعشرون وثلاث مجموعات من الرشاشات من الكوم ال 20 وال 25وال 34 واربعين مخزنيا راجلين مرابطة في موقع أنكام، وكان الكل تحت اوامر الملازم مارتان قائد الكوم ال 20.

أما مركز أسكجور فكانت ترابط فيه العناصر المتوفرة من الكوم ال20 (باستثناء فرقة الفرسان) ومن الكوم ال 25 وميليشيا مدفعية مراكش المجهزة بمدفعين للجبال من عيار80 . وكان الكل تحت أوامر سو الملازم سيوراك قائد الكوم ال 25. وكان 20 مخزنيا راجلا يرابطون ببرج المراقبة في فم تاقات ن إيلكتاون، في حين بقي الكوم ال 34 وفرقة الفرسان التابعة للكوم ال 20 وفرقة للرشاشات الآلية في الإحتياط بمركز زاكورة الذي رابطت فيه سرية من الفيلق الرابع للفيف الأجنبي (المؤلف).

مما جعل معسكر المخزن -الذي تعب من صراع دامي استمر منذ شهور ويبدو بدون مخرج - يتفكك وتبدو عليه علامات واضحة للإنهاك، وبدا أنه لن يتمكن من الصمود طويلا، بحيث اضطر اعريب لمحاميد إلى طلب هدنة. وتأكد أن آيت حسو يكافئون مرتزقة من آيت خباش لهزمنا، وتدهورت الوضعية أكثر في يوليو، وفي 11 غشت نصب ثلاثون محاربا من آيت خباش وآيت حسو كمينا لمخازنية أنكام، فقتلوا ستة منهم واستولوا على بنادقهم، مما أرعب الأفخاذ المجاورة للجبهة وأدى إلى سوء وضعنا: كان يجب وضع حد لذلك، لأن مواصلة التأجيل أكثر مع آيت حسو يعرِّض النتائج المحصل عليها حتى ذلك الوقت للخطر، وتعيَّن إظهار أننا لا نستطيع التسامح أكثر مع غدرهم مهما كانت رغبتنا في تمهيد علاقات طيبة مع إخوانهم في تازارين وصاغرو.

هكذا أبلغ قائد ملحقة درعة آيت حسو لكتاوة الذين بلغ نفاقهم حد الوقاحة أنه يعتبرهم أعداء من الآن فصاعدا وسيتعامل معهم على هذا الأساس، /128/ فألقت القوات الإضافية القبض على عدة قوافل لآيت حسو وبني امحمد، ومنع دخول أسواق المخزن على المنشقين، كما عززت حاميات فم تاقات ن إيلكتاون وأنكام، إذ جاء الكوم ال 34 لدعم الكومين ال 20 وال 25 الموجودين في جبل باني من قبل، ووضع محمد ولحوساين- أحد أعيان آيت حسو الذي اعتقل في قصره بآسكجور في فزواطة -تحت الإقامة الإجبارية عند الخليفة سي محمد بلفاطمي بتينزولين، كما وزعت مائة بندقية سريعة الطلقات على برطيزتنا بلكتاوة، وأخيرا فرض على رحل آيت إيسفول توفير محاربين وقرروا إرسال تعزيزات لإخوانهم المستقرين، الذين تلقوا كذلك دعم مجموعة من مائة من برطيزة آيت سدرات وآيت عطا المنتقين والمؤداة أجورهم برعايتنا، والمؤطرين من طرف مخازنية مختارين من مكتب زاكورة.

حاول المعسكر الخصم أولا أن يتعجرف بإعلان الحرب ضد كل القبائل الخاضعة وتهديد مراكزنا، كما وجه زعيم آيت خباش محمد وباني تحديا شخصيا للمبارزة إلى قائد ملحقة درعة، إلا أن هذه التحركات المسرحية لم تبهر أحدا، إذ استرد آيت إيسفول مبادرة الهجوم بعد تعزيزهم في نهاية غشت، مكبدين بدورهم آيت خباش وآيت حسو هزائم مدوية[18]، فانسحب حينئذ منشقو صاغرو وأوكنات من لكتاوة مع غنائمهم.

وفي شتنبر ظلت الوضعية مرضية رغم وصول تعزيزات من آيت خباش آتية من الحمادة، فقد انضم إلى أصحابنا أكثر من ثلثي سكان لكتاوة، أما المعسكر العدو الذي شدد عليه الخناق عن قرب فلم يعد يسيطر إلا على القصور الجنوبية للمقاطعة في الجوار المباشر لبني صبيح المعقل الرئيسي لآيت خباش.

(18) خلال شهري غشت وشتنبر تكبد اللف العدو 30 قتيلا و 35 جريحا (المؤلف).

وفي 8 شتنبر انتهت أشغال اجتياز الطريق لجبل باني على مستوى أنكام، ونفذت فرقة للرشاشات الآلية مدعومة ب 180 كوميا ومخازنيا فارسا إلى منخفض لكتاوة واقتربت من هوامش غابة النخيل وربطت الإتصال مع آيت إيسفول، لقد ربحنا الجولة، إذ فقد آيت خباش كل أمل في معاودة الهجوم في لكتاوة، ومع ذلك تركوا /129/ حامية من 60 بندقية في بني صبيح، وتراجعوا تجاه لمحاميد حيث يصعب علينا التدخل بفعالية.

وفي 10 شتنبر التحق الكومان ال 20 وال 34 بزاكورة، وكلف الكوم الـ 25 وتعداده 206 رجل وميليشيا مدفعية مراكش (50 رجلا) و 60 مخازنيا راجلا بحراسة منطقة فم تاقات ن إيلكتاون.

وفي 6 أكتوبر مني آيت خباش الذين ظلوا ببني صبيح بهزيمة آخرى، إذ قتل زعيمهم الصعب المراس محمد وّبَاني خلال مناوشة[19] وظلت جثته بين أيدي برطيزتنا. في المقابل كان آيت خباش يثبتون سلطتهم بلمحاميد، فبعد معارك دامية طردوا آيت علوان المنضمين من قصر بونو، مما جعل كل السكان المستقرين يعلنون خضوعهم لهم باستثناء أولاد ادريس المحاصرين عن قرب، كما أرغم اعريب حزب الراحل سيدي محمد ولد سيدي خليل على وضع السلاح، ولم نستطع إلا إيصال بنادق وبرطيزة إلى أولاد ادريس الذين - بفضل هذا الدعم - بدا أنهم قادرون على الصمود إلى غاية وصولنا.

والحاصل أن مشكل لكتاوة قد وجد حلا ولم يعد هناك شك في الإحتلال السلمي لهذه المقاطعة في نهاية أكتوبر، وإذا ظل بعض القلق بخصوص لمحاميد فإن المنشقين بدورهم لم يعد بإمكانهم إبداء مقاومة جدية عند مثول قواتنا بقوة، وفي هذه الظروف الإيجابية التي تعزى للعمل السياسي ونشاط القوات الإضافية والكوم والمخازنية والميليشيا والبرطيزة، بدأت الفرقة المتنقلة لمراكش تمركزها بزاكورة في بداية نونبر 1932.

5. احتلال منعرج درعة (نونبر 1932):

في 6 نونبر أوفد المقدم شاردون قائد منطقة ورزازات ورئيس ملحقة درعة فرقة استطلاع إلى منخفض لكتاوة، مخفورة من طرف فرقتين للرشاشات الآلية ومشاة الكوم الـ34 المحمولين على ظهر شاحنات، /130/ وبمحاذاة الهامش الغربي لواحة النخيل بلغت مشارف بني صبيح، ودرست موضع المركز المرتقب في لكتاوة، كما ربطت الإتصال مع آيت إيسفول واستقبلت وفدا من بني صبيح أفاد بأنه مع اقتراب التجريدة انتشر الهلع في أوساط آيت خباش وأخلوا القصر وفروا في اتجاه لمحاميد، فحاولت الرشاشات الآلية الإلتفاف حول الواحة من ناحية الجنوب لقطع الطريق على العدو، لكنها للأسف توقفت بسبب الطبيعة الرملية للأرض. وللحيلولة دون

(19) تفيد الرواية الشفوية أن محمد أوباني قتل خطأ من طرف آيت خباش، وكان من قتله معروفا في صفوف القبيلة حسب رواية الحاج لحسن أوحماد بوكبوط والحاج موحى أوحمو آونير (المترجم).

عودة هجومية لآيت خباش، استقر البرطيزة الذين أرسلوا إلى لكتاوة في شتنبر ببني صبيح مع المخازنية الذين كانوا ضمن فرقة الإستطلاع، والتحقت التجريدة المحمولة فيما بعد بزاكورة.

وفي ليلة 11 إلى 12 نونبر، احتلت الفرقة المتنقلة المتمركزة في أنكام – وتعدادها ثلاثة فيالق للمشاة وثلاثة فرق كوم مغربية مختلطة وثلاث بطاريات عيار 75 وفرقتين للرشاشات الآلية وسرية للدبابات القتالية و 1500 من البرطيزة -بدون قتال منطقة لكتاوة، وخلال العملية تمت السيطرة على أخدود جبل بني سليمان الذي يفصل لكتاوة عن لمحاميد من طرف البرطيزة المدعومين من قبل كوم وفيلق.

وفي 13 نونبر قام قائد الفرقة المتنقلة مع القوات الإضافية باستطلاع بلغ الهامش الشمالي للمحاميد، ومع عدم حدوث أي رد فعل تغلغل رئيس ملحقة درعة في الواحة مع 400 من البرطيزة والكومين ال 20 وال34، واحتل قصري ركابي نايت حسو وبونو بعد فك الحصار عن أولاد ادريس، ونجح آيت خباش الأواخر في الهرب من بونو في الوقت المناسب مع نزول الظلام واستحالة المطاردة. وفي 14 نونبر واصل الجنود الإضافيون احتلال لمحاميد دون قتال وربطوا الإتصال مع اعريب، لتستقر الفرقة المتنقلة في 15 نونبر بحدب اليهودي[20] في قلب المقاطعة حيث شرع حالا في بناء مركز.[21]

/131/في نفس اليوم تلقى الجنرال كاترو قائد المنطقة الخضوع الرسمي لأهل لكتاوة، وفي 17 نونبر خضوع جماعات لمحاميد، وهكذا دخلت 4700 أسرة أي حوالي 32500 نسمة في طاعة المخزن، مما رفع العدد الإجمالي للخاضعين الفعليين منذ بداية 1931 إلى 106000. وبالنظر إلى هذه الحصيلة المدهشة، كانت خسائرنا مقتل ستة مخازنية وكومي واحد وجرح ضابط صف فرنسي ومخازني وثلاثة كوميين.

غير أنه إذا كان احتلال منعرج درعة قد أنهى احتلال مقاطعات هذا الوادي ومهد للسيطرة الكاملة على بلاد آيت عطا، فإن آيت خباش أفلتوا من طوقنا مرة أخرى، حيث طاردهم الفيلق الصحراوي للساورة في حمادة درعة وأخذ لهم 800 رأس غنم وأسر منهم بعض الرجال يوم 19 نونبر، وفي نفس التاريخ اشتبكوا مع برطيزة زكيد الذين أخذوا لهم 430 جملا، ومع ذلك نجحوا كلهم تقريبا في التجمع في وادي درعة الأسفل على مشارف آقا، ولم يخضعوا إلا في مارس 1934 عندما أنهت قوات الجنرال كاترو والجنرال جيرو احتلال المغرب بعد احتلال الأطلس الصغير الغربي.

---

(20) تاكنيت الحالية (المترجم).

(21) أسس مكتب للشؤون الأهلية في تاكنيت لكتاوة، وكان أول رئيس له هو الملازم دو سان بون de Saint Bon ، نائب في مكتب اكدز أولا ثم في مكتب ملحقة درعة بزاكورة فيما بعد والذي ساهم بقسط كبير في احتلال البلاد. وكان مركز تاكنيت مقرا للكوم ال 20 وسرية للفيف. كما أسس مركز للشؤون الأهلية تابع لمكتب لكتاوة في حدب اليهودي بلمحاميد، ورئيسه هو الملازم بوتي Petit، واستقر الكوم ال 25 وسرية للفيف في مركز لمحاميد، وظل الكوم ال 34 في زاكورة (المؤلف).

الفصل III : احتلال تازارين وصاغرو :

1. الإحتكاك بالقبائل التي تغطي منطقة تازارين (يناير-دجنبر 1931)

لم ينشغل مكتب أكدز كلية بالزحف على زاكورة فقط، بل مورس العمل /132/ السياسي منذ يناير 1931 على أفخاذ آيت عطا الواقعة شرق درعة، سواء من أجل حماية جناحنا الأيسر من أي تهديد أو لتحضير الاحتلال اللاحق لتازارين تمهيدا لتطويق صاغرو.

كنا نعلم بالفعل منذ عدة سنين أن احتلال درعة لم يكن يشكل- تماما مثل احتلال تودغا وفركلة وتافيلالت -إلا عاملا مهما بالتأكيد ولكنه غير حاسم البتة في إخضاع كتلة آيت عطا، وحدها إقامة مراكز في منطقة تازارين وتكميلها بتثبيت سيطرتنا على صاغرو قادرة على حل مشكل آيت عطا مفتاح الأمن في جنوب شرق المغرب.

وفي يناير 1931، أثارت الحالة بين درعة وتازارين قلقا جديا، إذ أظهر الثوار عداءهم بالسطو على 600 رأس لآيت سدرات، فبوشرت مساومات مع آيت سليلو (آيت أونير) في النقب، وهي عشيرة محاربة من 170 كانونا ومعروف أنها مؤيدة (للمخزن)، وقد أفضت هذه المحادثات في غشت إلى إرسال وفد من آيت سليلو إلى مركز أكدز، أبرم مع آيت سدرات تفاهما بخصوص توزيع وحراسة المراعي، ولكن- هنا أيضا -عرقل الموقف غير المرضي لآيت حسو مشاريع عملنا السياسي. فبإيعاز من وجيههم الرئيسي حمو ولحسن بن مرغي، انضم آيت حسو تازارين وتاغبالت إلى آيت خباش وساندوا إخوانهم في لكتاوة في نزاعهم مع آيت إيسفول، وقد بعثنا دون نتيجة رسائل إلى حمو ولحسن بن مرغي الذي لم يقبل إفادة استلامها- وبطريقة متهربة ولامفهومة -إلا خلال شهر غشت.

بينما كانت العلاقات بين مركز أكدز وآيت سليلو تتوطد تدريجيا، حفز هذا التحسن آيت أوزين من آيت والال -فخذ تابع لآيت سليلو -على الإتصال بدورهم بنا، إذ مثل ستة أعيان منهم في مكتب أكدز يوم 25 شتنبر 1931 ، وبعد عرض رغبتهم في ربط علاقات طيبة مع المخزن، أعلنوا بأنه يمكن اعتبارهم من الآن منضمين إلينا . وفي 6 أكتوبر أقدم باسو وميمون الزعيم الإفتراضي لآيت سليلو على خطوة مماثلة على رأس وفد من ستة أعيان.

/133/بإمكان آيت سليلو وآيت أوزين والحالة هذه تجنيد ثلاثمائة محارب جيدي التسليح، ويعتبرون مع آيت سدرات وإيمغران الخاضعين أسياد صاغرو الغربي، كما يسيطرون على موقع من الطراز الأول في منتصف الطريق بين درعة وتازارين في الممر الفاصل بين باني وصاغرو، وأخيرا فإن قصورهم تنتشر لعدة كيلومترات على طول الطريق السهلة الرابطة بين آيت سدرات وتازارين. ولهذا شكل انضمامهم لسياسة المخزن عاملا هاما في استتباب الأمن، وبفضل تدابيرهم الطيبة توسع نفوذنا شرقا ولم يعد أي "جيش" يحاول إزعاج خطوط مواصلاتنا في درعة.

2. التحضير للزحف على منطقة تازارين (يناير - نونبر1932):

بعد احتلال زاكورة خضع إيلمشان وتبعهم إخوانهم في بن دلالة وعبدي (بين ترناتة وتازارين). وفي فاتح أبريل شارك إيلمشان عبدي بفعالية في سحق "جيش"من آيت إيعزا وآيت حسو أغار على آيت سليلو، إذ بقيت ثلاثون بندقية بين أيدي برطيزتنا الذين لم يخسروا في هذه العملية إلا رجلين قتلا أو جرحا.

وفي 20 أبريل طلب أهل عبدي دعم مكتب زاكورة ضد الثوار في صاغرو والرك الذين يخشون انتقامهم، وفي 24 أبريل قاد باسو وميمون وفدا من آيت سليلو وآيت أوزين إلى زاكورة حيث تباحث مع إيلمشان المنضمين، وبعد تدارس الوضع التزم الأعيان بعدم إعادة أي من الأسلحة التي تم الإستيلاء عليها، وتعاهدوا على تبادل المساعدة وتوسلوا من المخزن ضمان دعم إيمسوفة وآيت أونير درعة في حالة تهديد خطير، وقد ضمنت لهم مساعدة هذه القبائل، وخلال شهر ماي حاول إيلمشان الثوار بصاغرو ووكلاء آيت إيعزا استرجاع البنادق التي استولى عليها حزب المخزن بعبدي دون جدوى.

وفي 23 ماي أعربت جماعة آيت مسعود (آيت والال /134/) بآجمو (قصر واقع على بعد بضعة كيلومترات شرق النقب) وتانامغوت (إلى السافلة بالقرب من عبدي نيلمشان) عن تعلقها بالمخزن. ومن أجل تسهيل سياسة التتوية المتبعة في المنطقة الواقعة بين درعة وتازارين، سلمت إثنى عشر بندقية تشجيعا لآيت مسعود، وبذلك شكلت كل أفخاذ قطاع النقب – عبدي المنضمة أو الخاضعة كتلة متجانسة من خمسمائة أسرة، وبعد ذلك ببضعة أيام كتب آيت والال تازارين إلى شيخ الزاوية القادرية بتيمسلا (آيت زري) لتأكيد مشاعرهم الطيبة تجاهنا.

أثار تقدم العمل السياسي في هوامش تازارين آيت عطا الثوار، الذين اجتمع مندوبوهم بأعشيش نايت يحيى وموسى (شرق تازارين) لحل خلافاتهم وتحقيق توحيد الجبهة ضد المخزن، حيث أرجعت قطعان من طرف آيت إيعزا إلى آيت بولمان في ملال (آيت والال)، وبعد إبرام هذا الإتفاق الأول انشغل حمو ولحسن بن مرغي بتخليص منطقة نفوذه بتازارين من ثوار إيلمشان وأوشان وآيت إيعزا، في ذات الوقت الذي يخدم القضية المشتركة. وفعلا كانت أول نتيجة لاحتلال قواتنا لتافيلالت وفركلة وتودغا تجمع عدد معين من عتاة الرافضين جنوب صاغرو، قادهم حمو ولحسن إلى لكتاوة حيث ساندوا إخوانه آيت حسو. لكن الثوار عجزوا لحسن الحظ عن وضع برنامج عمل حقيقي، بل بدوا أكثر عجزا في تنفيذ قرارت المقاومة المبهمة التي أعدت خلال محادثاتهم الأخيرة.

من جهتنا انشغل مكتب زاكورة، بعد إحكام تنظيم أفخاذ آيت عطا في منطقة النقب – عبدي، بتوسيع نفوذه على تازارين؛ كانت هذه المقاطعة الفقيرة في الحقيقة ولكنها مهمة من حيث

موقعها الجغرافي في قلب بلاد آيت عطا ووجود زوايا الشرفاء أولاد مولاي عبد الله بن حساين أحفاد ولي الإتحادية، كانت في أيدي فخذين: آيت والال وآيت حسو، وكان آيت والال أقوياء عدديا لكن آيت حسو يتفوقون عليهم مع ذلك على الصعيد السياسي، كما يسيطرون على هوامش تازارين الجنوبية ومقاطعة /135/ تاغبالت المجاورة، وتجوب مخيمات رحلهم المختلطة بمخيمات إيلمشان الثوار المنطقة بكثرة.

ودون إهمال آيت حسو والوجيه المسن حمو ولحسن بن مرغي أوعز مكتب زاكورة إلى إيمسوفة درعة وآيت أوزين وآيت سليلو التابعين لباسو وميمون بالتدخل لدى إخوانهم الثوار آيت والال تازارين، كما استخدم أيضا في هذه الحملة الدبلوماسية المرابط سيدي لحسن في تيمسلا (آيت زري) الذي يملك زوايا في تازارين حيث يشمل نفوذه آيت حسو.

ولم تتأخر النتائج بالظهور، حيث قدم سيدي لحسن في 4 غشت بزاكورة وفدا ضم إثنى عشر من أعيان آيت والال من ملال وتامساهلت وتازارين، مصحوبين بأعيان من آيت أوزين وآيت مسعود المنضمين من قبل، وأعلنوا كلهم أنهم عند أوامر المخزن، فخضعوا لرأينا في انتخاب شيخ مشترك بإيعاز منا، إذ في 8 غشت وتبعا لأعرافهم بادروا إلى تعيين هذا الشيخ بضريح مولاي بلقسام في تيمسلا، وكان الوجيه حماد وعلي أوعطيش من آيت شعيب في تازارين، الشيخ المخزني الجديد لآيت والال، مشهورا منذ وقت طويل بالحكمة والأمانة.

أقنع أخيرا موقف آيت والال من جهة ونصائح سيدي لحسن بتيمسلا من جهة أخرى حمو ولحسن بن مرغي بالشروع في محاولة تقارب، وخلال شهر شتنبر أبلغنا مرارا بأنه مؤيد المخزن، لكن وضعيته الحساسة تمنعه من أية خطوة معلنة طالما لم تتحرك قواتنا تجاه تازارين، مضيفا أنه يعمل على تحويل انتباه الثوار في صاغرو وأوكنات عن مقاطعته. وتميز هذا التغير الجد محتشم بمجيء جماعة آيت أولحيان في 19 شتنبر (آيت حسو قاطنين بين تازارين وتاغبالت) إلى زاكورة حيث قدمها سي عبد السلام الناصري شيخ زاوية تامكروت.

وبما أن التحضير السياسي كان متقدما بما فيه الكفاية، انطلقت بسرعة أشغال الطريق المتجهة نحو تازارين في 27 شتنبر، حيث أقامت الأوراش في بلاد آيت سدرات تحت حماية الكوم المغربي المختلط ال10، متقدمة من درعة نحو النقب، المرحلة الأولى /136 /لتغلغلنا[22]، في ذات الوقت بنت سرية الهندسة التابعة للفيلق الرابع للفيف الأجنبي جسرا قابلا للغمر على درعة.

غير أن ثوار صاغرو بدأوا يشعرون بالقلق من استعداداتنا على طول محيط ملاذهم، فحوالي 10 أكتوبر أشار مخبرون إلى أن عددا معينا من عتاة الرافضين قرروا مهاجمة أوراش الطريق،

(22) كان يقود الأشغال الملازم أول هوبشفيرلان Hubschwerlin رئيس مكتب أكدز وقائد الكوم العاشر، مساعدا من طرف اليوتنان ليزراي lizeray ، نائب في الكوم ال10. (المؤلف).

فساهم آيت سليلو، الأوفياء لالتزاماتهم، في تأمين سلامة الأشغال. وفي الأخير اتجه الإضطراب المرصود في صاغرو إلى تازارين حيث توغل مائة محارب من آيت سليلو وإيلمشان، ولم يبد آيت والال -غير المنضبطين بعد -أية مقاومة، كما أن حمو ولحسن بن مرغي لم يعط أية إشارة حياة طوال مدة إقامة الثوار، مما أكد في المحصلة أن الصداقات المبرمة حديثا في تازارين ثمينة ولكنها غير فعالة في الممارسة، ذلك أن موقف آيت حسو الملتبس في هذا القطاع كما في درعة لم يسهل تجميع العناصر الموالية لسياستنا، فقد مارسوا في الواقع هنا أيضا لعبة مزدوجة بالتعامل مع المخزن والثوار في ذات الوقت، مع ميل واضح إلى هؤلاء لكون ردود فعلهم رهيبة مقارنة معنا، بل نجد بعض آيت حسو وبالأخص سكان قصر" مْ الرَّمَّانْ "[23] في منتصف الطريق بين النقب وتازارين بدأوا في وضع ممتلكاتهم في مأمن بصاغرو، مما يدل على نوايا عدوانية. وقد تأكدت الخطوات المعادية للتمرد بالفعل، ففي ليلة 23 إلى 24 أكتوبر قتل حوامون أحد البرطيزة من آيت أوزين في مخيم أوراش الطريق في منتصف طريق النقب، كما رصدت بعد ذلك تجمعات قوية من "إيجياشن" غير بعيد من تجريدتنا، مما استدعى دعم الكوم العاشر بمفرزة من الرشاشات الآلية ثم بالكوم ال32[24].

/137/ 3. احتلال تازارين وتاغبالت (نونبر 1932)؛

حمل احتلال منعرج درعة بدون حوادث في بداية نونبر القيادة على استخدام القوات المتفرغة للإسراع بالزحف على تازارين، واتجهت الفرقة المتنقلة للتخوم المغربية الجزائرية من جهتها إلى ألنيف على الرك، وبعد احتلال هذين الهدفين التقت قوات مراكش والتخوم في تاغبالت، فوقعت بذلك المنطقة الواقعة بين درعة وتافيلالت بأكملها تحت سيطرتنا وحوصر جبل صاغرو آخر معاقل الثوار في الجنوب الشرقي.

وفي 22 نونبر أقام المقدم شاردون مركز قيادته في النقب حيث تمركزت مختلف عناصر الفرقة المتنقلة[25]، كما بلغت الطريق مركز النقب الذي تحول في الحين إلى قاعدة متقدمة. وللمرة الأولى يفي الشيخ حمو ولحسن بوعوده، حيث جاء إلى معسكرنا ليعبر أن إخوانه آيت بوداود (آيت حسو) موالون للمخزن، وقد سمحت هذه الخطوة بتوقع استقبال جيد من طرف ساكنة تازارين، لكن موقف الثوار في صاغرو ظل مقلقا.

(23) Oum er Reman : يجدر التذكير بأن الأسماء الأمازيغية المسبوقة ب "م" لا تفيد المعنى الذي تحيل عليه الدلالة العربية، إذ لا علاقة للأم بالموضوع لأن الميم التي تسبق الإسم للنسبة، أي صاحبة او ذات الرمان، مما جعلنا نفضل كتابة "م" دون الف رفعا للبس. (المترجم).

(24) تحت قيادة الملازم اول كارون Garond (المؤلف).

(25) ضمت الفرقة المتنقلة فيلقين من المشاة وثلاثة فرق كوم وبطارتي مدافع عيار 75 وسريتين للرشاشات وسرية للدبابات القتالية و1500 من البرطيزة، وهنا فيلق احتياطي من الرماة المغاربة لدى آيت سدرات (المؤلف).

ولتفريق قواتهم تجمع 250 من برطيزة مركز بومالن في تاكديلت نايت بوداود جنوب طريق بومالن - إيميضر، بينما احتل مركز تينغير بواسطة 260 من البرطيزة والكوم المغربي المختلط ال 36 شرق تيزي ن بوجو بين صاغرو وأوكنات.

وفي 26 نونبر احتلت ملال ومضيق" إيمي نْ وَاقًا "من طرف الفرقة المتنقلة مدعومة في جناحها الأيسر من طرف خمسمائة من برطيزة دادس أتوا عبر صاغرو الغربي، وفي جناحها الأيمن من طرف خمسمائة من برطيزة درعة والكوم الـ34، المتمركزين في تانامغروت غير بعيد عن عبدي نيلمشان، وقد بلغت الفرقة هدفها النهائي بدون حوادث في 27 نونبر، إذ خضعت كل أفخاذ تازارين وكذا آيت /138/ بوداود ابن مرغي، لكن نحو ستين أسرة من إيلمشان بواوكلوت ومن آيت بوداود ب" مّ الرّمّان "وإيزاخنيون بتامساهلت (آيت والال) فرت قبل ذلك إلى صاغرو.

وفي 28 نونبر التقى الجنرال كاترو مصحوبا بالمقدم شاردون بالجنرال جيرو في تيزي نتازكزاوت (20 كلم شرق تازارين)، وإثر العودة إلى مخيمهما بتازارين استقبلا جماعات القسم الأكبر من آيت حسو بتاغبالت الذين طلبوا الأمان، وتقرر بالتالي احتلال هذه المقاطعة وهو ما تم في فجر يوم 29 نونبر من طرف تجريدة خفيفة، وفي الصبيحة التقت قوات فرسان التخوم بتاغبالت مع عناصر مراكش فخضع أهل تاغبالت، بينما هنا أيضا لجأت نحو أربعين أسرة من آيت حسو وآيت عيسى وبراهيم وآيت إيعزا إلى صاغرو قبل وصولنا.

كانت النتائج المحصل عليها مرضية بصفة عامة، فقد احتلت تازارين وتاغبالت دون خسائر وخضعت 1500 أسرة، لكن نحو مائة أسرة انضمت إلى أهل صاغرو الذين يؤكدون أكثر فأكثر أنهم غير مطواعين ومن عتاة الرافضين، كما أن هذه الهجرة القليلة الأهمية عدديا اتضح بسرعة أنها من الخطورة بمكان على الصعيد المعنوي، إذ مثلت عقبة ثقيلة لن تزاح إلا بالإخضاع الشامل لصاغرو.

ولم يتسن الوقت الكافي للتحضير السياسي الممتاز إلى غاية النقب ليفعل فعله بنجاح في تازارين وغاب تماما في تاغبالت[26]، ولم تقدم لنا ساكنة هذه المقاطعة غير الواثقة بالمرة إلا عونا مترددا، وظل آيت حسو مشتبها فيهم جدا رغم تظاهرهم بالولاء، أما آيت والال الأفضل تقبلا على العموم فإنهم مائعون، فالتهديد الذي شكله تمرد صاغرو على المنطقة يهيمن على الوضع.

هكذا استقر فيلق من الرماة المغاربة قادم من آيت سدرات بملال في مواجهة مضيق إيمي ن واقا حيث بني مركز، كما أسس مكتب للشؤون الأهلية /139/ بتازارين مع مركز عسكري، ونظم مركز آخر للشؤون الأهلية بتاغبالت.

---

(26) بقرار من السيد المقيم العام بتاريخ 8 يوليوز 1932، ادمجت، تاغبالت في مجال نفوذ منطقة التخوم المغربية الجزائرية، مما جعل ملحقة درعة غير قادرة على القيام بأي عمل سياسي في هذا القطاع. (المؤلف).

وفي 6 دجنبر انتقلت العصابات الثائرة بصاغرو إلى الهجوم بمهاجمة وحرق شاحنة للتموين قرب ملال، ثم أعادت الكرة بعد يومين في نفس القطاع ولم تستطع قواتنا التدخل في حينه رغم قربها، الشيء الذي حتم حالا بناء العديد من أبراج المراقبة بين النقب وتاغبالت وأخضع السير لقواعد صارمة. وفي نهاية دجنبر تراجعت الفرقة المتنقلة بعد إتمام مهمتها تاركة قطاع تازارين في حراسة فيلق من اللفيف الأجنبي وفرقتين من الكوم وسريتين من السباهي وسرية من الرشاشات الآلية[27].

رغم الإحتياطات المتخذة ظلت تازارين جبهة حساسة وخطيرة في مواجهة تمرد نشيط ودائم اليقظة والترصد، فالقبائل التي أرهبها ثوار صاغرو تماطلت في التعاون، وحدهم آيت أونير وآيت أوزين تعاونوا بنزاهة في حفظ الأمن، بينما تآمر آيت حسو- المصرون على عادتهم في الخيانة -سرا مع أعدائنا بإخبارهم وتسهيل تموينهم.

4. إخضاع جبل صاغرو (فبراير - مارس1933) :

لم تخف عداوة أهل صاغرو خلال هذه المدة، فقد هددوا مرارا بانتقام شديد كل من اشتمت فيه بينهم رائحة الميل إلى الخضوع، وأخيرا انقلبوا شيئا ما عن الجبهة الشمالية دادس - إيميضر -تودغا، وركزوا نشاطهم على الجبهة الجنوبية بتازارين وشرقا على جبهة الرك المراقبة من طرف مركز ألنيف، والأكيد أن الإحتلال الحديث لهذه المناطق قد وجه ضربة موجعة لآيت عطا الثوار.

/140/ هكذا تكاثرت الحوادث وبدأت العصابات المعادية تتجهز، بحيث شن أكثر من ثلاثمائة محارب جيد التسليح هجوما في 20 يناير 1933 ضد سرية الفرسان المغاربة في ملال، ولولا التدخل العاجل لبرطيزة آيت سليلو وآيت أوزين وآيت مسعود لما تمكنت تجريدتنا من الإفلات، وقد كلفتنا هذه العملية خمسة قتلى من الفرسان وعشرة من البرطيزة.

آنذاك قام الطيران بعدة عمليات قصف انتقامية وشدد الحصار الإقتصادي على صاغرو، في ذات الوقت بذل مكتب تازارين جهودا من أجل إعادة السيطرة على القبائل الخاضعة، فسلح جديا آيت سليلو وآيت أوزين وآيت مسعود الذين يمكن التعويل عليهم، كما لاح تحسن طفيف لدى آيت حسو، لكن الوضعية ظلت مع ذلك خطيرة.

لذا قررت القيادة مباشرة إخضاع صاغرو بدون تأخير، رغبة منها في إنهاء المسألة قبل عمليات الأطلس الكبير الأوسط التي حدد تاريخها في بداية الصيف. وقد مكنت المعلومات التي حصلت عليها مختلف المكاتب المعنية حصر المشكلة بتحديد عدد الثوار، فقد انضمت إلى الثلاثمائة أسرة من آيت واحليم (إيلمشان، آيت عيسى وبراهيم و آيت حسو) القاطنة باستمرار

(27) اقام في مركز ملال فيلقان من اللفيف وسرية من السباهي المغاربة، وفي مركز تازارين فيلقان من اللفيف والكوم ال 10وسرية من الرشاشات الآلية، وتمركز فيلق من اللفيف والكوم ال 49 في تاغبالت. (المؤلف).

في صاغرو الأوسط، مئتا أسرة من ثوار إيلمشان وآيت الفرسي وإيخوخودن وآيت بويكنيفن وإيكناون وآيت يحيى وموسى وآيت عيسى وبراهيم وآيت حسو، أتوا من تودغا وتاغبالت وتازارين. وإلى جانب هذه الكتلة من خمسمائة كانون نجد أيضا إلى الشرق مجموعة من حوالي مائة أسرة من آيت إيعزا وآيت أونبكي (آيت خباش وآيت أومناصف) طردتها قواتنا من أوكنات وحوض الرك.

كان بمقدور هذه الأسر الثمانمائة من ثوار ومنشقي صاغرو أن يجندوا نحو ألف محارب، كلهم جيدي التسليح ويتوفرون على ذخائر كثيرة، ويعتبر إيلمشان وآيت عيسى وبراهيم وآيت حسو وآيت إيعزا وآيت أونبكي في معظمهم أكثر عداء لنا، ويمثل الأخوان عسو وباسلام وباسو وباسلام زعيما إيلمشان تودغا الثائرين محركي مقاومة هذه الكتلة المركزية، بل يصل تأثيرهما أيضا إلى مجموعة آيت إيعزا - آيت أونبكي، والحاصل أن كل شيء ينذر بمقاومة قوية في أرض ذات طبيعة /141/جبلية تساعد كثيرا على الدفاع وتحول دون نشر قوات مهاجمة ضخمة.

ورغم كون العمل السياسي يبدو فاشلا مسبقا، فقد تمت محاولات إجراء محادثات، إذ حاول إيلمشان تودغا الخاضعون جس نبض باسو وباسلام دون جدوى، ومن جهته دخل قائد ملحقة درعة بوساطة خليفة تينزولين بلفاطمي في اتصال مع أومارير، وجيه آيت أونير الثائر والزعيم الحربي السابق لآيت عطا خلال المحاولة الفاشلة لسنة 1929 ضد قلعة مكونة، بل جاء أومارير إلى تينزولين في بداية فبراير مصحوبا بوجيهين آخرين، حيث وعد بنقل مقترحاتنا إلى الأخوين أوباسلام. وللأسف لم يسعف الوقت بمواصلة مفاوضات لم تتوفر لها على كل حال إلا حظوظ ضئيلة للنجاح، إذ بدأ حشد البرطيزة، بحيث فرضت الطبيعة الفوضوية للمنطقة العدول عن استخدام القوات النظامية الثقيلة والبطيئة جدا وصعبة التموين، وبالتالي ستتم العملية من طرف حركات أهلية قوية تعززها فرق الكوم المغربي المختلط[28].

5 - إخضاع صاغرو (فبراير - مارس 1933) :

تكونت مجموعتان من الجيوش:

I - مجموعة الغرب تحت إمرة الجنرال كاترو، وضمت التجريدات التالية:

حركة تودغا : 1000 من برطيزة كلاوة وآيت واوزكيت والكوم الـ32؛

حركة دادس : 1200 من برطيزة إيلمشان ومكونة وآيت سدرات، والكومين ال 14و الـ39؛

حركة الإحتياط : 1400 من برطيزة درعة وتازارين، والكومين ال 10والـ49؛

(28) لا شك ان القارىء يدرك ان مبررات سبيلمان ليست إلا للتمويه والإستغفال. ذلك أن قادة الجيوش الإستعمارية بالمغرب (وفي غيره من الحروب الإستعمارية) دابوا على تجنيد أبناء المستعمرات انفسهم لخوض عدوانهم على الشعوب، خصوصا في المناطق التي واجهوا فيها مقاومات عنيفة، تفاديا للخسائر الثقيلة في صفوف قواتهم النظامية لما كانت تثيره هذه الخسائر من زوابع سياسية في فرنسا، علما بأن كثيرا من الحروب والمعارك تم إخفاء أخبارها ومجرياتها عن الراي العام الفرنسي، ومنها حرب صاغرو. (المترجم).

/142/ومن بين الألف وأربعمائة من برطيزة حركة درعة[29] يوجد ستمائة وخمسون من آيت عطا الصحراء، وضمن هؤلاء مئتان وخمسون ينتمون لأفخاذ من لكتاوة وتازارين خضعت منذ نونبر 1932 فقط، كما وجد بعض آيت حسو وإيلمشان وآيت عيسى وبراهيم في الحركة، وكان لكثير منهم أقرباء في الصفوف المقابلة[30].

2 -مجموعة الشرق تحت قيادة الجنرال جيرو وتتكون من العناصر الآتية:حركة الرك (النقيب بولان : Paulin 800) من برطيزة تودغا والكوم ال36 (الكل مُعارٌ من قوات مراكش للتخوم)؛

سريتين محمولتين من الفيلقين الثاني والثالث للفيف الأجنبي؛

سرية متحركة من الفيلق الأول للفيف الأجنبي وكتيبتين من الفيلق الثامن للفرسان الجزائريين؛

الكوم المغربي المختلط الـ 7 والـ 16والـ 17 والـ 28 والـ 33؛

السرية الصحراوية لزيز؛

500 من البرطيزة

أخيرا أربعة أسراب من الطائرات شاركت في العمليات.

وفي 13 فبراير نفذت الحركات المتجمعة حول صاغرو من دادس وإيميضر وتودغا في الشمال، ومن منطقة عمار -ألنيف في الشرق ومن ملال جنوبا، حيث تقدمت وهي تقاتل وتتجه كلها نحو منخفض إيمساعدن في قلب صاغرو. ورغم مقاومة عنيفة لجأت مخيمات الثوار إلى جبل بوكافر، وهو عرف صخري طوله خمس كيلومترات وعرضه كيلومترين ينتصب وسط منخفض إيمساعدن ويطل عليه بقلاعه الشديدة الإنحدار، واستسلمت نحو ثلاثون أسرة من آيت إيعزا لمجموعة الشرق.

وفي 21 فبراير بدأ الهجوم على بوكافر، حيث أصيب في نفس اليوم المقدم شاردون بجروح بليغة، وتوالت هجمات عديدة دون جدوى أيام 21 و24 و25 و28 فبراير، وأصبحت خسائرنا، القليلة إلى غاية 21 فبراير، ثقيلة بمقتل الكثير من الضباط أبرزهم النقيب هنري دو ليسبيناس بورنازيل

---

(29) كانت الحركة تحت القيادة العامة للمقدم شاردون، وقادة الحركات هم النقيب لاكروا (تودغا) Lacroix والنقيب باريو Barrieux (دادس) والنقيب ضوماري Daumarie (احتياط) والنقيب سبيلمان (درعة) (المؤلف).

(30) بصفة عامة قام آيت عطا بالتزاماتهم بشكل مرض خلال العمليات، وبرز بالخصوص آيت سليلو وآيت أونير درعة وآيت إيسفول وآيت بويكنيفن، بينما كان آيت حسو مائعين وإن لم يثيروا أي قلق. غير أنه لوحظ مرارا أنه عندما يتعرفون على إخوانهم الثوار في الخطوط المواجهة كانوا يحشون طلقاتهم بحشوات من ورق عوض الرصاص، بطبيعة الحال لم يرق هذا الإكتشاف قائد الحركة، ولكن هل يمكن أن نعاتب أناسا يعلمون بالتأكيد أنهم يحاربون إخوانهم وأعمامهم وأبناء أعمامهم؟ (المؤلف).

H.L. Bournazel[31] ؛ هكذا كشف بوكافر عن مناعته، بحيث تحدت أجرافه التسلق واقتصرنا بعد ذلك على إحكام الحصار عليه. ونظرا للجهد الشاق الذي بذله البرطيزة شرع في تسريحهم تدريجيا[32] باستثناء 1800 منهم اختيروا أساسا من حركتي درعة والرك[33]، وبقي الكوم في عين المكان واتخذت عدة فيالق من القوات النظامية مدعومة بمدفعية قوية مواقعها على الخط لإحكام الطوق.

وفي 10 مارس استسلمت مائة وخمسون أسرة من آيت إيعزا وآيت أونبكي لمجموعة الشرق، بينما واصل رجال الأخوين باسلام الكفاح. وفي 23 مارس نجح الملازم أول لانيك Laenncc من الشؤون الأهلية لدرعة في ربط اتصال مع آيت عيسى وبراهيم الثوار بوساطة إخوانهم الخاضعين في فزواطة والشاوش حميدة من مكتب زاكورة، وبعد أربع وعشرين ساعة من المحادثات التي أجريت بدهاء وضع مائة محارب من آيت عيسى وبراهيم أسلحتهم. أمام هذا /144/ الإرتداد قرر الأخوان باسلام أخيرا التفاوض يوم 24 مارس[34]، وفي الغد استسلم آخر المدافعين عن بوكافر، وقد سمح عدُّهم بإحصاء 490 كانونا[35] تمثل 2900 شخصا، مسلحين بـ 195 بندقية ذات طلقات سريعة و 174 بنقية نموذج 1874.

(31) فقدت مجموعة الغرب الضباط الآتية أسماؤهم قتلوا في الهجوم على بوكافر :الملازم سيوراك Sieurac (الكوم 34) والملازم أول تامبانيون Timpagnon (الكوم 39) والملازم أول لوشوفاليي Le Chevalier (الفيلق 6 للرماة السنغاليين)، الملازم أول بوادوفان Poidevin (الرماة المغاربة 2)؛ بينما خسرت مجموعة الشرق : النقيب بورنازيل والملازم أول بيني Binet والضابط الترجمان اليساندري Alissandri وثلاثتهم من الشؤون الأهلية، والملازم أول بورو Bureau من الفرسان ال8، والنقيب فوشو Faucheux والملازم أول برانكلي Brinklé من اللفيف الأجنبي، والملازم أول لاريدون Laridon من الشؤون الأهلية للجزائر (المؤلف).

(32) أثبتت الوقائع ان السبب في تسريح البرطيزة، خصوصا المنتمين لقبائل آيت عطا القريبة من صاغرو لا يكمن في الجهد الكبير الذي بذلوه كما يزعم سبيلمان، بل أساسا لإبعادهم عن ساحة المعركة التي شهدت عمليات إبادة جماعية رهيبة خشية رد فعلهم، ولعل الإبقاء على برطيزة درعة والرك يثبت ذلك، لبعد البعض وحسابات البعض الآخر مع آيت عطا (المترجم).

(33) بلغت خسائر حركة درعة الأقل ابتلاء 60 قتيلا وجريحا، منهم ضابطان جريحان (الملازم أول هابشفرلان Hubschwerlin) من الشؤون الأهلية والملازم سي محمد من السرية الثانية للفرسان المغاربة (المؤلف).

(34) تعمد سبيلمان هنا التزام الصمت المطبق على تفاصيل العمليات التي شهدها بوكافر، موحيا أن الفرنسيين اكتفوا بالحصار بعد هجوماتهم التي تكبدوا فيها خسائر ثقيلة ليعولوا على المفاوضات .والحقيقة أن بوكافر شهد حمام دم وعملية إبادة جماعية من صنف جرائم الحرب تورد مؤلفات بعض الضباط الفرنسيين أنفسهم جوانب منها، فما سكت عنه سبيلمان كشف عنه قائده الأعلى الجنرال هوري في معرض حديثه عن الخطة الكفيلة بكسر عزيمة مقاومة آيت عطا في بوكافر باعتماد وسيلتين حيث يقول ":أولا حصار قاس يمنع بشكل مطلق أي اتصال للمدافعين مع الخارج وأي استعمال للعيون والمنابع في آقّا نْ أوليلي وآقا نْ خويا براهيم التي لا يزالون يحاولون الإرتواء منها، ثم قصف عنيف تقوم به نهارا المدفعية وآليات المشاة والطيران، ويواصل دون انقطاع ليلا بواسطة المدفعية على نقاط الماء الموجودة داخل بوكافر وعلى المسالك التي اعتاد المحاصرون اتخاذها وعلى المخابئ التي يأوون إليها "، انظر GI. A. Huré, la pacification du Maroc, p. 114. (المترجم).

(35) يمر سبيلمان سريعا على هذا الرقم، تفاديا لذكر الخسائر التي تكبدها المجاهدون، فاعتمادا على الرقم التقريبي الذي أورده عن عدد المتحصنين في صاغرو وهو 800 كانون، وحتى إذا اخذنا بعين الإعتبار 150 كانون ممن استسلموا، نقف على أن العمليات العسكرية الفرنسية أبادت 160 أسرة على الأقل، أي زهاء 1000 شخص اغلبهم من النساء والصبيان والشيوخ، دون ذكر الخسائر المادية المتمثلة في إبادة قطعان الماشية .أنظر تعاليقنا على مخطوط الطالب لحسن، هسبريس تمودا، عدد 35 ، 1997 (المترجم).

فأقيمت مراكز وأبراج مراقبة على التو في صاغرو ومهدت طرق صالحة لمرور المركبات ومسالك للبهائم عبر هذه الكتلة الموحشة. هكذا أنهت تهدئة صاغرو احتلال بلاد آيت عطا، ولأول مرة في تاريخها الطويل خضعت الإتحادية للمخزن. وقد كشفت لنا المقاومة العنيدة التي أبداها في صاغرو جزء صغيرٌ من أفخاذها، المصاعب الهائلة التي كان يمكن أن نصطدم بها لو لم يقم عمل سياسي ذكي ومتواصل خلال عدة سنوات بتفكيك الإتحادية والحصول على خضوع الجزء الأعظم من أعضائها. كما تستحق شجاعة قواتنا الإضافية والكوميين والبرطيزة الذين حاربوا بدون هوادة في بلاد صعبة ومجهولة ورغم الخسائر الكثيرة، تستحق بدورها نفس الإعجاب الذي يستحقه آيت عطا الثوار.

/145/

القسم الخامس

- التنظيم السياسي والإداري لآيت عطا بعد إخضاعهم.

التنظيم السياسي والإداري لآيت عطا بعد إخضاعهم:

إثر انتهاء "التهدئة "بدا مستحيلا وضع الإتحادية تحت قيادة واحدة، ذلك أن منطقة سكناهم الشاسعة جدا والمتنوعة جدا خلقت بالفعل لدى آيت عطا، بسبب اتساعها ذاته، حاجيات خاصة تبعا لكونهم غربيين أو شرقيين، جبليين أو صحراويين، مستقرين أو رحل. ومن جهة أخرى يعلمنا التاريخ أن هؤلاء الأمازيغ كانوا دائما مقسمين بين مملكتي فاس ومراكش، أو على الأصح حاربوا في آن واحد إحدى هاتين الدولتين.

فآيت إيعزا وآيت أونبكي المتجهين منذ قرون نحو تافيلالت التابعة اقتصاديا لفاس، كانت لهم منذ زمن طويل اتصالات مع مراكزنا في التخوم الجزائرية المغربية[1]. وبالمقابل فإن آيت أونير وآيت والال وآيت إيسفول وآيت علوان والقسم الأكبر من آيت واحليم يتبعون منطقة مراكش سواء من الناحية الإقتصادية أوالسياسية.

لم تخل هذه الإعتبارات من تأثير على التنظيم الترابي والإداري الذي وضع نهائيا على الركائز التالية سنة 1933:

درعة وتازارين وتاغبالت وصاغرو وتودغا ربطت بمنطقة مراكش؛

أوكنات والقسم الأكبر من الرك ومعيدر آيت خباش وحوض الداورة وتافيلالت ترجع لمنطقة التخوم الجزائرية المغربية، التي تحولت فيما بعد سنة 1934 إلى إقليم تافيلالت Territoire du Tafilalt.

/146/وقد أدى تأسيس إقليم تخوم درعة الذي فرضه سنة 1934 تقدم "تهدئة" الصحراء الغربية، إلى تعديل طفيف للوضع الترابي لآيت عطا الذين أدمجت بعض عناصرهم في القيادة الجديدة، ولكن بالنظر إلى ذلك لم يتعلق الأمر إلا بحل مؤقت، بحيث أعيدت بعض هذه الأفخاذ لمنطقة مراكش والبعض الآخر لإقليم تافيلالت بمجرد اختفاء إقليم تخوم درعة.

(1) يلاحظ كيف يتم الدس لتمرير بعض الأفكار. فسبيلمان يوحي هنا بأن آيت أونبكي ربطتهم علاقات تعاون وتبادل مع المراكز الفرنسية في التخوم، بينما دأب على طول كتابه على ترديد أن هؤلاء بالذات وخصوصا آيت خباش ظلوا ألد أعداء الفرنسيين ورفضوا حسب اعترافه الدخول في أية اتصال آخر معهم غير الرصاص (المترجم).

ويقدم الجدول التالي تفاصيل تصميم التنظيم الإداري الحالي لبلاد آيت عطا

المنطقة أو الإقليم المستقل	الإقليم	الدائرة	مكتب الشؤون الأهلية	قبائل آيت عطا المراقبة
منطقة مراكش	إقليم ورزازات	دائرة دادس - تودغا	مكتب دائرة بومالن	أونير بومالن، أفخاذ الرحل بهضبة آنبد وعلى المنحدرات الشمالية لصاغرو الأوسط.
			مكتب مسمرير	آيت عطا مسمرير وأوسيكيس.
			مكتب قلعة مكونة	آيت والال دادس.
			مكتب تينغير	آيت عطا وادي إيميضر، وتودغا السفلى، ووادي إيشم، ووادي الرك وروافده، وكذا أفخاذ آيت عطا القاطنة أو الرحل في السفوح الشمالية لصاغرو الشرقي وفي منخفض إمساعدن (آيت واحليم، آيت إيعزا، آيت الفرسي، آيت إيسفول)
		دائرة زاكورة	مكتب دائرة زاكوة	آيت أونير، آيت والال، آيت واحليم، وآيت إيسفول تينزولين وترناتة وفزواطة.
			مكتب أكدز	آيت والال آيت زري، أفخاذ رحل أو قاطنة في السفوح الجنوبية لصاغرو الغربي.
			مكتب تازارين	آيت أونير، آيت والال، آيت واحليم، آيت إيسفول، آيت إيعزا في أودية النقب وتازارين وتاغبالت (باستثناء قصر مجران)، وأفخاذ آيت عطا الرحل أو المقيمون على السفوح الجنوبية لصاغرو الأوسط والشرقي.

المنطقة أو الإقليم المستقل	الإقليم	الدائرة	مكتب الشؤون الأهلية	قبائل آيت عطا المراقبة
إقليم تخوم درعة			مكتب لكتاوة بتاكنيت	آيت أونير، آيت إيسفول، آيت واحليم وآيت علوان لكتاوة ولمحاميد، أفخاذ الرحل في وادي ميرد وبين لمحاميد وإيريقي.
			مكتب الطاوز	آيت عطا أودية زيز جنوب مرزوكة، وغريس جنوب وطارة، والداورة ولمعيدر ورحل آيت خباش.
إقليم تافيلالت		دائرة آيت مرغاد	مكتب تينجداد	آيت عطا فركلة السفلى إلى غاية توروك، وأفخاذ الرحل أو المستقرين في السفح الشمالي لأوكنات (آيت إيعزا، آيت خليفة).
		دائرة أرفود	مكتب الدائرة بأرفود	أفخاذ آيت عطا الرتب، وأفخاذ الرحل أو المستقرين في السفح الشمالي الشرقي لأوكنات (آيت خباش، آيت أومناصف، آيت إيسفول).
/148/			مكتب الريصاني	أفخاذ آيت عطا هوامش تافيلالت، وحوض وادي مصيصي ورحل آيت بورك (آيت خباش.)
			مكتب النيف	أفخاذ الرحل أو المستقرين من آيت واحليم وآيت إيعزا وآيت إيسفول وآيت أونبكي القاطنين في السفح الجنوبي لأوكنات، وفي أودية الرك ابتداء من عمار، وحصيا وتغبالت الأسفل ابتداء من تاقشا.

ما هو موقف آيت عطا منذ خضوعهم؟

يظهر الموقف معقدا نظرا لتأثره بالدرجة الأولى بالماضي، فالعناصر التي كانت أكثر عداء لنا سابقا (خصوصا آيت خباش وآيت واحليم) لم تتوقف عن إثارة بعض القلق، فإلى غاية يوليو 1935 قامت مجموعة من نحو ثلاثين خباشيا -لجأوا أولا إلى منطقة كَمْكَمْ المتضرسة جنوب غرب تافيلالت -بعدة عمليات لصوصية، وقطع طريق وبهجمات مباغتة بعيدا عن مناطق

سكناهم، وخاصة بالبلاد الواقعة بين زاكورة ومشارف آقا، وبعد مطاردة لاهوادة فيها لمدة شهور، ألقي عليهم القبض في النهاية أو استسلموا بعد تكبدهم لخسائر.

أما أفخاذ آيت أونبكي الأخرى بإقليم تافيلالت وكذا آيت إيعزا فتبدو هادئة، غير أنه من التهور اعتبارها مكتسَبة بصورة نهائية إلى جانب المخزن.

وفي منطقة مراكش يقدم آيت بويكنيفن بإيميضر وآيت أونير وآيت والال وآيت إيسفول صورة مرضية على العموم، وإن كانت لا تزال بعض أفخاذ آيت واحليم بتودغا وتازارين وتاغبالت ودرعة، /149/ والتي سببت لنا مصاعب جمة خلال العمليات، في حاجة إلى مراقبة يقظة. ورغم ذلك فإن انفراجا بدأ يرتسم أحيانا. وفي هذا الصدد فإن سحق عصابة زايد أوحماد، مرتكب كثير من أعمال اللصوصية وقطع الطريق في بلاد آيت مرغاد من طرف قواتنا الإضافية في 5 مارس 1936 بقصر تادافالت (تودغا السفلى) حيث كانت تلتجيء، يحمل أكثر من مغزى، فتادافالت تعود بالفعل لإيكناون (آيت واحليم) مما يكشف بأن تهدئة الخواطر لم تكتمل بعد.

بالمقابل كانت الوضعية في لكتاوة ولمحاميد ممتازة، إذ كان آيت إيسفول وآيت علوان جد واثقين ومطمئنين، في حين أبدى آيت حسو الأكثر تحفظا احتراما للسلطة.

وإذا كانت نتائج مرضية قد حصل عليها، فإنه يبقى مع ذلك عمل الكثير لكسب القلوب، وهكذا واصل ضباط الشؤون الأهلية بحزم تطويع وتدجين هذه الساكنات الخشنة والمزهوة بنفسها من أجل محو الآثار الأخيرة لسوء الفهم باستخدام كل شيء لهذا الغرض، بحيث احترم التنظيم السياسي لآيت عطا بدقة أولا، إذ ينتخبون شيوخ قبائلهم وأفخاذهم وقصورهم وعشائرهم مثلما كان الوضع في الماضي. غير أن هذا العرف المتصدع من قبل بقوة قبل وصولنا قد أهمل تطبيقه، بحيث ظل الشيخ في العديد من المجموعات في منصبه دون تحديد الوقت طالما يقوم بالتزاماته، كما أن مراقبتنا التي تعدل عمله تحول دون امتلاكه سلطة مطلقة وتكبح طموحه، وبدون ذلك يثير هذا الطموح بسرعة قلق وشكوك أبناء القبيلة.

وفي نفس السياق لم نسع إلى تجديد مؤسسة أمغار نُ وفَلاَّ الإتحادية المتخلى عنها منذ عدة سنين، ولم يعين أي وجيه من آيت عطا قائدا، ما عدا في الرتب حيث لا تعيق ممارسات خاصة هذا التجديد.

ويمارس باشا مراكش، الرئيس الأعلى لآيت عطا الصحراء القاطنين بإقليم ورزازات قيادة مستترة عليهم، إذ باطلاعه الجيد على عقليتهم يعرف بدقة ما يمكن أن يطلب منهم، ويمكنه دهاؤه وفطنته الفائقين /150/ من التوفيق بين صلاحيات وظيفته واحترام خصوصية آيت عطا.

وقد تمت تلبية رغبات آيت عطا من الناحية القانونية أيضا، فمنذ 1924 وبينما كان معظمهم غير خاضعين، صنفهم ظهير شريف ضمن قبائل العرف، وبالتالي بمجرد ما تم خضوعهم نظمت محاكم عرفية، وتشتغل هذه المؤسسة منذ الآن في كل الدوائر، ويبين الجدول التالي مداها:

مكتب الشؤون الأهلية	أفخاذ آيت عطا	تعيين المحكمة العرفية	مقر المحكمة
مكتب مسمرير.	آيت واحليم، آيت إيعزا، آيت إيسفول، آيت أونبكي. آيت واحليم.	المحكمة العرفية في أوسيكيس. المحكمة العرفية بمسمرير.	
مكتب زاكورة	آيت أونير، آيت والال، آيت إيسفول، آيت واحليم.	المحكمة العرفية لزاكورة.	زاكورة.
مكتب تازارين	آيت أونير، آيت والال، آيت إيسفول، آيت واحليم، آيت إيعزا.	المحكمة العرفية لآيت عطا تازارين.	تازارين.
مكتب تاكنيت	آيت أونير، آيت إيسفول، آيت واحليم، آيت علوان.	المحكمة العرفية لآيت عطا لكتاوة ولمحاميد.	تاكنيت.
مكتب الطاوز	آيت خباش.	المحكمة العرفية لآيت خباش.	الطاوز.
مكتب ألنيف	آيت إيعزا، آيت واحليم، آيت أونبكي.	المحكمة العرفية لآيت عطا الرك وحصيا.	ألنيف.
مكتب الريصاني	آيت خباش (وضمنهم آيت بورك)، آيت إيسفول، أوشان (آيت واحليم).	المحكمة العرفية لآيت عطا الشرق.	مقطع الصفا ومصيصي.
مكتب أرفود	آيت عطا الرتب (آيت أونبكي وآيت إيسفول.)	المحكمة العرفية لآيت عطا.	أوفوس.
مكتب تينجداد	آيت إيعزا، آيت خليفة.	المحكمة العرفية لآيت إيعزا وآيت خليفة .	تينجداد .

/151/وحدها محكمة آيت عطا الرتب، الأقدم من بين هذه المحاكم، أنشئت بقرار وزيري بتاريخ 15 شتنبر 1934 ، أما الأخرى فإنها لا تزال محط تجريب وإن كان يبدو من الآن أن التجربة مقنعة، بل نعتزم في المستقبل القريب نسبيا تأسيس محكمة استئناف عرفية بإيغرم أمازدار (صاغرو) حيث مقر محكمة آيت عطا العليا في الماضي.

ويمنح النظام القانوني القائم مزايا لقبائل الإتحادية، إذ يقدم لها قضاء مرنا وسريعا وغير مكلف، ومتكيفا جيدا مع عقليتها وبالتالي لحاجياتها، كما أن هذه المؤسسة بمثابة تجربة سياسية واجتماعية مثيرة للاهتمام كذلك، بحيث يمكن الذهاب في هذا الصدد إلى أنها تحول دون التفكك الكامل لآيت عطا، لأن المحاكم العرفية ليست منظمة في الإطار الضيق للقبيلة أو الفخذ، بل في الإطار الأوسع للمنطقة الجغرافية والمقاطعة بحيث يكفي الإطلاع على اللائحة للإقتناع بذلك.

هكذا فإن محكمة زاكورة العرفية مشتركة بين آيت أونير وآيت والال وآيت واحليم وآيت إيسفول، بحيث تُمَثَّل هذه القبائل العدوة في الماضي من طرف عدد من القضاة متناسب مع أهميتها العددية، وبالتالي يجلس خصوم الأمس جنبا إلى جنب يطلعون على نفس القضايا ويفصلون حياديا في النزاعات التي تهم هذا الفخذ أو ذاك، وهي كلها ظروف ممتازة لمحو ذكرى الخصومات السالفة تدريجيا وخلق مفهوم ملموس للتضامن والإخاء. ومن وجهة النظر القانونية الصرفة فإن هذا الحل الذي تقبله المعنيون بسهولة سيسفر عن توحيد الأعراف بتخفيف الإختلافات الجزئية تدريجيا.

أما من وجهة النظر الاجتماعية، فكانت الوضعية المهيمنة لآيت عطا تجاه الحراطين ودراوة وقبالة أو ركاكة تمثل مشكلة حساسة، بحيث لم يكن بالمقدور التسامح مع إبقاء امتيازات ثقيلة وترك طبقة من السكان فريسة لتعسف سادتها، ومع ذلك كان من الأخرق سياسيا بل خطيرا نكران الوعود التي قدمناها لآيت عطا عند خضوعهم.

وبصفة عامة لازال التابعون تحت قيادة شيوخ آيت عطا في كل الأماكن التي /152/ ساد فيها هذا العرف قبل التهدئة، في حين يسهر ضباط الشؤون الأهلية على عدم ارتكاب أي تعسف، فأفخاذ دراوة مثل أهل الثلث في ترناتة الذين كان لديهم شيوخ خاصون بهم من قبل، ومجبرون على دفع غرامة سنوية لآيت عطا لا يزالون على نفس الوضع، وإن خفضت الغرامة بعد اتفاق بين المحميين والحماة، بشكل يرضي معه النظام القائم المعنيين إجمالا؛ ويظهر أن هذه الإجراءات المقيدة تقبلها آيت عطا الذين يبدون حساسين تجاه الحفاظ على وضعهم المعنوي وأكثر تجاه الفوائد المادية الصغيرة التي تترتب عليه.

أكيد أن الحل المتوصل إليه مؤقت، إذ يجب يوما النظر في التحرر الشامل للتابعين ولكن دون تسريع تطور حتمي، إذ المسألة جد معقدة وغير ناضجة بعد، ولاينبغي أن يضر حلها بأي من المصالح المشروعة القائمة تحت طائلة خلق حزازات عميقة ستولد فيما بعد نزاعات دامية. فلكي يكون عادلا يجب أن يصحب هذا الحل تدبير شؤون الأفخاذ السيدة والسائرة حاليا في طريق الإستقرار وبرنامج معقلن لاستثمار البلد[2].

(2) لا نقصد "بتدبير الشؤون" نقل فخذ إلى جزء آخر من البلاد، بل ربطه بالأرض بتوفير الموارد الضرورية للعيش. (المؤلف).

أخيرا لا يكفي ضمان سلامة الأشخاص والممتلكات وتثبيت النظام والطمأنينة، ومنح السكان نظاما سياسيا وقانونيا مطابقا لعقليتهم، بل يجب كذلك تحسين ظروف عيشهم المادية، فقد كانت بلاد آيت عطا دائما فقيرة، مما يفسر الطابع الشرس والنهبي لسكانه لأن الفقر يولد اللصوصية وقطع الطرق. لقد حملتنا هذه الإعتبارات على منح آيت عطا مؤسسات مخزنية للتعاون الاجتماعي، إذ شرعت الشركات الأهلية للتعاون في العمل، مقدمة على غرار باقي قبائل المغرب قروضا عينية ونقدية، كما تقدم لمتعاونيها الفقراء جدا مساعدات غير مسددة[3].

/153/علاوة على تنظيم أوراش إحسان في العديد من مكاتب الشؤون الأهلية بتوزيع النقود على البؤساء، من ذلك أن آيت خباش المفلسين لحظة خضوعهم سيعيدون تكوين قطيعهم بفضل قرض بلغ مائة ألف فرنك وضع رهن إشارتهم. كما أن بعض آيت عطا بدأوا يتجندون في القوات الإضافية وفرق الكوم والمخزن والبرطيزة.

وهناك تقنيون يبحثون عن دواء لمرض البيوض الذي دمر النخيل، ويتواصل بنشاط استكشاف الموارد المائية الذي بدأ منذ انتهاء التهدئة مباشرة، كما ضمن توزيع مياه السطح والفيضان المقنن بدقة أكثر فأكثر، لكل واحد نصيبه المقلص ولكنه أكيد، وسمح بتفادي احتكار أو تبذير العنصر الأكثر حيوية في منطقة قبيل صحراوية، وأصلحت الآبار وحفرت أخرى بحيث منحت قروض مهمة لمصلحة المياه. من جهة أخرى تم تأسيس مستوصفات أهلية تقدم العلاجات مجانا.

واتضح أن المهمة التي يتعين إنجازها في الميدان الاجتماعي ضخمة، وتتطلب آجالا طويلة وحزما ثابتا وكذا تعديلات محلية عديدة بسيطة ومدروسة بدقة، باستثناء الأشغال الكبرى المكلفة التي لن يستفيد منها في النهاية إلا عدد قليل.

وهناك الآن مئات الكيلومترات من المسالك التي تشق البلاد وتجعل التموين والمبادلات التجارية أكثر يسرا وأقل تكلفة، فعن طريق هذه الخدمات المقدمة للجماعة سنحصل شيئا فشيئا على التهدئة الكاملة للخواطر، بجعل احتلال عسكري وإخضاع إداري مناقضين لتقاليد آيت عطا الصحراء العريقة جدا، جعلهما ليس متحملين فحسب بل مفيدين ومن ثم مرغوبا فيهما.

(3) لازالت المبالغ التي تتوفر عليها ضعيفة، ولكن تدرس إمكانية رفع مواردها (المؤلف).

ملاحــق

- تعديلات المروفولوجيا الاجتماعية لدى آيت عطا
- الشاوش حميدة

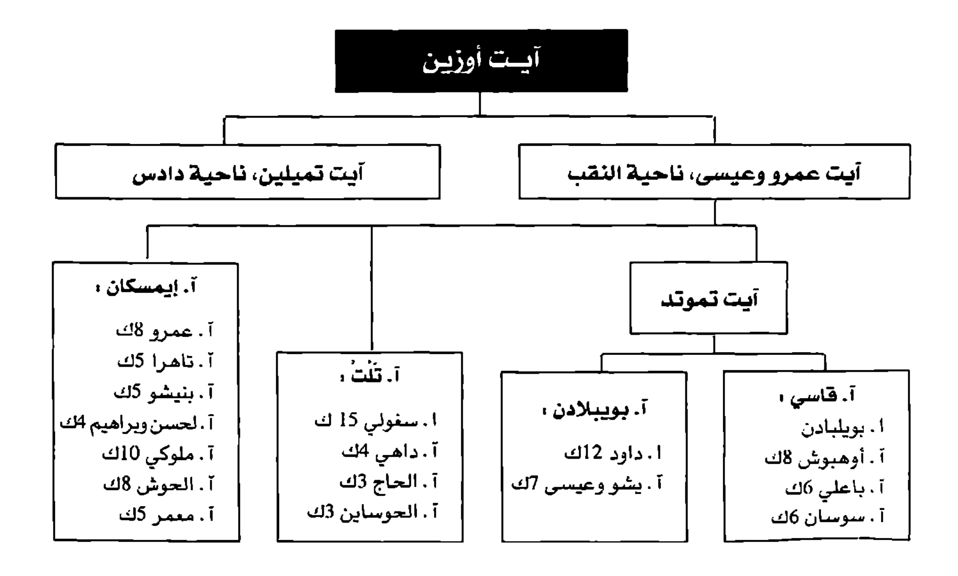
تعديلات المروفولوجيا الاجتماعية لدى آيت عطا

عرضنا سابقا أن النضج وظروف اللحظة والإستقرار أدخلت تعديلات مهمة ولكنها غالبا عابرة على التنظيم الأولي لآيت عطا، وركزنا على أنه في النهاية لا يعتد إلا بدرجات القبيلة والفخذ (يتداخل الأخيران عادة) والعشيرة، وأن المجموعات الاجتماعية التي تنضاف فيما بعد إلى هذه التراتبية الأولية تخضع لتحولات تصبح معها غير معروفة جيدا لدى كثير من آيت عطا، والحاصل أنه يجب الإنتماء إلى الفخذ ذاته للتعارف في هذا التراكب المعقد لكونه متغيرا جدا، بحيث يحدث أن المعنيين يتيهون فيه.

ومن المفيد دعم هذه الملاحظات بمثال ملموس، ففي الفصل المخصص للمورفولوجيا الاجتماعية ولأنظمة التحالف، سبق تقديم جدول مفصل لتقسيم آيت أوزين (آيت والال).

/156/ وها هو من جديد : خمس آيت والال وآيت أونير

قبيلة آيت والال



غير أنه في أبريل 1932 نقل مخبرون من آيت تميلين من فخذ آيت أوزين بدادس للملازم مولان Moulin رئيس مكتب الشؤون الأهلية بقلعة مكونة أن آيت عمرو وعيسى، المنتمين بدورهم لآيت أوزين، كانوا يقسمون لتوزيع المهام والغرامات المختلفة على خمسة أخماس هي: 1 - آيت قاسي، 2 - آيت بويبلاضن، 3 - آيت تمودت وآيت بوداود، 4 - آيت الثلث وآيت لحسن وبراهيم، 5 - آيت إيمسكان وآيت عمرو؛ وبعد بضعة أشهر حصل الملازم دو سان بون De Saint-Bon على تقسيم أكثر بساطة: 1 - آيت بويبلاضن وآيت قاسي، 2 - آيت لحسن وبراهيم وآيت عمرو، 3 - وآيت الثلث.

/157/كيف تفسر هذه التناقضات المخيبة للأمل؟

من المحتمل أن الجدول الأول المفصل والتام ينطبق على شكل تنظيمي قديم اتخذه آيت عمرو وعيسى عندما بدأوا بالإستقرار في السفح الجنوبي لصاغرو، ثم تجزأوا فتكونت مجموعات مصطنعة من الأفخاذ.

غير أن ضرورات الحياة اليومية والمهام العادية لكل فخذ والأخطار الخارجية وتهديدات الغارات، فرضت على آيت عمرو وعيسى إيجاد حل لهذا التشتت المبالغ فيه وجعل تنظيمهم ينسجم تدريجيا مع حياتهم الجديدة، وبالتالي يبدو أن المعلومات التي حصل عليها الملازمان مولان ودو سان بون تنطبق على التصميم السياسي الحالي.

موجز القول إنه ربما كانت هناك تجزئة إلى أقصى حد وبالتالي فوضى بمجرد اتضاح التوجه نحو الإستقرار، ثم حدث رد الفعل الذي فرضته الوقائع والوسط وغريزة المحافظة، وهو رد فعل وحدها الأفخاذ الشابة وذات العنفوان قادرة على إبدائه، أفضى في النهاية إلى إعادة تنظيم مبسط لمجموعات لم تأخذ بعين الإعتبار الأشكال المصطنعة القائمة سابقا، إن هذا لايعدو كونه فرضية محتملة، طبعا لكنها غير مفحمة بتاتا. وتبين هذه الحلقة غير المنغلقة أبدا مرونة التنظيم الأمازيغي الذي يتكيف دائما بشكل عجيب مع الوضعيات الأشد تباينا.

ثم إننا نرى بأم أعيننا تشكل تصميم جديد يتجه إلى تجميع آيت والال في خمس كتل: آيت أوزين دادس، وإيكنيون صاغرو، وآيت أوزين، وآيت مسعود النقب، وآيت بوبكر ملال وتامساهلت وتازارين وأخيرا إيمسوفة درعة. وتتكيف هذه التقسيمات الجديدة، أخذا بعين الإعتبار الوضعية الجغرافية للمعنيين، مع نظامنا الإداري بشكل جيد (مكتب بومالن دادس، مركز إيكنيون بصاغرو، مكتب تازارين، مكتب زاكورة بدرعة).

/158/ الشاوش حميدة

بإنهاء الفصل المخصص لتهدئة الجنوب الشرقي للمغرب، يمكن للقراء غير المطلعين أن يتساءلوا وبحق عن كيفية تمييز ضباط الشؤون الأهلية للطريق الواجب اتباعها في خضم مكائد ومؤامرات متعددة، وعن مرتكزات تشخيصهم وعناصر قراراتهم.

إن الاطلاع يوما عن يوم على توجهات الرأي العام وبالتالي إعطاء هذه الدفعة أو تلك للعمل السياسي، وإطلاق استخدام القوات الإضافية في الوقت المناسب، ثم إذا تطلب الأمر ذلك تدخل القوات النظامية، يمثل مهمة مثيرة بالتأكيد ولكنها لا تتطلب أية موهبة خاصة في التنجيم والكهانة.

فضابط المقدمة واقعي فوق كل شيء، ولا يمكن تصور عمله بدون معرفة مسبقة وعميقة قدر الإمكان بالبلاد، بحيث يجب أن يكون مطلعا على كل شيء، على الماضي والحاضر، على السياسي والإقتصادي؛ كما أن الدراسات الدقيقة للتفاصيل تساعده على استخلاص نتائج عامة. وبتوفير هذه الظروف يتعين على الضابط أن يتحلى بذهن مرن وحدسي وبعزم يقظ، ومن الضروري أيضا أن يحب مهنته وأن يُكِنَّ ودا حقيقيا لمرؤوسيه بل وتجاه عدو اللحظة الذي سيصير متعاون الغد.

يحيط الضابط نفسه في المقام الأول بمستشارين موثوقين ونزهاء ومتفهمين، وفي هذا الصدد يكتسي اختيار "شاوش "[1] جيد أهمية خاصة جدا، بحيث أن كثيرا من الرؤساء الموهوبين فشلوا لعدم حسن استخدام عون الاتصال الثمين هذا مع الأوساط الأهلية.

لهذا نقترح الآن أن نتتبع مسار حياة الشاوش حميدة الذي أدى خدماته في العديد من مكاتب منطقة مراكش من 1920 إلى 1933. ازداد حميدة بن محمد بن عمر حوالي 1894 قرب دمنات (منطقة مراكش)، في فخذ آيت شيتاشن من القبيلة الأمازيغية إينولتان[2].

وقبل أن يبلغ الخامسة عشرة من عمره، ورغبة من أبويه /159/ في تفادي الكلف المخزنية وخاصة أثقلها المتمثلة في ضريبة الدم، منحوه بسخاء فرس العائلة و"مكحلة "الأجداد الطويلة وقدموه لقائد دمنات، الذي كان يحشد بأمر من السلطان قوات لإعادة النظام مرة أخرى في تافيلالت.

هكذا ذهب الصبي المرقى إلى منصب المدافع عن الأمبراطورية في "الحرْكة"، مبتدئا تكوينه كرجل على طول مسالك الجنوب، ولحسن الحظ لم يصب بأذى، وبعد مغامرات كثيرة رجع إلى البيت سالما معافى نشيطا ومعركا وذا سحنة سمراء.

---

(1) كلمة تركية دخلت العربية، أصلها "جاوش" وهو الجندي المكلف بالأمن، لتصبح في الدارجة المغربية ومنذ الإستعمار بالخصوص تعني كل شخص يقف في خدمة موظف مدني أو عسكري (المترجم).

(2) Oultana عند سبيلمان (المترجم).

لكن مقاتلنا فهم بسرعة بعد رجوعه إلى بيت الأسرة أن وجوده غير مرغوب فيه، صحيح أن أسرته المعتادة على حياة بسيطة لا تعيش العوز لكن مواردها ضعيفة، فراجت مرة أخرى فكرة إرساله ليمثل العشيرة في حركة جديدة، على أمل مستتر بألا يعود من هذه المغامرة الثانية. رفض حميدة هذا التشريف الرهيب وهرب ليجرب حظه ويتصرف من الآن فصاعدا لحسابه الخاص.

ومنذ بعض الوقت أثار نزول النصارى في الدار البيضاء قلق النفوس، فصار موضوع حديث أسواق البادية والسهول والجبال. ويحكى أن هؤلاء الروميين الكلاب دمرهم الله ذوو هيئة مقززة، لكن الأموال تسيل من أيديهم ولعلهم بصدد تنظيم قوات مسلمة، الشيء الذي لم يكن غريبا في حد ذاته، غير أنهم يؤدون أجور مرتزقتهم بانتظام، وهو شيء أكثر إثارة وكفيل بإغراء الناس الذين تعودوا على التقاليد العريقة للمخزن.

وعلى غرار القديس طوماس بقي حميدة متشككا ورغب في رؤية مثل هذه الآية العجيبة بأم عينيه، فذهب إلى الغرب حيث عاين واقتنع بواسطة أعوان مجندين، وها هو مجند في الطوابير المغربية الأولى بفاس.

وسرعان ما كشفت هذه القوة المطواعة في البداية عن أن /160/ تدبيرها يكتسي حساسية عند الإحتكاك بالمستجدات النصرانية، فهي تشمئز من حمل الكيس وتنظر بريبة للأحذية، وتكره أخيرا أي انضباط يبدو لها باعتبارها القوة الرئيسية للجيش متناقضا مع تقاليدها القديمة في النهب واللامبالاة والخمول، لذا انتفضت بمجرد تحرك مدينة فاس سنة 1912 فقتلت عددا هاما من مدربيها الفرنسيين وارتكبت عدة تجاوزات أفضت إلى حلها بعد قمع سريع ومشروع.

خرج حميدة السعيد دائما سالما من هذا الشغب، وأصبح هادئا ومتزنا ومعاديا للقرارت المتطرفة؛ جال حميدة وعبر عن ولائه وظل في خدمتنا، مما أهله للتجنيد في السرية المساعدة الأولى للفرسان المغاربة، المكونة في معظمها من عناصر سليمة من الطوابير المنحلة.

هكذا تحدد مصير حميدة الذي أصبح من الآن فصاعدا خادما متواضعا للحكومة الفرنسية. ثم إن نزوات أسياده، الذين لم يكتفوا بتهدئة المغرب، قضت بالدخول في نزاع مع نصارى آخرين أكثر توحشا، كلفت - هذه النزوات - فارسنا السباهي المساعد معرفة سهول الفلاندر والخنادق والوحل ومعارك لم يتخيلها أي مغربي.

ثم وجد حميدة أن الحياة باتت أكثر نبضا عندما نزل يوما بسالونيك، حيث اشتبكت" حركة رومية " ضخمة من كل الأجناس بحركة نصرانية أخرى لم تكن أقل قوة، ومن الغريب أن هاتين الحركتين تضمان كلاهما مسلمين وكلاهما تدعيان القتال من أجل رفعة الإسلام .

الحاصل أن حميدة لم يعد يندهش من أي شيء، بحيث وجد في الفرنسيين العادلين والخيرين رفقة طيبة، إنهم يؤدون له أجره ويطعمونه ويكسونه، ومن ثم أدى مهمته كجندي بنزاهة. كما أن

حسن طالعه حفظه من كل خطر، فرجع إلى المغرب حيث واصل القتال لكي لا يفقد العادة كفارس سباهي من الدرجة الأولى في الشمال والأطلس المتوسط وبودنيب.

لكن حنين الوطن اشتد به فرجع إلى قبيلته بعد تسريحه، وهناك من فوق تلالها كان يتأمل أشجار اللوز المزهرة، والشعير ينمو والجبال مكسوة بالثلوج وفي قدمها بلدة دمنات الهادئة، ملبسة جيدا بأسوار وجاثمة بنعومة في منخفضها ذي الزياتين.

/161/ لكن حميدة ما يزال شابا وذاق حياة المغامرة، واكتسب دون شك عادات تجعل حياته الجديدة ثقيلة، لقد بدأ يمل. أخيرا، وكما عهد إحساننا، خضع وهو غير مغتبط لإجراءات قيادة الزعماء الأهالي المأمورين الذين لم نسيطر عليهم بعد، صحيح أن القائد الكبير الذي يتبعه منصف وعادل ولكن يصعب الوصول إليه.

موجز القول إن فارسنا السابق وفر بعض المال سنة 1920 ، فاشترى فرسا ومَثُلَ بمركز أزيلال حيث جند على التو كمخزني. والحقيقة أن بدايات حميدة في هذه المهنة لم تكن مشجعة، إذ كان صموتا ومتواضعا يلاحظ ولا يكاد ينتبه إليه، وعندما يحدث أن يثير الانتباه مرغما يجر عليه غضب ضابط شاب من قسم الاستعلامات. وخلال جولة استكشاف في هوامش البلاد الثائرة، وَزَّع فرس حميدة ركلات عنيفة على رفاقه في الصف مسببا لسوء الحظ في كسر رِجْل أحدها، فكان لزاما قتل البهيمة الجريحة بطلقة بندقية، إلا أن الفرقعة أيقظت الحراس الأعداء المترصدين، مما جعل التجريدة ترحل بمهانة على وجه السرعة للإلتحاق بأماكن أكثر احتماء، الشيء الذي استشاط له الضابط غضبا.

ترك حميدة العاصفة تمر بحكمة، وانتهى الأمر بالإنتباه إلى هذا المخزني المتواضع المستقيم المرتدي بطريقة بسيطة ولكنه نظيف، والذي يؤدي بدهاء كل المهام المناطة به.

وبعد حملات 1922 عين حميدة شاوش مخزن بالمكتب الحديث التأسيس لدى آيت امحمد في قلب البلاد الثائرة، حيث بإمكانه أخيرا إثبات مؤهلاته.

لا يشبه الشاوش رئيس المخازنية في مركز متقدم في أي شيء مثيله المألوف في المدن، إنه ليس محاربا يقود فرسانا مختارين إلى الحرب فحسب، بل هو كذلك إن أثبت ذكاءه مساعدا سياسيا ثمينا ومستشارا موثوقا به يرحب دائما بآرائه. أثبت حميدة على التو أنه شاوش من الطراز الرفيع، كان جريئا دون تهور وحذرا وفطنا ومطلعا بشكل لافت على مسائل البلد، كما كان يوحي بالثقة للجميع. وباعتباره المساعد الأول لضابطه دخل في علاقات مع /162/ الثوار والتقى زعيمهم الشهير المرابط سيدي مْحا الحنصالي الذي قاتلنا منذ 1916، كما توسط في المساومات التي جرت مع هذا الولي الأمازيغي.

وفي سنة 1923 وبعد أداء مهام عديدة في البلاد العدوة وخاطر بحياته عدة مرات، رأى حميدة جهوده وقد كللت بنجاح بخضوع سيدي محا، فذاع صيته منذئذ. وفي 1925 حدثت مأثرة جديدة،

حيث مكث خمسة عشر يوما في بلاد السيبة دشن خلالها بدء اتصالات ثمينة وأدى بدقة المهمة التي أنيطت به.

غير أنه في السنة الموالية مَلَّ من تغيير الرؤساء باستمرار وغادر الخدمة، لكن هذا الإعتزال لم يدم طويلا، بحيث كنا بحاجة سنة 1927 إلى شاوش بتلوات، المركز المهم والخفير المتقدم باتجاه الجنوب المدعو للعب دور هام للغاية في أقرب الآجال في تهدئة أودية دادس ودرعة، حينئذ استدعي الشاوش حميدة الذي لبى الدعوة مسرعا.

وخلال ثلاث سنوات كان حميدة ضمن كل الاستكشافات التي جابت البلاد، كان يتنقل باستمرار من قلعة مكونة إلى تارودانت، جامعا المعلومات ومنصتا وناصحا ومشتغلا بلا كلل. كما كان يحسن اختيار المخبرين وجعل الإهالي واثقين وإبعاد المحتالين وإفشال المؤامرات وتفادي المكائد. وعندما يتعلق الأمر بوضع خرائط للبلد وتحديد البلدات على الصور الجوية كان حميدة حاضرا دائما؛ كان يعرف ماذا نريد، يفحص المهمة، يسأل، يؤول، يعلق ويقدم المعلومات المطلوبة. وحينما يغيب بالصدفة يصبح كل شيء صعبا، وإذا وردت أخبار مقلقة يفكر حميدة ويضع أسئلة ثم يعطي رأيه، وقد أكدت التجربة أنه صائب. كان حميدة عدوا للحلول العنيفة، وداعيا إلى "السياسة "[3]، أي العمل السياسي والمفاوضات.

أفادته الصداقات التي ربطها مع آيت عطا الصحراء في منطقة أزيلال من 1920 إلى 1926 كثيرا، حيث كانت علاقاته طيبة مع الأعيان النافذين موحدّاش ولد الحاج فاسكا وباسو وميمون ومبارك ولد الفضيل، كان يفهمهم ويدرك دوافعهم ويحللها بود، هنا تكمن قوته. ولم يكن فعلا رجل آراء مسبقة، وبإرثه الأمازيغي يمكن القول إن حميدة /163/ يتطبع بطباع محاوريه بإتقان، بحيث لا يتردد باحتشام ولكن بحزم في تقويم الأحكام الخاطئة لرؤسائه، وبما أنه كان يحظى بكامل الثقة يُنضم إلى رأيه في النهاية.

هكذا خدم حميدة كشاوش بورزازات وقلعة مكونة من 1928إلى 1929. وفي سنة 1930 سلم برنسه لأخذ قسط من الراحة، لكنه ظل مهتما من بعيد بشؤون الجنوب لكي لايفقد الاتصال.

وفي بداية 1931 وضعنا تقدم التهدئة على طول جبهة دائرة ورزازات في احتكاك مباشر مع آيت عطا الصحراء. فقَبِل حميدة، مستشعرا ما سيأتي، العودة إلى الخدمة والتحق بمركز أكدز حيث وجد رئيسا سبق أن عرفه بأزيلال وآيت امحمد وتلوات ثم بورزازات.

بعد إطلاعه على الوضع ودعوته لإبداء رأيه، أجاب إجمالا بما يلي:

"لديكم من الآن في درعة صداقات عديدة، فمبدئيا يعتبر مزكيطة وآيت سدرات وأولاد يحيى مكتسبون لكم، طيب. لكن لا تنسوا أن مفتاح المشكلة يوجد لدى آيت عطا الصحراء، لا تقوموا بأي شيء ضدهم وابقوا فوق صراعات اللفوف، ولا تنجرفوا إلى الغضب إذا كبدتكم بعض"

(3) La "Siassa" عند سبيلمان (المترجم).

جيوشهم "بعض الخسائر، إنكم أقوياء بما فيه الكفاية لكي تظلوا كرماء، سامحوا الإهانات ولاتستخدموا الإنتقامات السهلة التي لن تزيد الأمور إلا تفاقما. ولكي تطمئنوا آيت عطا الحريصين على مصالحهم، أوعدوهم باحترام أعرافهم والحفاظ على وضعهم المتميز تجاه دراوة، فعلى المدى الطويل ستؤتي هذه الوعود مفعولها. غير أن كل قبائل آيت عطا لا تكتسي نفس الأهمية، فمن بينها لازال آيت أونير وآيت إيسفول المرتبطين بميثاق صداقة أشداء ومقاتلين، وبالتالي فهم الأكثر خطورة والذين يجب كسبهم إلى قضيتكم أو على الأقل تحييدهم. وفيما يتعلق بآيت أونير المشهورين بمعاداتهم، تتوفرون من الآن على العناصر المطلوبة لتفكيكهم، ألم يخضع إخوانهم في برنات وبومالن؟، ألم يدخل الوجيه باسو وميمون منذ مدة في /164/ علاقات معكم؟.

أما آيت إيسفول الأكثر بعدا فإن المسألة ليست بهذا الشكل، إذ يقال عنهم أنهم شجعان وأمناء، أخبروهم بأنكم تقدرونهم ولاتعتبرونهم أعداء، وانتظروا بعد ذلك بصبر فرصة التدخل لديهم".

بعد هذا الطرح شرع حميدة في العمل وكان في أوج عنفوان الشباب وممتلكا لكل طاقاته، وابتداء من فبراير 1931 مكنتنا معركة موفقة مع" جيش "ثوار من شخص من آيت إيسفول ألقي عليه القبض جريحا من طرف البرطيزة، فاعتنى حميدة بهذا الرجل وعالجه وأطعمه وسأله. بعد تضميد جراحه وإطعامه فراخا وكسائه بقماش نظيف، استرجع المحارب المتضور جوعا متعة الحياة. وبين الفينة والأخرى كان حميدة يطلعه أن المخزن القوي والمتسامح يتصرف كذلك لاعتبارت إنسانية صرفة، فيجيبه المحارب أنه في حالة سقوط فرنسي في أيدي إخوانه فإنه سيقتل بعد تعذيبه. تواصل الحوار على هذا المنوال، لكن الإشاعة سرت في البلاد الثائرة أننا بالتأكيد مستعدون للتفاهم مع آيت إيسفول، فذهب رقاصون اختارهم حميدة إلى أعيان هذه القبيلة وتمت اتصالات مخيبة وصعبة في البداية، ثم باتت شيئا فشيئا مشجعة. كما أن آيت أونير لم يهملوا، فقد بوشروا من كل جانب وطمئنوا على نوايانا مما جعلهم يخضعون في أبريل 1931، ومنذئذ بدا احتلال زاكورة في قلب وادي درعة سهلا.

بعد بضعة أشهر قرر آيت إيسفول أن يأتوا إلينا وسلم لهم الأسير وأبرمت علاقات ودية، مما جعل آيت إيسفول الذين آلفوا بين عرفانهم بالجميل ونظرة ثاقبة لمصالحهم الحقيقية يصبحون أبطال قضية المخزن في مقاطعات لكتاوة ولمحاميد، إذ واجهوا آيت خباش ومنعوهم من تثبيت استقرارهم في منعرج درعة. وخلال هذه الفترة المضطربة والحساسة ظل حميدة الوسيط الممتاز في كل المفاوضات الشائكة، بحيث كانت لديه مهارة رفع الإعتراضات وإنهاك محاوريه في محادثات لانهائية، وبعد بلوغ هذا الهدف يقدمهم هادئين ومنشرحين وواثقين ل"لحاكم"[4]، الذي يسجل النتائج المتوصل إليها.

---

(4) "الحاكم"، أي الرئيس او القاضي، الذي يحكم (المؤلف). والغالب ان هذا اللقب كان يطلق على ضباط الشؤون الأهلية الفرنسيين (المترجم).

غير أن حميدة لم يكن فقط رجل "السياسية" /165/ والمصالحة، إنه يعرف أيضا الظهور بمظهر الحازم عند اللزوم، فخلال صيف سنة 1932 تمالك الثوار ثانية وقتلوا بعض المخازنية، فأصبحت العديد من الأفخاذ التي كانت في محادثات مع مكتب زاكورة مترددة وتشجع مرتكبي الشغب سرا، فكان حميدة أول من عبر عن أن الحلم لا ينفي الحزم والصرامة واتضح أن عقوبات باتت ضرورة. وخلال خمسة عشر يوما قام بدوريات على طول الجبهة، مراقبا القصور المنضمة وملقيا القبض على قوافل الثوار قاطعا بذلك التموين وموجها المخبرين إلى لكتاوة، ثم نظم تنفيذا لأوامرنا مجموعات المخازنية والبرطيزة التي بعثت لدعم آيت إيسفول؛ ومنذ أكتوبر 1932 كانت الجولة قد ربحت، فعندما تقدمت المجموعة المتنقلة في نونبر فر آيت خباش دون قتال وخضعت البلاد كلها[5].

مرة أخرى قدم الشاوش حميدة خدمة جليلة، فالكل يعترف بنصيبه الهام في التهدئة، وفعلا غالبا ما لم يأنف رؤساء كبار من الأخذ بآرائه وتطبيقها على أرض الواقع.

فخلال العمليات القاسية لصاغرو أثبت حميدة أنه ظل المحارب الباسل في الجبهة الفرنسية، فأثناء فترات فراغه كان يقبع في تجوف مع منظار جيد ويراقب لساعات الميدان، ثم يتبادل أحاديث مع محاربين مسنين مشهورين، وعندما يتخذ قرار التقدم من جديد، تحظى بسرعة الحلول التي يشير بها بتواضع على عادته بالموافقة بالإجماع، إنه والحالة هذه يكشف عن كونه خبيرا جيدا بالخطط الحربية وسياسيا داهية.

هناك واقعتان مختلفتان تميزان عمل حميدة في ظروف عصيبة، فبعد السيطرة على هضبة أو عمرو عقب معركة ساخنة ليلة 16 إلى 17 فبراير، تم إيقاف حركة درعة منذ يومين من طرف الثوار المتحصنين في سلسلة من المسلات الصخرية الذي يستحيل بلوغها تقريبا، وذات صباح أشار جميدة المتربص منذ الفجر بأن الموقع يبدو أقل تحصينا، فتم هجوم في الحال حيث تمركزت مجموعات الرشاشات للكومين ال 10وال 49 في قاعدة الانطلاق وعين 100 من برطيزة آيت أونير لتنفيذ الهجوم، ولكنهم انطلقوا /166/ دون حماس فترددوا ثم توقفوا بسرعة رغم عدم تلقيهم أي إطلاق نار، فألح حميدة لكن زعيما أهليا همس بأنه من السهل تقديم النصح عندما يحترس المرء من عدم المخاطرة بحياته، فسمع شاوشنا ذلك وابتسم ولم يجب بشيء، ثم أخذ بندقيته وانضم إلى البرطيزة وتركهم بعد ذلك في مكانهم ليتقدم نحو العدو، فعلت صيحة: إنها حماقة!، وأسرع قائد الحركة بإرسال مخزني لينقل إلى حميدة أمرا بالتوقف لكن حميدة احتفظ بالرجل معه وواصل التقدم، ولم يتوفق مرسول ثان ووجد نفسه بدوره في وضع الأول، لقد فات أوان التدخل ولم يبق إلا ترك المجموعة الصغيرة تتقدم والاستعداد لدعمه أو انتشاله.

(5) يختزل سبيلمان كثيرا الأحداث إلى حد التزييف، إذ يوحي بأن سيطرة الفرنسيين على لكتاوة ولمحاميد تمت بيسر بفضل خدمات الشاوش حميدة، والحقيقة – كما عرضها بنفسه في الصفحات السالفة أو في كتابه "ذكريات استعماري" أن آيت خباش وآيت حمو وآيت حسو خاضوا معارك بطولية سادت في إحدى مراحلها حالة من الإحباط والإنهيار المعنوي في صفوف القوات الغازية. (المترجم).

ثم إن خمسة أو ستة من البرطيزة الذين حفزهم هذا المثال أسرعوا لمساندة رجالنا ليندفع الباقون إلى الأمام أخيرا، فتم بلوغ قدم المسلات ليبدأ التسلق المحفوف بالمخاطر. كانت الحركة بأسرها تتابع بقلق الجسورين في المقدمة، انطلقت بعض الطلقات النارية، وكان أهلنا يناورون بمهارة فائقة ويتسللون على طول الصخور ويطردون الثوار من مخابئهم فانتزع الموقع دون خسائر، ويمكن تصور الإستقبال المخصص لحميدة لدى رجوعه.

بعد ذلك بقليل، حوصر آيت عطا صاغرو في كتلة بوكافر التي تنتصب شامخة وشديدة الإنحدار وسط منخفض إيمساعدن، وقد فشلت أمامها عدة هجومات قوية وكانت الخسائر فادحة، واكتفت مجموعتا العمليات لمراكش والتخوم الجزائرية المغربية بحصار شديد قدر الإمكان للثوار، ومع ذلك استمر الرجال يسقطون من الطرفين يوميا.

تأمل حميدة بحزن وكآبة القلعة الطبيعية لبوكافر، والملجأ الأخير لأواخر آيت عطا الأحرار، كان يعلم أن المقاومة لن تطول إلى ما لانهاية ورغب في تسريع حل العقدة لتفادي سفك الدماء، كان يبحث عن وسيلة.

وفي 10 مارس استسلمت نحو مائة أسرة من آيت إيعزا وآيت أونبكي للجنرال جيرو، حيث شارك حميدة في مرورها عبر خطوطنا واستنطق طويلا الأعيان ورجع مسرورا وفرحا، وبالفعل كانت المعلومات المحصل عليها ثمينة، إذ يعرف الآن أن /167/ فخذا حربيا مهما هو آيت عيسى وبراهيم أقدم تبعا لتقليد قديم على انتخاب طفل يبلغ ست سنوات زعيما. وتقول نبوءة قديمة محفوظة بعناية في ذاكرة الكبار أن آيت عيسى وبراهيم سينجون من خطر قاتل عندما يختارون كشيخ عضوا من عشيرة أوغزيس، ولكنه ليس بين أيديهم إلا هذا الصبي، فعينوه زعيما حربيا وقلدوه إسميا مهمة قيادة محاربيهم. والحاصل أن الصبي أوغزيس له أخ أكبر وأبناء عمومة في المنطقة الخاضعة بفزواطة .

اشتغلت الإتصالات اللاسلكية ووجه مكتب زاكورة المستنفر على وجه السرعة كل آيت أوغزيس المتوفرين إلى جبهة حركة درعة، وفي 23 مارس قادهم حميدة إلى المراكز المتقدمة، وعندما حل الليل نادى آيت عيسى وبراهيم الثوار، ولم يجب هؤلاء في البداية إلا بالشتائم، ثم سألهم أخ الشيخ فبدأ الحوار، وبعد ساعة من المحادثات بأعلى صوت إلتقى أقارب الزعيم الثائر مصحوبين بحميدة ومجردين من السلاح مع بعض المحاربين الثوار بين الخطوط. وبكثير من التردد وافق الوفد الثائر بعهد من شاوشنا على لقاء الملازم لانيك Laennec من ملحقة الشؤون الأهلية بدرعة، وبذكاء وضع الضابط الوفد في ثقة، وبعد أربع وعشرين ساعة أخرى من المفاوضات، انفك مائة محارب من آيت عيسى وبراهيم ليستسلموا، إنها النهاية: فقد ارتخى عتاة الرافضين في بوكافر، المحبطين بهذه الضربة الجديدة التي عرتهم، كما قرر أخيرا الأخوان

باسلام من إيلمشان ورمزي المقاومة التفاوض، وفي 25 مارس وضع آخر الثوار السلاح أمام الجنرال كاترو Catroux بحضور الجنرال هوري Huré القائد الأعلى للجيوش بالمغرب، وبذلك أصبح كل آيت عطا خاضعين وبلادهم محتلة بالكامل.

عاد حميدة إلى زاكورة حيث أسبغت عليه كل مظاهر التشريف : وسام صليب الحرب لمسارح العمليات الخارجية (T.O.E) مع ثلاث تنويهات، وسام صليب الضابط للوسام العلوي، الوسام الإستعماري والعديد من الأوسمية التذكارية التي تزين صدره، ثم تسلم الميدالية العسكرية.

بعد عناء المقام عدة سنوات في الجنوب في مناخ قاس سرح حميدة سنة 1934، وباعتباره /168/ نزيها ومترفعا رجع إلى دمنات كما غادرها من حيث الثروة، وكان ذا يسر متواضع بدون معاش تقاعد، إذ لم ينص على أي إجراء مالي من هذا القبيل للمخازنية أو رجال الكوم.

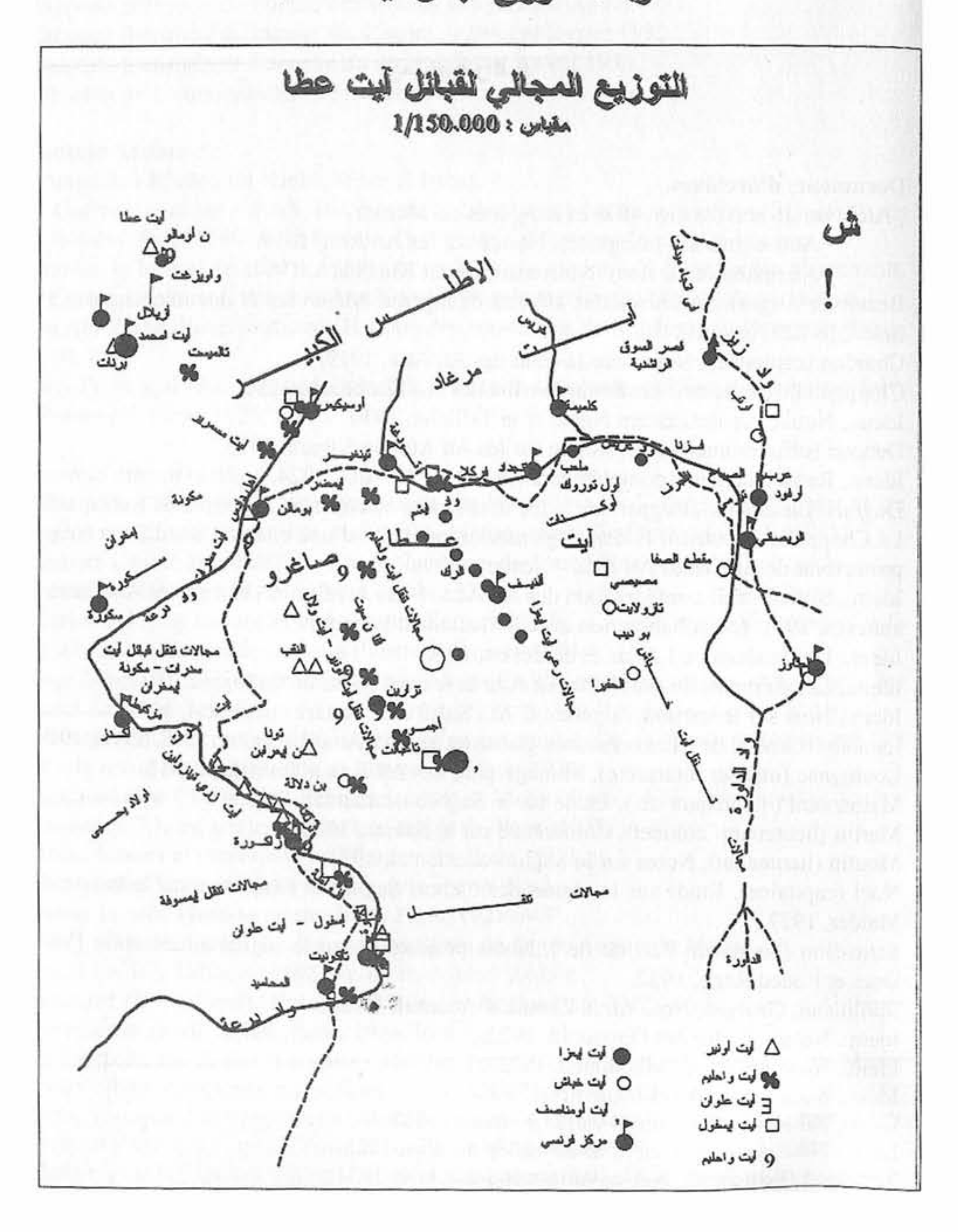
مع ذلك لم يفقد العقيد شاردون Chardon قائد إقليم ورزازات أثره، ومن جهته منحه الباشا الحاج التهامي الكلاوي الذي يقدره بعد ذلك بقليل منصب شيخ في قبيلة الأوداية ذات المراقبة المدنية على مشارف مراكش. أدى حميدة المهمة الجديدة على غرار المهام السابقة برضى الجميع، وأخيرا بدا أن قدره قد حدد، إذ لم يبق لديه على ما يبدو إلا التسليم بالعيش بهدوء دون انشغال بالغد أو طموح كبير، غير أنه قدر لخادم الأيام الجميلة والسيئة هذا ألا يعرف الراحة طالما لم يستتب الأمن بشكل نهائي بالجنوب.

فخلال سنة 1935 كبد بعض قطاع الطرق من آيت مرغاد، الذين ظلوا بعيدا عن متناول اليد في بلاد منيعة، تجريداتنا خسائر وقتلوا المنعزلين من جنودنا وأرهبوا القبائل، وكانت تودغا في الغالب مسرح عملياتهم حيث أبدت ساكنة هذه المقاطعة قلقها، فكان لزاما توفر رئيس واثق وحازم وداهية، فتم التفكير هذه المرة أيضا في الشاوش حميدة، الذي عين في يناير 1936 خليفة لباشا مراكش على تودغا والتحق بمنصبه الجديد في تينغير.

تلك كانت حكاية السباهي المساعد السابق الذي يقود الآن مقاطعة غنية تعداد سكانها 20 ألف نسمة، بعد أن بدأ بتواضع في المهنة العسكرية، بحيث يستحق عن جدارة ذلك المنصب الهام والأكثر حساسية بين المناصب.

لقد كان من الواجب بالنسبة لنا رسم مسار حياة رجل كان خلال أربعة عشر سنة بأزيلال ثم في الجنوب، ليس متعاونا ثمينا فحسب ولكن أيضا صديقا حقيقيا، ونحن على يقين مسبقا بأن هذه الترجمة القصيرة ستحظى بقبول وترحاب كثير من الضباط الذين عرفوا الشاوش حميدة.

خريطة توزيع قبائل آيت عطا



بيبليوغرافيا

Documents d'archives.
(Archives du service des Affaires indigènes du Maroc)
Abbes (officier interprète), Notice sur les Aït Atta, 1919.
Allemand (capitaine), Notice sur les Aït Khebbach, 1914.
Beaumier Auguste, Archives des affaires étrangères, Mémoires et documents, vol. IV, fasc. 218-225, original.
Chardon (capitaine), Notice sur la tribu des Aït Atta, 1919.
Charpentier (capitaine), Etude sur la tribu des Aït Khebbach, 1930.
Idem., Notice sur Belkassem Ngadi et le Tafilalet, 1930.
Denoun (officier interprète), Notice sur les Aït Atta du Sahara, 1913.
Idem., Renseignements complémentaires sur les Aït Atta, 1924.
Dugrais (Lieutenant), Rapport sur la reconnaissance automobile Zagora- Bou Rebia, 1932.
La Chappelle (lieutnant F. de), Organisation politique d'une cité de l'oued Draa sous le protectorat des nomades Aït Atta – Nesrat, 1929.
Idem., Notice sur la confédération des Aït Atta, 1- les Aït Ounir, 1928 ;2- les Aït Yazza et annexes, 1931. (en collaboration avec le lieutenant Lacomme).
Idem., Les Sanhaja de l'Atlas et du désert, 1930.
Idem., Les éléments du problème Aït Atta et le front saharien du Maroc, 1930.
Idem., Note sur le territoire algérien d'Aïn Sefra et le Sahara occidental, 1929.
Lamothe (Général de), Les opérations glaoua en pays Aït Atta (décembre 1918, février 1919).
Loubignac (officier interprète), Monographie des Aït Atta n'Oumalou, 1918.
Maintenant (lieutenant de), Etude sur le Saghro occidental, 1930.
Martin (lieutenant- colonel), Conférence sur le Sahara, 1930.
Moulin (lieutenant), Notes sur le Saghro occidental, 1931.
Noel (capitaine), Etude sur la région des djebels Saghro et Ougnat et sur le bassin des Maïder, 1927.
Saint-Bon (lieutenant Pacoret de), Notes provisoires sur la région située entre l'oued Draa et l'oued Regg, 1932.
Spillmann, Georges, Note sur la Zaouïa d'Ahansal, 1923.
Idem., Note sur les Aït Ougoudid, 1922.
Idem., Note sur les Aït Mhammed, 1923.
Idem., Note sur les Aït Bouguemmez, 1924.
Idem., Note provisoire sur la vallée du dadès, 1928.
Idem., Note provisoire sur la haute vallée du draa, 1928.
Terrasson (lieutenant), Notice sur la tribu des Arib, 1931.
Thiabaud (capitaine), Bulletin de renseignements sur Fezzou, 1932.

Région de Marrakech, les questions sahariennes vues de marrakech, 1924.
Rapports mensuels du cercle, puis du territoire du Ouarzazate, de 1930 à 1933.
Rapports mensuels du bureau des affaires indigènes d'Agdz, 1931.
Rapports mensuels du bureau de Zagora, janvier et février 1932.
Rapports mensuels de l'annexe du draa, de mars à avril 1933.
Tableaux de commandement et fiches de tribus.

Sources Arabes :

Ahmed ben Khaled En Nasiri, Kitab el Istqsa.
El Oufrani, nouzhet al Hadi, Histoire de la dynastie saadienne au Maroc (1511-1670), tr. O.Houdas, Paris 1889, in 8° (public. De l'école des langues Orientales vivantes).
Ezziani, le Maroc de 1631 à 1812, extrait de l'ouvrage intitulé Ettordjemân el moharib, tr. O.Houdas, Paris, 1886, in 8° (public. De l'école des langues Orientales vivantes).
Ibn Abi Zarha, Roud el Kartas, Histoire des souverains du Maghreb, tr. Beaumier, Paris, 1860, in-8°.
Lévi-Provençal (E.), Documents inédits d'histoire almohade, publiés et taduits par Lévi –Provençal, Paris, 1928, in-4°.

Sources européennes :

Beaurpère (lieutenant), Note provisoire sur les vallées du Todgha, de l'Imider et du Saghro occidental, dans villes et tribus du Maroc (tribus Berbères). Tome II, 1931.
Castries (comte Henri de), Notice sur la région de l'oued Draa, dans bulletin de la société de Géographie de Paris, décembre 1880.
Clariond (L.), A travers le Maroc nouvellement pacifié. Ce qu'a vu le géologue, n° 125 de « la revue du monde colonial illustré », janvier 1934.
Cour (Aug.), l'établissement des dynasties des Chérifs au Maroc et leur rivalité avec les Turcs de la régence d'Alger, Paris, 1904, in-8° (publ. De l'école des Lettres d'Alger).
Emberger (L.), A travers le Maroc nouvellement pacifié. Ce qu'a vu le botaniste, n° 125 de « la revue du monde colonial illustré », janvier 1934.
Foucauld (Vte Charles de), Reconnaissance au Maroc, Paris, 1888, 1 vol. in-4° et 1 atlas.
Gautier (E.F.), les siècles obscurs du maghreb, Paris, 1927, in-8°.
Idem., Mœurs et coutumes des Musulmans, Paris, 1931, in-8°.
Gentil Luis, A travers l'anti – Atlas et le Djebel Bani.
Hamet Ismaël, Histoire du maghreb, Paris, 1923,in-8°.
Hardy (G.) et Célérier (J.), les grandes lignes de la géographie du Maroc.
Harris (W.B.), Tafilalet (1895), tr. du lt.-colonel Rédier.
Justinard (lt.- colonel), Notes sur l'histoire du Sous au XVI° siècle, dans « Archives marocaines », vol. XXIX, Paris, 1933, in-8°.
La Chapelle (lt. F. de), Le sultan Moulay Isma'il et les Berbères senhadja du Maroc central, dans « Archives marocaines », vol. XXVIII, Paris, 1931, in-8°.
Idem., Esquisse d'une histoire du Sahara occidental, dans « Hespéris », tome XI, Paris, 1930.
Marmol Caravajal (Luis),L'Afrique, tr. Perrot d'Ablancourt, Paris, 1667, 3 vol., in-4°.
Martin (A.G.P.), Quatre siècles d'histoire marocaine, Paris, 1923, in-8°.
Massignon Louis, Le Maroc dans les premières années du XVI° siècle, Tableau

géographique d'après Léon l'Africain, Alger, 1906, in-8°.
Pennes (capt. P.) et Spillmann (lt. G.), Les pays inaccessibles du haut draa, dans « revue de géographie marocaine », 1929, p.p. 1-67, cartes et photographies h.t.
Quedenfeldt (M.), Division et répartition de la population berbère au Maroc, tr. par H. Simon, Alger, 1904, in-8°, (extrait de la « Revue africaine »).
Regnault (capt.), le cours moyen de l'oued Dra, dans « renseignements coloniaux » (supplément à l ' « Afrique française »), 1° janvier 1904, p.p. 17-35.
Reyniers (lieut.), Un document sur la politique de Moulay Isma'il dans l'atlas, dans « Archives marocaines », vol. XXVIII, Paris, 1931, in-8°.
Rohlfs, Mein erster aufenthalt in Marokko, Norden, 1885, in-8°.
Segonzac (marquis de), Au cœur de l'Atlas, mission au Maroc 1904- 1905, Paris, 1910, in-8° et 1 atlas.
Spillmann (lieut. G.), districts et tribus de la haute vallée du draa, dans villes et tribus du Maroc (Tribus Berbères), tome II, Paris, 1931, in-8°.

فهـرس المحتـويـات

ⵓⴳⴰⵔ ⵏ 70 ⵏ ⵓⵙⴳⴳⵯⴰⵙ ⴰⵢⴰ ⴳⴼ ⵎⵉ ⵉⴼⴼⵖ ⵓⴷⵍⵉⵙ *«Aït Atta de Sahara et la pacification du haut Dra»* ⵏ ⵊⵓⵔⵊ ⵙⴱⵉⵍⵎⴰⵏ. ⵙⵓⵍⵏ ⵉⵎⵙⵉⴳⴳⵉⵍⵏ, ⴰⵍ ⴷⵖⵉ, ⵍⴰ ⵜⵜⴰⴳⵎⵏ ⵣⵉⴳⵙ ⵉⵏⵖⵎⵉⵙⵏ ⴳⴼ ⵓⵎⵣⵔⵓⵢ ⵏ ⴰⵢⵜ ⵄⵟⵟⴰ.

ⵎⵇⵇⴰⵔ ⵉⵜⵜⵓⵔⴰ ⵓⴷⵍⵉⵙ ⴰⴷ ⴳ ⵓⵣⵎⵣ ⵏ ⵓⵙⴷⴷⵓⵔⵔⵉ (ⵏⵖⴷ ⵍⵉⵙⵜⵉⵄⵎⴰⵔ) ⵍⴰ ⴰⴳ ⵉⵙⵎⴰⵍ ⵛⵉⴳⴰⵏ ⵏ ⵜⵖⴰⵡⵙⵉⵡⵉⵏ ⴳⴼ ⵜⵓⴷⵔⵜ ⵏ ⴰⵢⵜ ⵄⵟⵟⴰ ⴷ ⵡⴰⴷⴷⵓⵔ ⵏⵏⵙⵏ, ⴷ ⵎⵉⵎⵛ ⴰⵢ ⴳⴰⵏ ⵅⵎⴰ ⴰⴷ ⵟⵟⴼⵏ ⵜⴰⴷⵔⴼⵉ ⵏⵏⵙⵏ.

ⴰⴷⵍⵉⵙ ⴰ, ⵉⵍⴰ ⴰⴱⵖⵓⵔ ⴰⴳⴰⵜⴰⵔ. ⴰⵙⵓⵖⵍ ⵏⵏⵙ ⵣⵉ ⵜⴼⵕⴰⵏⵚⵉⵚⵜ ⵖⵔ ⵜⵄⵔⴰⴱⵜ ⵉⵇⵇⴰⵏ ⵜ ⴰⴷ ⵉⵙⵕⵏ ⵜⴰⵇⴱⵉⵍⵜ ⵏ ⴰⵢⵜ ⵄⵟⵟⴰ ⵉ ⵉⵎⵖⵔⴰⵏ ⴰⴽⴽⵯ, ⵍⵓⵎⵎⵏ ⵉⵎⵔⵣⴰ.

Plus de soixante dix ans après la parution de l'ouvrage du Capitaine **Georges Spillmann** intitulé les ***Aït Atta de Sahara et la pacification du Haut Dra***, celui-ci continue d'être la référence de tous les chercheurs ayant travaillé sur l'histoire de cette grande confédération tribale amazighe. En effet, peu de travaux ont été réalisés par les chercheurs marocains sur la décolonialisation des corpus de l'histoire et la critique laissés par les officiers et les administrateurs français et espagnols.

Il est pourtant incontestable que sans la matière que recèlent les rapports, les monographies et les différents ouvrages de l'époque coloniale, nous aurions perdu des données précieuses sur le passé récent des Imazighens Aït Atta. L'ouvrage de Spillmann nous permet, en effet, de connaître, d'une part, la situation de leurs structures tribales, sociales et guerrières au début du XX^{e} siècle, ainsi que leurs efforts pour conserver une liberté tant défendue et, d'autre part, les prémices des transformations radicales qui ont contribué à définir leur destinée.

Nous sommes convaincus que la traduction de cet ouvrage, épuisé depuis plusieurs décennies, contribuera à la connaissance de l'histoire contemporaine d'une région mal connue et permettra aux chercheurs d'avoir accès à un outil de travail précieux.

20 درهم